جامعة الجزائر

معهد علم النفس و علوم التربية

رسالة لنيل شهادة الماجيستير في علم النفس الاجتماعي

الاستعمال الاجتماعي للمحيط السكني بين الخبرة السابقة

و الطموح نحو التمدن

تحليل نفسي أجتماعي لحيازة المساحات السكنية خارج المساكن و داخل حيين سكنيين بمدينة بومرداس

إعداد : بلقاسم بن مشيش

إشراف : الدكتور سليمان مظهر

1992

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـقـدمـــة :

لا يستطيع أحد أن ينكر كيف اختار الجزائريون بكل حزية التطور والازدهـار والتحوّل في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكيف عبروا في اكثر من مناسبـــة واحدة عن طموحاتهم نحو مجتمعّ جديد تتوفر فيه شروط ترقية الانسان ووسائل تفتحـــه . تمثل التنمية الأداة الرئيسية لتحقيق بناء هذا المجتمع لما يتطلبه من تحولاتفيالبنيتين الاقتصادية والاجتماعية وفي نمط التفكير والسلوك. لكن لا يكفي للأفراد والجماعات أن يرسموا طموحاتهم أو يحددوا اهدافهم لكي يحققوها، لأن صعوبات وعراقيل قد تقف أمام كل هدف.يتضح ذلك جليا من خلال التجربة الجزائرية، اذ يواجه المواطن في حياتـــه سلسلة من الصعوبات منها ما يتعلق بالحياة اليومية كالحصول على المواد الاستهلاكيـة والخدمات...ومنها ما يتعلق بالتنمية الشاملة كصعوبات البحث العلمي والتحكـــم في التكنولوجيـا .

تفاقمت هذه الصعوبات وشملت جوانب عديدة من حياة الافراد والجماعـات كالسكن وتدهور ظروف الاقامة.جعلت هذه الاخيرة تحول المجتمع يأخذ منعرجا خطـــيرا يهدد المسار التنموي ويثير الاضطراب في كيان ووجود المجتمع.نفضل في هذا البحث ابراز العوامل النفسية الاجتماعية التي حالت دون نجاح التحول الاجتماعي في مجال السكـن، أي نحاول ان نوضح لماذا فشلت برامج السكن في احداث تحول في الذهنيات والسلوكات الخاصة بالحياة السكنية في الاحياء الحالية.

نبرّر اختيارنا هذا لما آلت اليه أوضاع الاقامة بالتجمعات السكنية، حيـــث أدى اهمال محيطها السكني وتدهور مرافقها ومساحاتها العامة الى اثارة الاضطرابفيحياة الافراد والجماعات: قاذورات، تلوث، اتلاف للمرافق، صراعات بين الجيران...

ان انعدام اي معالجة ومتابعة لهذه الأوضاع يكاد يجعل من تدهور اوضـــاع السكن أمرا مألوفا وظرفا عاديا باستثناء بعض حملات التطهير والتوعية وتأسيسالجمعيات التي تبقى محدودة في الزمان والمكان ودون فعالية معتبرة.لا تزال العوامل المتحكمـــة في هذه الظواهر خفيـــة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعيد من جهتنا هذه العوامل الىآليات نفسية اجتماعية وثقافية شديـدة الارتباط بالنظام الاجتماعي التقليدي. نعالج في هذا البحث بعض القضايا البيئيـة والاجتماعية التابعة للحياة السكنية بالاحياء الحالية من خلال ابراز حيوية هذه الآليات ومدى تأثيرها الشعوري او اللا شعوري على نمط حيازة السكان للمساحات المشتركة خارج المساكن وداخل هذه الاحياء.

لا يمكن تفسير تدهور اوضاع السكن بالاحياء السكنية الحالية الا من خـلال دمج هذه الظاهرة ضمن اطارها العام والمتمثل هنا في عمليتي التنمية والتحول الاجتماعي في مجال السكـن. يعتبر تحول السكن من اوضاعه السابقة الى الأوضاع الحالية من شروط التنمية والتطور لهذا احتل مكانة في أغلب الخطط التنموية الموضوعة لتجسيد مجتمـع جديد، لكن أوضاع الاقامة بالاحياء السكنية تحول دون تحقيق هذا الهدف.

بالاضافة الى المشاكل المرتبطة بمجالي البناء والتسيير يلاحظ المتتبع لأزمـة السكن في المجتمع الجزائري ان الحياة السكنية تعرف صعوبات تابعة لنمط حيـازة السكان للمساحات السكنية الجماعية الجديدة. تطغى على المجالين الأول والثاني عناصر ادارية وتقنية وتطغى على المجال الثالث عوامل نفسية اجتماعية وثقافية تغرس جذورها في اعماق نظام السكن التقليدي بمظهريه الريفي والحضري القديم. توجه هذه العوامـل استعمال السكان للمحيط الخارجي وتحدد علاقات الجوار. رغم تداخل مجالي البنـاء والتسيير العقارى بنمط تملك الافراد والعائلات للاحياء الحالية فاننا سوف نركز في هذا العمل على الجوانب النفسية الاجتماعيـة الموجهة لاستعمال السكان للمحيط السكنـي. تثير هذه العوامل الاضطراب والفوضى في السلوك الاجتماعي للاقامة بالتجمعات السكنيـة الحالية لارتباطها بالنظام السكني الريفي والحضري القديم وعدم انسجامها مع متطلبات الاقامة بالتجمعات السكنية الحاليـة.

يمكن ان نلمس العلاقة بين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبـين نمط تملك السكان للمجال الخارجي في نظام الاقامة الريفي أو الجضري القديم من خلال اسلوب البناء والحيازة الاجتماعية للتجمعات السكنية. كانت تتحكم في المسكن سلسلـة من الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التابعة للنظام الاجتماعي التقليدي كالمراقبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعاون والجوار والامن وتحقيق الحاجات الخاصة ، حتى رأى فيه بعض الباحثين أنه اسقاط للنظام الاجتماعي على المكان. تحمل الابعاد المعمارية للمباني والمساكن والدروب والاسواق رموزا ومعاني اجتماعية وثقافية . يعبر استعمالها اليومي والامتثال للمعايير المتحكمة فيها عن حيوية وفعالية هذا النظام وعن ترسيخ قيمه على مستوى الفرد والجماعة على حدّ سواء.

يشير بعض الباحثين الى التعارض القائم بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي في الهندسة المعمارية للسكن في نظامي الاقامة الريفية والحضرية القديمة . يعبر هذا التعارض عن التصور الاجتماعي والثقافي للعلاقة بين الحياة الخاصة والحياة العامة ، وما يترتب عن هذه العلاقة من أمن/ انعدام الامن، علاقات وجدانية اجتماعية / معاملات حذرة ... يمثل الحيز الداخلي الحياة العائلية والامن والراحة وتحقيق الحاجات الخاصة .. في حين يمثل الحيز الخارجي مصدرا لانعدام الامن والاخطار المتعددة ...

توضّح هذه العلاقة ضعف التحكم في المجال الخارجي وضعف التقنيات المخصصة لاستغلال المجال الطبيعي أو البيئي للاغراض الاقتصادية والاجتماعية في النظام الاجتماعي السابق. بقي الحيز الخارجي مقدسا لا يخضع الا لقوى خفية أو أرواح شريرة .

ادت هذه الوضعية الى استعمال الافراد والجماعات لآليات نفسية اجتماعية وثقافية تُعوّض ضعف التقنيات الموجهة نحو المجال الخارجي. من بين هذه الآليات نذكر انتهاز الفرص، الخداع والحيلة ، اذ يبدو المجال الخارجي تارة كحيز مفعم بالمخاوف والاخطار وتارة أخرى كمصدر للخيرات، فكان على الفرد ان ينتهز الفرص، التي تتبع مختلف الحالات التي يتخذها المجال الخارجي، لتحقيق حاجاته وحاجات الجماعة التي ينتمي لها.

شملت الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية الى جانب توجيه علاقة الافراد والجماعات بالمحيط البيئي، تفاعلهم الاجتماعي بحيث تخضع العلاقة بالغير الى ضوابط اجتماعية وثقافية . تتميز الروابط الاجتماعية داخل المسكن او داخل الجماعة - عائلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو عشيرة أو قبيلة،...ـ بالجوار والتلاحم والتعاون... وتتصف خارج الجماعة بالحذر والصراع واستعمال الحيلة والخداع... تأخذ العلاقات الأولى طابعا وجدانيا غير رسمي وتتجسد في الحياة السكنية عبر تقديس الجوار والتعاون، وتأخذالعلاقات الثانيةوجها رسميا حذرا.

شكلت الاسرة محور نشاط الفرد وحيويته اذ نعيد لها توظيف نظام القيم والمعايير الاجتماعية السائدة والامتثال لها. تجري نسبة هامة من هذه الحيويةفي الحياة السكنية والعائلية وهذا نتيجة العلاقة بين المسكن والعائلة من جهة وبين المسكن وعمليات التغذية والجنس والانجاب والتربية وتحقيق الحاجات الخاصة من جهة أخرى.

اعطت هذه الوضعية تحديدا للحيوية الاجتماعية وجمودا عاما في مجال التحكم في المحيط الخارجي. يتميز هذا الجمود بالامتثال الى نفس المقاييس المعمارية عند انجاز المباني السكنية وعند التفاعل الاجتماعي. حافظت بذلك العمارات السكنية الحضرية القديمة على نفس الابعاد المعماريةوالمقاييس الهندسية وحافظ الافراد والعائلات على نفس الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية الموجهة لسلوكاتهم وافكارهم. يتضمن بناء المساكن والعمارات مثلا، حيزا داخليا يتكون من وسط الدار أو الحوش. يسهلهذا البعد المعماري وظائف اجتماعية كالتعاون والتناوب وتوزيع الادوار في حين بقي الحيز الخارجي غير منظم ومصدرا للاخطار.

بدأ الاضطراب والتحول في الحياة السكنية عندما تمّ ادماج عناصر معمارية واجتماعية وثقافية جديدة في مجال البناء والسكن. لم يهدف هذا التحول الى احداث تغيير في حالة السكن فحسب، بل في بنية العائلات وفي نمط حيازتها للمساحاتالسكنية وفي نظام تفاعل افرادها .يصبح أي حي سكني جديد مشروعا معماريا يهدف الى جانب تجسيد التحول الاجتماعي في مجال الاقامة، تكوين فرد جديد واسرة جديدة .يتطلب تحقيق هذاالهدف التحول في اسلوكات وفي التصورات الاجتماعية التي يجب ان تتخذ منالحيزين الخارجي و الداخلي امتدادا معماريا وظيفيا متكاملا ومن العلاقة بالغير مجالا للتفاعل الاجتماعي الثري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انن يمكن القول بأن الاحياء السكنية الحالية جاءت الى احداث قطيعة بتقاليد السكن السابقة وبالآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التابعة لها. لكن يلاحظ المتتبع لواقع الاقامة بالاحياء الحالية فشل مخططات السكن في تحقيق هذا الهدف اذ لا تزال الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التقليدية تؤثر في توجيه نمط حيازة السكان للمحيط السكني وتنظم التفاعل الاجتماعي بالاحياء الحالية وفق تصورات اجتماعية تغرس جذورها في تقاليد السكن السابق. تنجر عن هذا الوضع اضطرابات وفوضى تجعل الحياة السكنية مشوهة : فلا هي امتداد للسكن الريفي أو الحضري القديم ولا هي مجموعة من النماذج السكنية العصرية التابعة لأهداف التنمية. هكذا تفقد الاحياء السكنية الحالية مميزاتها المعمارية بمجرد اقامة الافراد والعائلات بها.

سببت مخططات السكن الحالية في احداث اضطراب في السلوك الاجتماعي للاقامة ولم تمكن ميدانيا من تعويض القيم والمعايير التي كانت تابعة للسكن والجوار في نظام السكن السابق. كانت هذه قاعدة لانتشار الفوضى والاضطراب في المساحات السكنية الجماعية والمرافق التابعة لها: على الشرفات وواجهات المساكن والعمارات، بالسلاليم ومداخل البنايات وبمواقف السيارات والممرات... تحوّل من جراء ذلك المحيط السكني بالاحياء الحالية من حيز تابع للمجال الداخلي الى حيز خطير وعدائي يهدد الحياة السكنية ويمنع تحقيق الراحة والاستقرار وتجديد نشاط الافراد والجماعات.

شمل هذا الاضطراب الى جانب المحيط السكني علاقات الجوار بين السكان. فلم يصبح الجوار مرادفا للتعاون بالمعنى الاجتماعي التقليدي الذي كان يميز الترابط بين الافراد والعائلات في النظام الاجتماعي السابق. لم يحقق التقارب الفيزيقي في الاحياء الحالية مجالا للتفاعل الاجتماعي، فرغم الاستعمال المشترك للمساحات السكنية فان السكان يأخذون من الاحياء السكنية ولا يعطون لها أي يستعملون الحيز السكني دون الاستجابة لمتطلبات المكان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت حيازة المحيط السكني في النظام الاجتماعي السابق تتحكم فيها آليات نفسية اجتماعية تتخذ من هذا الحيز مكانا خطيرا وغير آمنا، كان ذلك مبررا بالأوضاع البيئية والاقتصادية السائدة. تميزت هذه الاخيرة بالضعف والتخلف. ان استعمال نفس الآليات النفسية الاجتماعية عند حيازة المساحات السكنية الحالية يثير العديد من التناقضات في الحياة السكنية ويعرقل تحقيق مخططات التنمية في مجال السكن.

ان ما يهمنا من النظام الاجتماعي السابق هو علاقته بأوضاع الاقامة الحالية، أي محاولة الكشف عن مدى فعالية مميزات السكن القديم في الاوضاع السكنية الحالية وخاصة ما يتعلق باستعمال السكان للحيز المشترك وانتظام علاقات الجوار. لا يمكن فهم السلوك الاجتماعي للاقامة الجماعية الا من خلال الانتقال في التفسير من المستوى المعاش للافراد والعائلات الى المستوى الاجتماعي العام الذي يتضمن اعادة ادماج هذه السلوكات في اطار المرحلة التاريخية من تطور المجتمع.

حتى نفسر مظاهر الاضطراب في الحياة السكنية الحالية عن طريق الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة في السلوك الاجتماعي للاقامة تقدم هذا البحث في ثلاث أجزاء: نتطرق في الجزء الأول الى مكانة الحيز السكني الجماعي ضمن البيانات السكنية بالمدن القديمة (كالقصبة بالجزائر العاصمة.) لنحاول توضيح الارتباط بين استعمال هذا الحيز والنظام الاجتماعي التقليدي في مجالات تقديس الجوار والامن والتعاون.

نظيف الى هذا الجزء ما آلت اليه التجمعات السكنية القديمة اثناء الاستعمار الفرنسي حيث فرض هذا الاخير نمطا سكنيا غريبا على المجتمع الجزائري. ادى ذلك الى بروز واقع سكني كانت نتائجه وخيمة على مستقبل الاقامة وعلى عملية اختيار النماذج السكنية الغربية بعد الاستقلال. لم يفرض الاستعمار الفرنسي نمطا للاقامة على المجتمع الجزائري فحسب، بل حطّم النماذج السكنية التقليدية وهمّش السكن الحضري القديم وفرض الكوخ والمسكن المنحط على الفرْدْ والعائلة الجزائرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتناول في الجزء الثاني علاقة السكن بالتنمية من خلال الخطاب الايديولوجي والسياسي. نحاول ان نبرز كيف تناول هذا الخطاب مسألة السكن والتنمية والتحضر بعيدا عن تقاليد الاقامة الاجتماعية المحلية مؤكدا بذلك قطيعة بالنظام الاجتماعي السابق.

كيف انعكست نتائج هذا الخطاب على مخططات السكن ميدانيا، للجواب على ذلك نتتبع واقع انجاز الاحياء السكنية بولاية بومرداس لنستخلص انطلاقا من احصائيات رسمية، ان الاحياء السكنية الحالية هي النموذج المعماري الأكثر انتشارا واستعمالا من قبل الفئات الشعبية. فهو يمثل الجزء الأكبر في مخططات السكن والتحضر بهذه الولاية لأنها تمتد بشكل متزايد لتشمل مناطق حضرية وريفية نائية.

لا نقتصر على تحديد مدى انتشار التجمعات السكنية الحالية على جهات متعددة في ولاية بومرداس فحسب، بل نركز كذلك على واقع الاقامة بها وعلى نمط استعمال محيطها السكني لنلاحظ بصفة عامة التدهور في مساحاتها السكنية وفي المرافق التابعة لها وفي العلاقات الاجتماعية بين السكان. تمكننا هذه الملاحظات الاساسية من تحديد الشروط المنهجية للتحقيق الميداني.

نبدأ الجزء الثالث باستعراض هذه الشروط وتبرير استبعاد التقنيات الكلاسيكية كالاستبيان والمقابلة والتركيز على الملاحظة بالمشاركة وتحليل المضمون للحصول على المعطيات البيئية والاجتماعية والنفسية المتعلقة بالحياة السكنية.

نخصص للتحقيق الميداني ثلاث مراحل: نخصص المرحلة الاولى للتحليل النفسي الاجتماعي لاستعمال السكان للمساحات السكنية خارج المساكن وداخل حيين سكنيين بمدينة بومرداس كاستعمال الشرفات، مداخل وسلاليم العمارات، مواقف السيارات، الفسحات بين البنايات... نوضح اثر انعدام الامن والتعارض بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي في استعمال السكان لهذه المساحات المشتركة خارج المساكن وداخل هذين الحيين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتناول في المرحلة الثانية من التحقيق الميداني واقع العلاقات الاجتماعية بين السكان، اذ نحاول انطلاقا من الملاحظات والوقائع المعاشة توضيح اضطراب علاقات الجوار. لماذا يصبح " الغير" عندما يكون خارج الوسط العائلي او العشائري أو الجوار مصدرا للخطر ولماذا يخضع التعامل معه الى الحذر واستعمال الحيلة ؟

تعرقل هذه الوضعية قيام العلاقات الاجتماعية بين السكان في الاحياء الحالية ويصعب في آن واحد بناء علاقات جوار تتخذ من متطلبات السكن الحالي شرطا من شروطها الاساسية : تعاون، نظافة، هدوء، توجيه الاطفال، رعاية المحيط... نتناول حدود المشاركة العامة في الحياة السكنية انطلاقا من حالة دفاع السكان على أقرب المساحات السكنية والمرافق التابعة لها من خلال الشكاوي التي يقدمونها الى الهيئات الرسمية وتأسيس الجمعيات (لجان الاحياء).

نلجأ في نهاية الجزء الثالث الى تحليل آراء السكان حول تدهور محيطهم السكني من خلال عرض مجموعة من الصور من واقع اقامتهم. كيف ترى الفئات الشعبية محيطها السكني وكيف يستجيب الاطارات الى نفس الظاهرة؟ وما هي حدود معاناة الفرد من جراء تدهور اقرب المساحات السكنية اليه: كالشعور بالذنب و الا مبالاة و الغموض والتشاؤم؟ هل تمكن هذه الخصائص النفسية من دفعه الى تغيير سلوكاته وواقعه السكني والاجتماعي؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه في نهاية البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الأول

السكن الحضري القديم اسقاط للعلاقات الاجتماعية على المكان

1 - المدينة التاريخية تعبير معماري واجتماعي متكامل

لم تخضع المدينة التاريخية [1] في الجزائر الى المخططات المعمارية المسبقة في عملية انجازها ولم يتم تحديد أبعادها الهندسية واشكال مبانيها وانتظام أزقتها وفق تصورات معمارية محددة. مما دفع بعض الباحثين الى اعتبارها تركيبا فوضويا من المباني والمساكن، بينما رأى فيها البعض الآخر تنظيما اجتماعيا معماريا متكاملا لانسجام مقاييسها الهندسية بشكل تلقائي مع النظام الاجتماعي العام وتلاءم مبانيها مع متطلبات المكان وتجمع السكان وفق التقاليد الاجتماعية والثقافية السائدة.

٤٢٠٤٠٩

نحاول في هذا العرض تقديم بعض الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التي تبرز العلاقة بين نظام القيم ونمط البناء في المدينة القديمة، لنظيف رأينا الى الذين يعتبرون أن الحيّز الاجتماعي لهذه المدن أبعد من مجرد مجموع البنايات والمساكن لا يربط بينها أية علاقة اجتماعية أو معمارية أو فنية.

عرف شمال افريقيا العديد من التجمعات الحضرية قبل الاستعمار الفرنسي وخاصة ما تمثل في عواصمه الرئيسية التي لم تعرف مكانا محددا. شهدت الجزائر وحدها أكثر من مقر واحد لعاصمة البلاد، هذا الى جانب أهمية المدن الاقليمية العديدة التي عرفها النسيج المعماري القديم. حدد اندري نونشتي عناصر العمران الحضري التاريخي في: أهمية الفناء ضمن أبعاده المعمارية وخضوع حيزه لسلطة الأمراء واتساع تجارته المدينية [2]. لا يسعنا في هذا المجال تحليل كلّ الخصائص السياسية والاقتصادية

1) نقصد بالمدينة التاريخية : التجمعات الحضرية التي عرفها المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي، مهما كانت الحقبة التاريخية التي يعود اليها البناء. دعوناهذه المدن بالتاريخية نسبة الى تاريخ المجتمع الجزائري بغض النظر عن طابعها المعماري العربي الاسلامي، التركي أو الامازيغي. تعتبر هذه العناصر ثروة عمرانية وثقافية لا يمكن تجاهلها في مشروع البناء.

2) اندري نونشي: المدن المغربية قبل الاستعمار في كتاب العمران والتنمية في المغرب العربي ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1983 ص 43

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي ميّزت هذه المدن، لما يتطلب ذلك من فحص معمق للدراسات التاريخية .نكتفي بابراز أهمية الفناء في البناية السكنية كبعد معماري ومؤشر اجتماعيّ وثقافي.

يلجأ الباحثون الاجتماعيون او العمرانيون من أجل وصف المدن التاريخية الى قراءة الابعاد العمرانية التي ترسم حيزها، حيث تبدو لهم فراغاتها ومبانيها، مساكنها ومرافقها في تنظيم معقّد، يرى فيه معظمهم أنه يتشكل من تضاعف وتكرار وحدات معمارية يصنفها روبارتوبيرارْدي الى مجموعتين :المجموعة الأولى ذات اشكال خطية متسلسلة تحتوي على الممرات والأسواق والمساجد...تحتوي المجموعة الثانية على المباني السكنية، التي تتمحور من جهتها على فناء مركزي هو وسط الدار (1). تبدو المجموعة الأولى مفتوحة نحو الخارج بينما تنغلق الثانية على نفسها.

يحمل أي عنصر معماري من عناصر المجموعتين(مسكن، سوق..) الى جانب مميّزاته الهندسية، مؤشرات تداخله بالتركيب العام للمدينة. يجسد تكرار هذه العناصر مضمونا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا يجعل من المدينة وحدة سكنية متكاملة. يؤدي تضاعف أبعادها الهندسية وفق تنظيم اجتماعي الى تجسيد الأبعاد العمرانية للمدينة يمكن تشخيصها من خلال قراءة هذه العناصر المعمارية وتحليل الحياة الاجتماعية. يتم من خلال هذه القرأة وهذا التحليل التعرف على المدينة، هل هي صحراوية أو من الهضاب العليا او من الشمال.

تحدد المباني السكنية المميزات الاجتماعية والحرفية للأحياء والتجمعات السكنية بعد ان تعطي نمطا محددا لانتظام الممرات والساحات العامّة... تتداخل الأسواق والمساجد لتخص المدينة بطابع ثقافي واقتصادي .فالى جانب المكان المقدس يمتد النشاط التجاري الذي يسمح بدخول الغرباء الى المدينة. تنظم الفنادق والخانات وجودهم . يلعب بالتالي كل حيز دورا اجتماعيا متكاملا مع التنظيم العام للمدينة.

يشكّل الحيّزين الداخلي والخارجي عنصرين أساسيين في هندسة المباني والمساكن ويمثلان اسقاطا واضحا للقيم الثقافية السائدة على المكان. توجّه هذه الاخيرة الحيوية الاجتماعية ونمط البناء على حد سواء. الأمر الذي يسمح لبعض الباحثين التأكد بأن التجمعات الحضرية القديمة أبعد من أن تكون مجرد تجمع فوضوي للمساكن والمباني

I) BERARDI (R.): Espace en pays d'islam . in l'éspace social de la ville arabe. éd . Maisonneuve et lar ose Paris, 1979, P IOI .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصبح نظام القيم أساسيا في تشييد المدن التاريخية حيث يحدد شكلواتجاه أبعادها المعمارية والعلاقات المتداخلة بين الأفراد والعائلات. لتوضيح هذه الفكرة نتابع المضمون الاجتماعي للعلاقة بين داخل المسكن/خارج المسكن في السكن الحضري القديم.

2 / التنظيم الاجتماعي للاقامة داخل المسكن و خارجه .

تعرف اللغة العربية اكثر من عبارة واحدة للدلالة على مفهوم السكن. يمكن أن تستعمل كلمات: الدّار، الحوش، البيت، المسكن... للتعبير عن الاقامة، سواءكان البناء فرديا تقيم به عائلة واحدة أو جماعيا يضم اكثر من بيت فيه عدة عائلات.

يشمل معنى "الدار" في المجتمع الجزائري الى جانب البناية السكنية الخاصة، افراد العائلة. كأن يقول احد السكان: الدار مريضة او ذهبت بالدار الى مكان معين ويقصد بذلك زوجته. نفس الملاحظة يمكن ان تتصف بها علاقة العائلة في المجتمع التقليدي بالبناية السكنية. تكفي عبارة "أخام" لدى السكان الناطقين بالأمازيغية للدلالة على المسكن والزوجة في آن واحد. يشير مصطلح الدار في بعض الدول العربية (سوريا ولبنان) الى التعبير على الساحة أو غرفة الاستقبال (1).

يتداول المؤرخون والمعماريون عبارات الاقامة في معاني متداخلة، نتساءل هل يدلّ ذلك على وجود أبعاد معمارية مناسبة لها، أي هل تعني كل عبارة: بيت، مسكن، حوش... على معنى يدل على مكان الاقامة بمميزات خاصة؟ أم هي مترادفات لغوية لا تعكس الاّ صورة واحدة للسكن؟

يقدم انطوان عبد النور تحليلا لهذا التداخل ويفترض وجود بعض المصطلحات المعمارية يتضح فيها الفارق بين الحيّز الفيزيقي والحيّز الاجتماعي، كأن يحمل الحي معاني الامتداد المكاني بينما تتصف الحارة بالبعد الاجتماعي لما تشكله هذه الأخيرة من ظرف مناسب للتفاعل بين الافراد والعائلات (2). الا أننا لا نعتقد بوجود فاصل بين

I) ANTOINE (A.): Types architecturaux et vocabulaire de l'habitation en Syrie . éd. Maisonneuve et larose Paris, 1979, P. 68 .

2) انطوان عبد النور (...) نفس المرجع السابق ص 61

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الامتداد الفيزيقي والحيّز الاجتماعي في المدينة التاريخية، حيث لا يخلو مكـــان فيها الاّ ويتم ادماجه ضمن الوظيفة العامة للمدينة عكس ما يمكن أن يحدث اليـــوم في التجمعات الحضرية من هفوات لدى المعماريين عند التخطيط المسبّق لأبعادهـــا الهندسية الوظيفية. كأن يحدثوا حيزا وظيفيا يفقد معناه الاجتماعي أويتجاهلون مجالات اجتماعية اساسية دون ان يجعلوا لها حيزا فيزيقيا مناسبا.

لهذا نرى ان المسكن في المدينة القديمة يرتكز مهما كانت خصائصه علىمدى استجابة أبعاده الهندسية للتنظيم الاجتماعي العام، الذي يحدد الى جانب ذلـــك مميزاته الفنية والتعبيرات اللغوية. تبدو البناية السكنية في المدينة كوظيفـــة اجتماعية منها انجاز معماري رفيع.

تتمحور البناية السكنية الجماعية في المدينة التاريخية حول ساحة مركزية تدعى وسط الدار أو الفناء والحوش. تشرف عليه البيوت أو الغرف ويتوفر علىالخدمات الاجتماعية. تنتظم بهذه الساحة الحياة العائلية الجماعية. يثير المسكن الحضريالقديم بمميزاته المعمارية والاجتماعية اهتمام الباحثين الذين يتخذون من العلاقة بين داخل المسكن وخارجه محورا لوصف الآليات الاجتماعية والمعمارية للمكان[1]. يتطرقـــون الى الفناء الداخلي من جوانبه الهندسية والاجتماعية والفنية...فيحددون أبعادهوعدد الغرف المشرفة عليه ويستعرضون مختلف انواع التجهيزات التي تفصل حيزهعنالشارع: دهليز، سقيفة، ممرات.. يتجاوزون بذلك اعتبار وسط الدار مجردفراغ او انجاز وظيفي لا يهدف الا الحصول على الهواء والانارة فحسب، بل يعدونه أحد الركائز الاجتماعيـــة المعمارية والاجتماعية الاساسية التي تميز الاقامة في المدينة التاريخية.

يتشكل وسط الدار في حي القصبة (الجزائر العاصمة)من حيز مركزي تحيط به مختلـــف الشقق. تنتظم هذه الأخيرة على عدة مستويات تنفتح نحو وسط الدار وتقيم بكل شقـــة عائلة. يتخذ فناء العمارة السكنية أبعادا هندسية رباعية تطل في اتجاهه الشرفـــات التي ترتكز من جهتها على أعمدة وأقواس. تتباعد هذه الأخيرة في اناقة وتناسق والكل يتباهى بالنقوش والخـزف...

---

1) نذكر من ضمن الدراسات حول المسكن القديم.

- القصبة: الهندسة المعمارية و تعمير المدن. رياض الفتح، كوميدي، بروكسل، 1986

$RRBASAGANA ET.. Ali SAYAD: Habitation traditionelle et structure familiales en Kabylie .C.R.A.P.E. ALGER, 1974.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقدّم فناء العمارة السكنية وهو مفتوحا نحو الاعلى معطيات جمالية وفنّية يفتقدها المحيط الخارجي أين تبدو المساكن أكواما من البنايات لا حد لها، لولا بعض الفواصل التي تحدثها الممرات المغلقة.

يتصف وسط الدار في المدينة القديمة كحيز مشترك ينتمي اليه الجميع، فلا يحين وقت الظهيرة حتى يصبح جاهزا لعودة الرجال او استقبال الضيوف. تشمل عملية التنظيف الساحة الرئيسية والممر نحو الخارج، أين تراعى العتبة الرئيسية بطقوس خاصة، تهدف هذه الاخيرة حماية السكان من كل مكروه. كثيرا ما يبقى الباب الخارجي مفتوحا، يتوقف عنده الضيف ينتظر"حرية الطريق " لخضوع دخوله أو خروجه الى قواعد تتضمن اشارات من الرجال يدعون من خلالها النساء الى الانسحاب من الفناء والاختفاء وراء الستائر والابواب. لا يعني ذلك عزل الحريم من الحياة الاجتماعية، تتمكن النساء من مراقبة الغرباء والضيوف دون مشاهدتهنّ.

يحتضن وسط الدار في البناية السكنية القديمة مرحلة وجيزة من حياة الاطفال قبل ان ينتقل الذكور الى أعباء الحيز الخارجي والاناث الى المشاركة في الاعمال المنزلية يتعامل الاطفال في سنّ مبكرة بالمحيط الخارجي كحيز لا يرحم لأنه مفعم بالمخاطر، غير آمن وكمصدر للكوارث الطبيعية ولأوبئة ... يتطلب الحذر والصبر وحسن التدبير في المعاملة. تشكل التقاليد الاجتماعية أساس هذا التعامل، يتداولها الافراد والعائلات من جيل الى جيل دون تغيير أو تحويل. مما يفسر التوتر والانقباظ لدى الكثير من الجزائريين لمجرد تفاعلهم بالمحيط الخارجي أو بأفراد من غير أهلهم وذويهم.

تحظّر الفتاة من جهتها وفق أسس اجتماعية محددة لتكوين زوجة مثالية ومديرة ناجحة للشؤون الداخلية للمسكن، على ان يخضع تنقلها وسلوكها العام الى ضوابط ثقافية عريقة.

سبق وان اثارت ظاهرة توزيع الجنسين على الحيز الاجتماعي للمدينة وغياب المرأة الجزائرية من شوارعها، الكثير من الباحثين الغربيين الذين رأووا في هذه الظاهرة افراطا في سلطة الرجال، بل اعتبروا ذلك تعسفا في حق النساء. ان ملاحظة توزيع الادوار الاجتماعية بين الجنسين في النظام الاجتماعي السابق يجعلنا نتكلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـــــــن التكامل بين المرأة والرجل.تتحمل المرأة الى جانب انجابها وتربيتها للأطفال، مساهمتها المباشرة في الحياة الاقتصادية للأسرة والتي تبدأها قبل كل شيء بالعلاقة الجنسية لانجاب الاطفال. يشكل هؤلاء الايدي العاملة والقوة الانتاجية الاساسية في اقتصاد متخلف وتقنيات ضعيفة .

هكذا يرتبط الحيز الخارجي بالحياة العامة :بالسوق ،بالمقهى، بالممرات والساحات، بالغرباء، بالحذر وانعدام الامن في حين يرتبط الحيز الداخلي بالحياة العائلية المشتركة، بالشرف بالمرأة، بالمراقبة الاجتماعية وبعلاقات الجوار. تحمل الابعاد المعمارية لكلا الحيزين رموزا هندسية ومعاني اجتماعية وثقافية، يجعل منها السكان أماكن مقدسة لا تقبل التغيير والتحول.فلا تعتبر اذن المصطلحات العديدة حول السكن الا عن ثراء لغوي، تحافظ البنايات والمساكن بنفس الخصائص المعمارية، والاجتماعية التي يعيدها السكان عند انجاز أي بناء سكاني جديد. يلقى الجوار مكانة مرموقة ضمن هذه الخصائص. نحاول ان نوضحها ضمن هذا التحليل.

3 - علاقة الجوار أو التملك الاجتماعي للحيّز السكني

يتجاوز مفهوم الجوار في تقاليد السكن في المجتمع الجزائري العلاقة بين السكان لمجرد تقاربهم الفيزيقي ليشمل الى جانب ذلك تضامنهم وتعاونهم. تفرض علاقة الجيرة على مختلف الافراد والعائلات الاستجابة لمتطلبات الجار والتعاون معه، بل التضحية في سبيله ومراعاة مصالحه عند غيابه... يتعرض كل من لا يمتثل لهذه القواعد الى عقاب اجتماعي والاهي.

يقدم المثال الشعبي"الجار قبل الدار" كيف يكتسب المسكن قيمته الاجتماعية والوظيفية من خلال مميزات الجوار الذي يمكن ان تتصف بها الحياة السكنة .تتداخل علاقات الجوار لتحدد الروابط الاجتماعية الاساسية التي تتحكم في التفاعل الاجتماعي وتؤثر في تحديد النسيج العمراني للمدينة التاريخية، بحيث تعطي أزقة وأحياء تحيط بها أصوارا وأبوابا تفصلها عن بقية المساكن والاحياء. أشارت ليلان مسلم أن مدينة القصبة كانت مقسمة الى حوالي عشرين حيا تغلق أبوابها ليلا... ولا يعرف الى حد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآن المحيط الذي اقيمت عليه وبالتالي يصعب فهم تنظيماتها ووظائفها [1]. تدعى الاماكن التي يتم فيها التبادل بين الاحياء بـ "سويقات" وهكذا يمكن القول أن المدينة القديمة تعرف اماكن خاصة تضم جماعات يرتبط أفرادها بعلاقات وجدانية اجتماعية وأماكن للتفاعل بين هذه الجماعات .

يحمل الجوار من خلال هذا التنظيم كل معاني التفاعل والتعاون، يكفي أن يتقاسم السكان بناية أو حيّا سكنيا لكي ينظموا الى تجمع سكاني يميزهم عن بقية السكان والبنايات والأحياء .

تشكل العائلات الوحدات الاساسية التي تعمل بنياتها الاجتماعية الممتدة ونشاطها الاقتصادي والتجاري والحرفي على تحديد الطابع المعماري للبنايات السكنية والمرافق التابعة لها . يقع بناء أي مسكن جديد بالضرورة على امتداد البناية الاصلية سواء كان ذلك في اتجاه عمودي أو أفقي شرط ان تحافظ المساكن الجديدة بنفس الابعاد المعمارية الأساسية : أي تجهيزها بفناء وجدران تفصلها عن الحيّز الخارجي.

يتضح مما سبق كيف تخضع كل العناصر المعمارية للمدينة القديمة الى النماذج الثقافية والى العلاقات الاجتماعية بين السكان. تجسد المباني والمساكن مظاهر خارجية خالية من أي نشاط فني هندسي رفيع، تستقطب من جهة أخرى، الاعمال الفنية المحلية التي يتصف بها الحيز الداخلي، كل الاهتمام . هل يعود ذلك الى فلسفة التواضع والعدالة التي تميّز الفئات الاجتماعية بالاحياء القديمة أم هو انعكاس لضعف وتخلف هندسة الواجهات الخارجية في المباني والمساكن ؟ يمكن أن نؤكد الاتجاه الأول بمجرد ملاحظة الواجهات الخارجية لبعض المساجد. تعرف هذه الاخيرة انجازات هندسية رفيعة .

يؤكد ق. محرور هذه الخاصية ويضيف عند وصفه للمدينة التاريخية (القصبة) أن الأنهج مغلقة لا أسماء لها، تحف بها ديار بدون واجهات وهو وضع كان قائما .

---

1) ليلان مسلم :تركيب مدينة القصبة وتنظيمها قبل سنة 1830 في كتاب القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن. الجزائر 1984 ص 28

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المناطق المخصصة لمختلف الحرف والاسواق، حيث لا ضخامة ولا فخامة .ان هـذه المييزة خاصة بالمساجد لا غير... ان توظيف المكان وقيمته كانا محدودين بمايجري فيه"[1].

حافظت المدينة القديمة على هذا الاتجاه وجعلت من أية محاولة لتغيير مفرداتها المعمارية والثقافية خطرا يهدّد الأفراد والجماعات على حدّ سواء.

لم تشكل اساليب استعمال الحيّز السكني للمدن القديمة موضوعات اساسية للباحثين، أهملت هذه الجوانب في كثير من الدراسات المعمارية للتجمعات السكنية القديمة. دفع ذلك بعض الباحثين الى وصف سكان المجتمع التقليدي بالضعف في الحس المديني منطلقين من ملاحظاتهم من الابعاد المعمارية الخارجية للمباني والمساكن.

تعتبر هذه الأخيرة منغلقة على نفسها لا يفصلها عن الشارع سوى اسوارا بها فتحات ضيقة رأى فيها هؤلاء الأجانب انها تستهدف التهوية متجاهلين ما يضمه الحيز الداخلي للبناية السكنية من ابعاد اجتماعية وعناصر هندسية وبالتالي غير مدركين الآ لجزء من النظام الاجتماعي الشامل.

يمكن أن نؤكد اذن ان المدينة القديمة مركبة من سلسلة من الوحدات المعمارية التي تخضع الى تكرار هندسي توجهه معايير اجتماعية وثقافية محددة :كالجوار والفصل بين الحيّز الداخلي والخارجي، بين الحياة الخاصة والحياة العامة. لا يجرّد هذا التكرار الافراد والعائلات من مميزاتهم البيئية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بقدر ما يعمل على توزيعها على الحيز وترسيخها في الذهنيات والسلوكات. تصبح المساكن والبنايات والمرافق التابعة لها لغة معمارية واجتماعية معبرة عن العلاقة بين الطبيعة والمجتمع والثقافة.

تتمحور الحياة السكنية حول سلسلة من العناصر النفسية الاجتماعية والثقافية والدينية التي تؤكد هذه العلاقة. نحاول أن نبرز منها ما يلي:

---

1) الرشيد سيدي بومدين: مدخل كتاب القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن. كوميدي- بروكسل 1984.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 ـ انعدام الامن: وهي خاصية أساسية تميز علاقة الافراد والعائلات بالمحيط الخارجي وتتضمن انعدام التحكم والضبط لمفردات هذا الحيز رغم التبعية لها. فهي مصدر للخطر والكوارث كما هي مورد اقتصادي أساسي وعليه يلجأ الافراد والجماعات الى استعمال الحيلة والخداع واقتناص الفرص لتحقيق حاجاتهم منها. تشمل هذه الخاصية بالاضافة الى الطبيعة الخارجية الافراد والجماعات خارج الحيز السكني المشترك وخارج الاطار العائلي والعشائري. يخضع التعامل معهم الى نفس الخاصيات مما يعقد التفاعل الاجتماعي خارج هذا الاطار .

2 ـ التعارض بين الحيّز الداخلي والحيز الخارجي: يعتبر هذا التعارض نتيجة لأهمية الامن/انعدام الامن في التصورات الاجتماعية وفي سلوكات الافراد والجماعات يجسد سلوك البناء هذه الثنائية ليصبح الحيّز السكني الخارجي مصدرا للاخطار المتعددة . يتضمن هذا التعارض الى جانب الفصل بين الحيزين الفيزيقيين فصلا بين الحياة الخاصة والحياة العامة .لا تتحدد الحياة الخاصة في مجال الفرد الواحد أو الاسرة الواحدة فحسب بل تشمل شبكة العلاقات الاجتماعية والعائلية والعاطفية . لهذه الخاصية أهمية في تحقيق حاجات الافراد وتنظيم الحياة السكنية .

3 ـ العلاقات العاطفية الاجتماعية : تغرس هذه العلاقات جذورها الوجدانية في علاقة الفرد بالاسرة وبالوالدين وخاصة بالأم . بحيث يرتبط الطفل فترة زمنية معتبرة بالأم وبالوالدين في جوانبه الفيزيولوجية والغذائية والعقلية لا يعرف استقلالية معينة . يمر تحقيق حاجاته المختلفة عبر قنوات والدية .فبفضل الطاعة والامتثال للمعايير العائلية يكتسب الطفل مكانة اجتماعية معينة . بنفس هذه العلاقات الوجدانية وبنفس هذا الامتثال يبني الفرد علاقاته بذويه وأقاربه ليحقق حاجته الخاصة . تعوض العلاقات الوجدانية الاجتماعية الضعف والتبعية للطبيعة والمجال الخارجي. يعوض الفرد تبعية بتبعية أي تبعية بالمجال الطبيعي والبيئي بتبعية اجتماعية وعائلية . فاذا لم يمكن السيطرة على علاقته بالطبيعة فان سيطرته على تفاعله وتعامله الاجتماعي تبدأ مبكرا، في الطفولة وتمرّ عبر قنوات تربوية ودينية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتجلى هذه العلاقات العاطفية الاجتماعية في الممارسة الاقتصادية والاجتماعية ، في التعاون والجوار .

4- علاقات الجوار: يشكل الجوار قاعدة اجتماعية في النظام الاجتماعي التقليدي ويهدف الى ارساء شبكة من العلاقات العائلية التي تمكن من التفاعل لتحقيق الحاجات: كالحاجة الى الأمن وتبادل السلع والمواد المادية . يجسد الجوار مبدأ التعاون ويحدد مجالاته وأهميته اذ تعتبر هذه العلاقة قريبة جدا الى العلاقات العائلية والروابط الدموية . يكفي لأحد أن يقيم بنفس الحي أو بنفس البناية السكنية لكي ينعم بفوائد الجوار ويكون مطالبا بواجبات التعاون.

5 ـ المراقبة الاجتماعية والامتثال: تتداخل المعايير الاجتماعية لتشمل العديد من جوانب حياة الافراد والعائلات فتشكل اساس الفعل التربوى والاجتماعي،تعطي هذه الميزة صفة الشمولية والتأثير العميق والواسع للمعايير الاجتماعية والثقافية السائدة في النظام الاجتماعي السابق. تتنافى هذه الصفة مع مبدأ التغيير والتحويل. يتحقق ذلك باحياء نظام مراقبة صارمة ، تجعل من الفرد والعائلة عناصر اساسية في احياء وتوظيف هذه المعايير في الحياة الاجتماعية وهذا ما يجعل النظام الاجتماعي يتميّز بالركود والجمود و ذلك بتطبيق مبدئي المراقبة الاجتماعية والامتثال، وتقييم العمل والسلوك بين الحلال والحرام وبين الذي يجوز وما لا يجوز ...

لا يجمل المجتمع التقليدي بذور تحوله وتطوره من الداخل ولا يتقبل بسهولة عناصر التغيير والتحول الصادرة من خارجه ، وهذا ما يفسر بقاء المساكن والبنايات التقليدية محافظة على طابعها المعماري ويفسر كذلك صعوبة تغيير الذهنيات والسلوكات التابعة لحيازة المساحات السكنية الحديثة .

لاثبات هذه الفكرة نحاول ان نوضح كيف همش الاستعمار الفرنسي النماذج السكنية القديمة وشجع المساكن الغربية دون ان يحقق تغييرا في نمط حيازة السكان للمساكن والبنايات عندما أقام عمرانا غريبا على المجتمع التقليدى وفرض عليه الكوخ والمسكن الحقير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـل الثـــانـــي

العمران الفرنسي اثنـاء الاحتلال : تحضر فاشل

أشرنا في الفصل السابق الى مدى الترابط العضوي بين العوامل الاجتماعية والثقافية للمجتمع ونمط البناء والسكن حتى قلنا أن المدينة التاريخية كانت تجسيدا للعلاقات الاجتماعية على المكان. لم تحافظ المدن القديمة الا على التراث المعماري في حين تلاشت تقاليد السكن الحضري نتيجة عوامل تاريخية والى الزحف الريفي المتواصل على هذه التجمعات السكنية. جاء الاستعمار الفرنسي ليعمق هذا الاندثار بارساء عمران غريب وعدائي على المجتمع الجزائري.

يعرف النسيج العمراني الحالي تداخلا بين الابعاد العمرانية القديمـــة والحديثة. فهو يجسد على الحيز المراحل التاريخية للعمران الذي عرفه المجتمـــع. فالى جانب وجود الاثار التي تعود الى الرومان والبزنطيين بمحاذاة بعض التجمعات السكنية، تمتد المدينة العربية أو التركية بجانب البنايات الاروبية المنجزة في فترة الاستعمار الفرنسي. يحيط الكل أحياء سكنية جديدة ومباني عمومية رأت الوجود بفضل مجهود التنمية بعد الاستقلال.

ليس المقصود هنا تقديم عرض تاريخي لمختلف مظاهر العمران في المجتمع الجزائري، بقدر ما يهمنا الاشارة الى الغنى العمراني التاريخي من جهة وعلاقتـــه بالخبرة في السلوك الحضرى من جهة أخرى. أيّ هل لهذه الثروة العمرانية التاريخيـة تأثير وفعالية على السلوك الاجتماعي للاقامة بالمدينة الحالية ؟

يؤكد بعض الباحثين في العمران بالمغرب العربي انه رغم الغنى التاريخي والعمراني للمنطقة لا يتصف السكان الأصليون بسلوكات اجتماعية مدينيّة تظهر خبرتهم في الاقامة الحضرية [1]. يعيد بعضهم الاتصال الاول للفرد الجزائـــري

---

1) نقصد بهؤلاء الباحثين فرق البحث حول دراسة العمران في شمال افريقيا :

.Villes et société au maghreb (études sur l'urbanisation) . ed, CNRS?Paris1974.
.Systéme urbain et développement au maghreb. OPU , Alger; 1983 .
.Lés urbanisations au maghreb (homologie et dispaités.), CNRS, Paris, 1974 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعمران والتحضر الى سنوات الاستقلال متجاهلين ميّزات التحضر في المدن التاريخية التي سبقت الاحتلال الفرنسي .

يتجاهل هؤلاء الباحثين مظاهر التمدن التي يمكن أن يكون المجتمع الجزائري قد تأثر بها ـ أو أثر فيها ـ [1] من خلال تفاعله بمختلف أشكال الاقامة التي سبقت الاستعمار الفرنسي، بل لا يرون فيه الا مجتمعا ريفيا، بقي غريبا على العمران بمختلف مظاهره وأطواره. يمكن أن نقدم نموذجا منه من خلال العمران الفرنسي في الجزائر أثناء الاحتلال.

لم يقدم المهندس المعماري الأروبي نماذج هندسية للسكن والبناء قصد تحقيق الحداثة والتطور كما ادعت بذلك النظرة الاستعمارية فحسب، بل غرس أدوات عمرانية غريبة وعدائية لأنها متباينة مع التقاليد الاجتماعية ومستنزفة لخيرات المجتمع ومهدمة لعمرانه وثقافته.

1 ـ مرحلة التهديم

لم تبق فرنسا على النسيج العمراني الذي عرفته الجزائر قبل الاحتلال، حيث استهدف استلاءها على المدن، انطلاقا من الجزائر العاصمة، السيطرة على التجمعات السكنية الرئيسية بالقوة. سجل تاريخ المقاومة الجزائرية للاحتلال صمود سكان المدن الذين شهدوا ـ من عاش منهم أو بقي في المدينة ـ كيف هدم الاروبيون المرافق المعمارية للمدن التاريخية لاقامة عمران جديد. انجزوا التحصينات العسكرية التي تؤمن مرور القوات الضرورية للاحتلال.[2] بنوا بعد ذلك المباني السكنية والمرافق التابعة لها وفق تخطيط عمراني يستجيب لعمليات الغزو وتنظيم صفقات البيع والشراء والتخزين والتصدير...أي اقامة عمران يتجه نحو مواجهة الداخل لغرض السيطرة والتجهيل ونحو الخارج لتجسيد اهداف عسكرية واستعمارية...

---

1) انظر الفصل الأول: المدينة التاريخية.

2) قنديل شولمر: قسنطينة أيام احمد باي، ترجمة وتقديم د/ابو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.ص 11و 12

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت الخطوة الأولى بالنسبة للمستعمر الجديد هو اعادة بناء وحيازة المدينة وفق معايير معمارية واجتماعية وثقافية جديدة. لتحقيق هذه العملية كان لا بد من تهديم بعض المباني وتحويل البعض الآخر لأغراض غير اغراضها الاجتماعية والثقافية الاصلية كالمساجد والقصور...

ارتفع بعد ذلك عدد الأجانب في المدينة حيث اتسعت على حساب السكان المحليين الذين لم يبق منهم في هذه الاخيرة الا بعض مساعدي الادارة الفرنسية وكبار التجار. بينما استقرّ الحرفيون وعمال الأرض على هامش التجمعات السكنية الأروبية منشئين بذلك الأكواخ القصديرية الأولى في المجتمع الجزائري.

سمحت خصوبة الارض ووفرة انتاجها للاستعمار الفرنسي من استقطاب المعمرين واقامة تجمعات سكنية ريفية منتشرة على الهضاب والسهول. يعد الانتاج الفلاحي هدفا رئيسيا للعمران الجديد حيث تشكل الجزائر العاصمة، بكل ما كانت تضمه من نواحي زراعية، مثالا لمدينة مفتوحة نحو الخارج[1] وجسرا تجاريافي اتجاه الدول الأروبية. دفع ذلك بالمعمرين الى استغلال الأرض بتتبع فلاحة متخصصة تلبي اقتصاديات وحاجات البلد المستعمر من الحبوب والكروم والحوامض... هذا فضلا عن شحن المواد الأولية الأساسية من مناطق عديدة في الجزائر [2].

كان الترابط قائما بين سياسة النهب واقامة المخططات العمرانية والعسكرية. بنى الفرنسيون تجمعات سكنية على الشريط الساحلي وشيدوا معسكرات في الداخل قصد تأمين استنزافهم للخيرات، مما أعطى للجزائر ما بعد الاستقلال نسيجا عمرانيا مضطربا ومتناقضا بين الساحل الجزائري وبقية المناطق.

أدى اغتصاب الأرض بالقوة الى ادماج فئات واسعة من الجزائريين فياقتصاد يضمن للاستعمار وفرة الانتاج بدون تكاليف وفق معطيات النظام الرأسمالي، أدى ذلك

---

1) LACHRAF (M.): L'Algerie, nation et société . SNED , 1978, (P 48 .
2) COTE (M.): L'éspace Algerien (prémices d'un ménagement.)2OPU, Alger 1983, P. 67 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى تعجيل هجرة السكان والزحف من المناطق الريفية الى الاراضي الخصبة تحت قبضة المعمرين او الاتجاه نحو التجمعات الحضرية الكبيرة لتقديم طاقة عملهم مقابل أجور ضعيفة . ازدادت حدة الزحف الريفي كلما اختل التوازن بين الساحل المنتج وتجمعاته الحضرية وبين الريف والجنوب اللذان تجتاحهما الكوارث الاستعمارية والطبيعية ..

ان الفقر والحرمان الذان عانى منهما المجتمع الجزائري بفعل اقتصاد متخلف وتقنيات ضعيفة ساعدا في الطلب المتزايد على العمل المأجور (1)، العمل الذي لا يمكن ان يستجيب لمتطلبات بناء المساكن المقبولة التي تضاهي مساكن الأروبيين وخاصة وأن وسائل البناء مكثت تقليدية ومواد الانجاز كانت جلها تحت يد الاروبيين. مما جعل نماذج السكن تبدو في شكلين متعارضين:

1 ـ مساكن أروبية : منجزة وفق طرق حديثة باستعمال الاسمنت والحجارة والمواد الحمراء وموزّعة في الحيّز وفق تنظيم وخطة عمرانية متكاملة . تتوفر بها المرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مجهزة بالأساسيات العصرية : كهرباء، مجارى، مساحات حرة ... يضمها محيط ايكولوجي مناسب. تحمل اغلب التجمعات السكنية الاروبية اسماء من التاريخ العسكري الفرنسي، بل قل التاريخ الاستعماري، لا تزال العائلات الجزائرية تتذكر بشاعة اعمالها : (فيليكس فور، رفيقو، اومال، كوربي، بالسترو...)

2 ـ تجمعات سكنية محلية منجزة بالطين والصفائح المعدنية بعضها من القصدير والبعض الآخر من الحجارة، كان أغلبها خاليا من التجهيزات الاساسية . اكتفى الفرد الجزائري باعادة ادماج العناصر الاجتماعية الثقافية في كل مسكن يبنيه وفي كل حيّ يقيمه، كأن يضع مكانا خاصا للحوش وحيزا للممرات المغلقة والساحة الجماعية والسوق والمسجد... عند انجاز المساكن والاحياء المهمشة والأكواخ القصديرية .

جعل المستعمر من الزيادة الديمغرافية ورثّ أحوال السكان عاملان حاسمان في اقامة شبكة صناعية ومتكاملة مع ضروف التنمية السريعة التي شهدتها الدل الاروبية .

I) BOURDIEU (P.): Le déracinement. éd. de minuit, Paris, 1964, P. 83 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد الحربين العالميتين، تضمّن مشروع قسنطينة الخطوط العامة لهذه العملية . يحمل هذا المشروع مخططا سياسيا واقتصاديا وعمرانيا يخفي أكثر من غاية استعمارية واحدة . لم يعمل التصنيع والبناء اللذان جاء بهما هذا المشروع على حلّ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية واوضاع السكن التي كانت سائدة ، بل عمّق في التعارض بين أوضاع الاقامة للأروبيين والسكان المحليين وزاد من قدرات المستعمر لاستغلال خيرات المجتمع.

2 ـ خاصيّات العمران الفرنسي

أعطت هذه الوضعية ميلاد نسيج عمراني جديد بمميزات هندسية واجتماعية وثقافية خاصة ، جعلت منه امتدادا مباشرا للنسيج العمراني الأروبي ـ ما وراء البحر ـ يتمحور التجمع السكاني الفرنسي حول مركز رئيسي يتوزع على الجهات الأربعة الاساسية مجسدا على الحيز الخطوط المتعامدة لشكل صليب [(1)]. يقيم المستعمر على الجوانب الاربعة لهذا المركز البنايات الهامة : البلدية ، الكنيسة ، المؤسسات المالية : البنك الضرائب... على ان تتوزع المساكن والمحلات التجارية والمرافق التعليمية والترفيهية على بقية المناطق. تحتل مجموعات عسكرية نقاط ومراكز استراتيجية على مشارف المدينة لتأمين حياة الأروبيين الذين يشكلون بنسب متفاوتة الفئة الرئيسية للسكان في المدينة .

تبدو التجمعات السكنية الجديدة بخصائصها المعمارية والثقافية والدينية جسما غريبا على المجتمع الجزائري، يقابلها من جهة أخرى من الحيز تجمعات سكنية بسيطة ومتواضعة تحمل "الثوابت العمرانية والاجتماعية الثقافية".

يبدو الشارع في التجمعات السكنية الجديدة أنيقا بأشجاره وحدائقه العامة ، وملاهيه ومرافقه وبنظام التعامل فيه مجسدا بذلك "منظومة من العلامات والاشارات"[(2)] يتوزع الحيز الخارجي بين ما هو مخصص للراشدين وما هو مخصص للأطفال والشباب.. بين ما هو فردي وما هو عمومي، بين ما يجب فعله في النهار وما يجب مراعاته في الليل اي حسب تنظيم دقيق للحياء الاجتماعية في أبسط السلوكات اليومية : من القيام بجولة

1) CHARRE (A.): Art et urbanisme. P U F , Paris 1983 P 119. (1

2) الرشيد سيدي بومدين. نفس المرجع السابق، ص 14

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في آخر المساء فيالساحات العامة الى المشاركة في حفل عمومي او استقبال اجنبي.. يصبح الشارع غني بالرموز والمعاني الثقافية، بما يقدمه من لافتات واعلام وتنظيم للتجمعات... حاول المستعمر بانجازاته المعمارية ان يجعل من تجمعاته السكنية امتدادا طبيعيا للحياة الاجتماعية الأروبية ومطابقة لاجواء الكثير من المدنالأروبية.

3 - تناحر ثقافي:

كان التفاعل قائما بين النظام الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الأروبيى والاطار المبني، يستجيب هذا الاخير لحاجات ومتطلبات الأروبيين ليوسّع الهوّة بينالاوضاع المعاشة للمستعمِر والمستعمَر في مجالات عديدة من الحياة الاجتماعية الصحية، المهنية والعامة... أي أنه فضلا عن الاختلاف والتباين في نمط الاقامةوالسكن تتعارض أوضاع الأروبيين والسكان الاصليين.

يرى الرشيد سيدى بومدين في هذا التباين انعكاس لتناحر بين فلسفتين على الحيز السكني والاجتماعي:"هناك فلسفتان في نظام المدينة وفي الحياة: البرنس والجلابة يمثلان المساواة والتعادل بين الهيئات الشخصية بينما جدار الواجهة يخفي الفروق بين الدور. اما اللباس الاروبي فهو يميز شخصية صاحبه التي قد أعلن عنهاموقع الدار وواجهتها. فنشأ عن ذلك منطق التمييز وزاده تأكيدا دلالات التفرقة الأخرى"(1).

يعود سبب فشل الاستعمار، كظاهرة انسانية عرفتها البشرية، الى التناحر المستمر بين ثقافة المستعمر وثقافة المستعمر. فاذا امكن لهذاالاخير من السيطرة على الموارد الطبيعية والاقتصادية، فان العوامل الاجتماعية والثقافية تبقى حرة تنمي الحيوية الاجتماعية للسكان الاصليين وتميزهم عن المستعمرين مما اعطى عدم الاستقرار التام والتناحر المستمر.

---

1) الرشيد سيدي بومدين: نفس المرجع السابق، ص 14

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يمكن الحديث عن اقامة الجزائريين في المدينة الأروبية بشكل معتبر قبل الاستقلال، لا يمثل هؤلاء الآ جزءا نادرا من السكان سمحت لهم الفرصة لتحقيق مثل هذه الاقامة . يمكن وصفهم بالمسخ الثقافي في سلوكاتهم الاجتماعية ونمط تعاملهم وفي مظاهرهم الخارجية ... يمكن اعتبارهم بالغرباء على الحيز الأروبي اكثر مما هم متمدنين. فالى جانب ذلك فانهم يفقدون مكانتهم الاجتماعية لدى الفئات المحلية . يعد الرجل منهم " بالمتورني" او يتصف بالعميل" او الحركي" فلا يمكن أن يتمّ تمدن الافراد والعائلات الجزائرية اثناء الاحتلال الآ على حساب المكانة الاجتماعية التي يعمل بعض السكان على استرجاعها بتنظيم علاقاته واتصاله بالمنطقة الجغرافية الأصلية أو الظهور بالمحافظة على التقاليد الاجتماعية الثقافية في العديد من المناسبات (الاعياد الدينية الافراح والاقراح العائلية ...) أو بالتعاون السري مع المنظمات الوطنية كتقديم المساعدات المادية لجبهة التحرير الوطني

دخل الفرد الجزائري حيز المدينة الاروبية، التي بقيت ممنوعة عليه، كعامل أجير أو تاجر حرفي أو ثائر خطير... يتذكر الأفراد والعائلاء "كيف كانت المراقبة شديدة للانتقال بين " العالمين " عالم المدينة الأروبية وعالم الأكواخ والمساكن الحقيرة، بين عالم المرأة السافرة والمتفتحة وعالم المرأة المتحجبة والمراقبة الاجتماعية ... حولت بعد ذلك حرب التحرير تناحر العالمين والثقافتين من أوضاع التباين الى حالة التصادم، شهد من خلالها الشارع الأروبي العديد من التغييرات. أصبح تدريجيا يعبر عن اوضاع الحرب والاستنكار بتواجد القوى العسكرية والامنية وبتجديد المظاهرات الشعبية والعمليات السرية ... رأى فرانس فانون في ذلك بداية لتحول جذري في المجتمع الجزائري(1) .

قدمّنا بهذه المعطيات التاريخية صورة للعمران الفرنسي الذى ورثه المجتمع الجزائري بعد الاستقلال والذى لا يزال يشكل جزءا معتبرا من النسيج العمراني الحالي. مثّلت المدينة الاروبية شهادة واقعية وتاريخية لفشل الاستعمار في تحقيق أي تحضّر أو تمدن في ظروف تخريب مجتمع لمجتمع آخر وثقافة لثقافة أخرى..لم يقم الفرنسيون

---

1) فرانس فانون: سوسيولوجية ثورة : ترجمة ذوقان قرقوط، دار الطليعة بيروت ض107

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا عمرانا يحمل نظاما اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا متباينا مع ما عرفه المجتمع الجزائري من اشكال الاقامة السابقة ومتلفا للسكن ومشردا للسكان .

جمّد الاستعمار الفرنسي نمط انجاز الأفراد والعائلات الجزائرية لمساكنهم لاحتكار الاروبيين موادالبناء وتقنيات الانجاز وفرض الكوخ القصديري والمسكن البالي كأمر واقع على العائلات الجزائرية . وجّه الاستعمار الفرنسي تمدّن بعض الافـــــراد والعائلات في التجمعات السكنية الاروبية لفرضه حصارا على الظروف الموضوعية للتحضر وفق معطيات المدينة القديمة (القصبة .) . بقيت هذا النوع من السكن المديني نماذج تاريخية متقهقرة بالنسبة لما كان ينجز بجوانبها من تجمعات حضرية جديدة وحديثة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجزء الثاني

التحول الاجتماعي ومكانة السكن ضمن المجهود التنموي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

السكن والتنمية : الطموحات الاجتماعية نحو التمدّن

قدمنا من خلال الفصلين السابقين من هذا البحث بض خصائص الاقامة الحضرية في المجتمع الجزائري. رأينا كيف تتفاعل نماذج السكن في المدن التاريخية مع النظام الاجتماعي ومع بنية الاسرة من حيث التوزيع الدقيق الحيّز للسكني بين داخل المسكن وخارجه . لاحظنا كيف تداخلت كلّ من مصطلحات العائلة بمصطلحات المسكن وكادت تعبّر عن مفهوم واحد. قدمنا بعد ذلك الكيفية التي اتبعها الاستعمار الفرنسيلاثارة الاضطراب في النظام الاجتماعي للاقامة . رأينا أنّه أدخل نماذج سكنية غريبةعلىالمجتمع الجزائري واحتكر التقنيات ووسائل البناء وأدمج عناصر ثقافية أروبية فينسيج عمراني متباين مع تقاليد الا قامة الجزائرية . شرع الفرنسيون في تهديم المباني والمجمعات السكنية في القرى عندما تبين لهم انّ العائلة الجزائرية كانت مصدر قوة المجتمع وسر تماسكه وعقبة أساسية أمامه في تحقيق سيطرته الكاملة . خرّب المنازل والمباني، شرّد السكان وأقام المحتشدات، وفرض الكوخ والمسكن المنحط كأمر واقع. عقّدت هذه الظروف مسألة السكن بعد الاستقلال عندما برزت الحاجة للاقامة المناسبة ضمنالطموحات الاجتماعية نحو التمدّن.

بالاضافة الى هذا العامل التاريخي، تلعب ميّزاتاجتماعية واقتصادية دورا فعّالا في تحديد مسألة السكن في المجتمع الجزائري: كبنية العائلة والنزوحالريفي والنمو الديموغرافي والتصنيع ... على أساس ان المسكن أبعدمن مجرد حاجة اجتماعية محدودة لما يقدمه من خدمات وما يمكنه من ترقية وأمن واستقرار وتفاعل احتماعي...

لا أحد ينكر الدور الذي يقدّمه المسكن المناسب في حاضر ومستقبل الأفراد والعائلات. يعتبر أي اضطراب فيه مؤشرا لأزمة خطيرة، تشتمل أبعادها جوانبالحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على حد سواء. تتفق أغلب الدراسات حولالسكن في الجزائر على الطابع الحاد الذي يميّز مسألة اقامة العائلة الجزائرية، سواء الدراسات التي تركّز على الفارق في البيانات بين الحاجة الى السكن وبينالامكانيات المتوفرة، او الدراسات التي تهتمّ بالظواهر الاجتماعية المرضيّة الناجمة من تدهور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شروط الاقامة. يتّجه أغلب الباحثين في هذه الدراسات[1] الى توضيح أسباب أزمة السكن وتأثيرها على الميادين الاجتماعية والاقتصادية للأفراد والجماعات. لقد أصبح النقص في توفير المساكن المناسبة لتقاليد العائلة الجزائرية يؤثر في أغلب جوانب الحياة ويكاد يشل الفرد الجزائري في تفكيره، في نشاطه وبكلمة واحدة في عمليّة تحوله. يمكن لهذه الوضعية ان تجعل من التنمية الاقتصادية والعمرانية والصناعية مجهودات بدون معنى.

ترتبط مسألة السكن مثلما هي معاشة في المجتمع الجزائري بالتنمية وبالعائلة لأن تغيير السكن أو المسكن لا يمكن ان يتمّ بشكل فعّال، كما يقول شومبار دولوف الا بتغيير المجتمع والاسرة[2]. فبينما تقدم التنمية النماذج وتحدد الابعاد العمرانية للنسيج السكني العام (المجمعات الحضرية، الأحياء السكنية، البنايات...) تتملّك العائلات هذه المساحات الاجتماعية وتستعمل حيزها الداخلي والخارجي وفق قيمها وتقاليدها في حيازة البنايات، والمساكن.

يمرّ تناول مسألة السكن في المجتمع الجزائري على ضرورة ابراز الترابط بين المسكن والتنمية من جهة واستعمال الافراد والعائلات للحيّز الخارجي لهذه المساكن من جهة أخرى، يمكن ذلك من اختبار نجاعة ايديولوجية التنمية في مجال السكن في الواقع المعاش.

---

1) نشير الى أهم المراجع التي تناولت مسألة السكن في الجمتمع الجزائري من ابعادها الاقتصادية والعمرانية..

- BENAMRANE (D): Crise de l'habitat. CREA, SNED. Alger 1980.
- BENMAATI (n.a): L'habitat du tiers monde, cas de l'Algerie. SNED, 1982
- SID (B.): L'habitat en Algerie. O P U. Alger 1982.

2) CHOMBART DE LAUWE (P.H): Famille et habitation. CNRS, Paris, 1967. P II

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 ـ التناول الايديولوجي للتّنميـة :

1.1 ـ النموذج الجزائري للتنميّة :

كانت الجزائر غداة الاستقلال تمثل صورة للتخلّف الذي يمكن ان يحدثه الاستعمار بأي بلد. كان ارث الاحتلال أشدّ من ان تتجاوزه قرارات وطنيـة أو ثورية تحاول أن تقضي دفعة واحدة على مخلّفات مدة طويلة من التخلف والجهـل والاستجابة في آن واحد لكل الحاجيات المتزايدة والمتضاربة التي بدأ يطرحها الفرد الجزائري منذ السنوات الأولى للاستقلال. كان من الضروري تنظيم مخططات،اقتصاديـة واجتماعية وعمرانية تعيد توزيع المجهود الوطني في مشاريع انمائية بهدف" ترقيـة الانسان الجزائري الى المستوى الذي تتوفر فيه الشروط المطابقة لمعايير الحيـاة العصرية"[1]. تتحمل التنمية مهمة تحقيق هذه الاهداف بـ :

- بناء نظام اجتماعي قويّ يدعم الاستقلال السياسي باستقلال اقتصادي ومناعة ثقافية.
- تجسيد تغير اجتماعي عميق في بنيات المجتمع وفي تقاليد الافراد والجماعات وفق ما يتطلبه التطور من شروط.
- تجسيد ظروف الحياة العصرية للفرد الجزائري الجديد.

ان تحقيق مثل هذه الأهداف يمرّ بالضرورة على حتمية تجاوز الكثيـر من الصعوبات التي ينحصر بعضها في الجوانب الاقتصادية والعمرانية أوالتكنولوجية والبعض الآخر في الجوانب الاجتماعية الثقافية كمسألة الاختيار التنموي وعلاقتـه بالنظام الاجتماعي السّابق. لأننا نفهم من التنمية انها عملية قيام سلسلة من التحولات التي تمس الفرد الجزائري في ظروفه الاقتصادية والسكنية وفي نظام قيمه الثقافيـة. يتطلب تجسيد أهداف التنمية على الواقع المعاش مراعاة أبعاد كثيرة من ضمنهـا الاسس التاريخية والثقافية للمجتمع، لأن هذا الاخير لا يمكن تحقيق أهدافه الاقتصاديـة والاجتماعية خارج المبادرات الفردية والجماعية والاعتماد على الكفاءات المحلية.

---

1) الميثاق الوطني 1976. ص 173

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنمية عملية اجتماعية واقتصادية في آن واحد، تعكس ارادة المجتمع في توظيف امكانياته المادية والبشرية قصد احداث تحولات في نمط حياة السكان. أيّ بعبارة أخرى الوصول بالفرد الجزائري مستوى من التطور يجسد حريته وينشط قدراته وابداعاته وتعاليه. تتفق أغلب النصوص الايديولوجية على أن أهداف التنمية تتمحور حول مهمة تكوين مجتمع جديد، تتمكن فيه العائلة الجزائرية الجديدة من وضع حدّ لما كانت تعانيه من تخلف وحرمان. تفضّل النصوص الرسمية التأكيد على ربط التنمية بالعدالة الاجتماعية والاستقلال السياسي والاقتصادي والمناعة الثقافية بالاعتماد على الذات في تحقيق الاهداف. يمكن اعتبار هذه المبادىء من الاسس الايديولوجية للتنمية في الجزائر. بقيت هذه المبادىء وهذه الاهداف مجرّد طموحات تراود الفرد الجزائري. يعود سبب ذلك الى طبيعة الدور الذي لعبه الى حدّ الآن الفرد أو العائلة في تجسيد هذه المبادىء على أرض الواقع. حتى نبين طبيعة هذا الدور اخترنا بحث السلوك الاجتماعي للاقامة في التجمعات السكنية، باعتبار السكن جانبا هاما من جوانب بناء المجتمع الجديد وظرفا مناسبا لازدهار الافراد والعائلات.

الا نريد مسكنا جديد عصريا ومتكاملا في الوقت الذى لا نراعي فيه ادنى الاسس النفسية الاجتماعية والثقافية الخاصة بالمجتمع عند البناء ؟ لكي نبين التناقض بين الطموحات نحو السكن المناسب مثلما تهدف التنمية الى تحقيقه وبين واقعه المعاش، نحاول أن نبرز مكانة السكن في النص الايديولوجي في هذا العرض على أن نتطرق الى واقعه ميدانيا في الفصول القادمة.

2.1 ـ مكانة السكن في النّص الايديولوجي

عرفت مسألة اسكن مكانة في النصوص الايديولوجية الأولى للثورة الجزائرية. فبعد أن أثار الاستعمار الاضطراب في الاقامة الاجتماعية الريفية والحضرية القديمة، لم يبق أمام المشرع الآ ان يدعو الى اقامة نسيج عمراني حديث يستجيب لمتطلبات السكن الضخمة للمجتمع الجزائري دون أن يفصل في طبيعة هذا السكن. ترك للمهندسين المعماريين والفنيين مهمة اختيار النماذج الملائمة للفرد والعائلة الجزائرية. لم تقدم هذه النصوص صورة واضحة لمسألة السكن وعلاقته ببناء المجتمع الأ حديثا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا تتبعنا النص الايديولوجي في سنوات، 1976 و 1986 وفي دستور 1989، فاننا نلاحظ بعض التحول في موقف المشرع اتجاه مسألة السكن.

نصّ الميثاق الوطني 1976 على عدالة التوزيع والتخطيط لبناء المساكن للفئات الشعبية الواسعة واصلاح البنايات السكنية الموجودة. تدْخل هذه العملية في اطار سياسي"ثوري" هدفه تجاوز مظاهر التخلف والبؤس. يعتبر السكن بالنسبة لهذه الوثيقة ثمرة المجهودات، التنموية، التي نالت فيها الأولوية الصناعة والتعليم والتكنولوجيا والاصلاح الزراعي. يعتبر المسكن منتوجا اقتصاديا واجتماعيا وتعبيرا عن ارادة سياسية ثورية. تضمن هذه السياسة" مسكنا محترما يتضمّن العناصر الاساسية للراحة العصرية "[1].

يمكن القول ان انجاز العديد من المساكن وتوزيعها توزيعا عادلا كان الطموح الرئيسي للمشرّع في الميثاق الوطني ./.: أكّد النص التاريخي على ادماج المسكن ضمن السياسة الثورية دون أن يقدم المواصفات المعمارية والاجتماعية والثقافية لهذا المسكن يمكن ملاحظة نفس الاتجاه في الميثاق الوطني 1986 الذي أكد على دور السكن في المدينة الشاملة وادماج المسكن في اطار سياسة وطنية للسكن والتهيئة العمرانية العامة والقادرة، كما جاء في النّص الايديولوجي" على استعمال المساحات استعمالا رشيدا مع المحافظة على الأراضي الزراعية [2].

تقوم مسألة السكن في الميثاق الوطني 1986 على ادماج السكن ضمن تصوّر تنموي شامل. يتجه الحرص فيه أكثر من أي وقت مضى الى المشاكل الاقتصادية والعمرانية التي يطرحها الطلب المتّزايد للبناء. كالفوضى في استعمال الأراضي والمضاربة في مواد البناء والمساكن المنجزة رغم اعتبار المسكن كعامل أساسي من عوامل رقيّ وازدهار الافراد والعائلات، نلاحظ تجاهل الأبعاد الاجتماعية والثقافية في الحديث عن البناء وعن قيام

1) الميثاق الوطني 1976 ص 276.
2) الميثاق الوطني 1986 الذي ينص الى جانب ذلك على "تجهيز المساكن وفق التصورات العمرانية العصرية تستجيب لمتطلبات محيط يقوم على الاهتمام بتحسين نمط الحياة . ص 182

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحياء السكنية الجديدة . يمكن أن نشير كذلك الى النظرة المزدوجة للسكن فالىجانب امكانيته الاجتماعية والسياسية يساعد على دعم عجلة النمو الاقتصادي ببناء شبكة صناعية لمواد وتقنيات البناء والتجهيز. تنحصر بذلك الرؤيا في القضايا التقنية والايديولوجية على حساب الابعاد الاجتماعية والثقافية المحلية .

نلاحظ من خلال التحليل للنصّ الايديولوجي حرصهذاالأخير علىتوفير المساكن للفئات الاجتماعية على أساس أن السكن مادة لا يمكن الاستغناء عنها في مسيرة بناء المجتمع الجديد. لا يزال الحديث الرسمي ينظر لمسألة السكن تارة في صورة مقادير وبيانات وتارة أخرى كعنصر ايديولوجي يمثل توفيره بنسب واسعة االعدالة الاجتماعية . فالنظرة الايديولوجية للسكن نظرة اقتصادية بالدرجة الأولى وانعكاسات ذلك واضحة اليوم في السياسة الوطنية للسكن: بحيث نلاحظ استيراد النماذج السكنية ، تصنيع مواد البناء، اهمال تقنيات ووسائل البناء القديمة ، الاتجاه نحو الكثرة والعدد علىحساب النوع والانسجام مع متطلبات وظروف الافراد والعائلات، . . .

يمكن ان نستخلص من هذا أن الحديث الايديولوجي لم يقدم صورة محددة للمسكن ولا نموذجا معماريا معينا . هذا الى جانب عدم المامه بمسألة التحضركوضعية اجتماعية واقتصادية وعمرانية يؤول اليها بناء المجتمع آجلا أم عاجلا . لم يتساءل النص الايديولوجي عن أيّ مسكن يناسب الافراد والعئلات وأي تمدّن نطمح ونسير اليه .

لم تشر الوثائق الرسمية لأية مشاركة للسكان في أية مرحلة من مراحل بناء المساكن . يعتقدالمشرع أنه يكفي ادماج المسكن ضمن خطة تنموية وسياسيةللوصول بالفرد الجزائري الىالازدهار والتطور . لم تتعرض جلّ النصوص الايديولوجية أوالمقالات والبرامج الحزبية حول السكن الى التقاليد الاجتماعية الثقافية للبناء والاقامةماعدى بعض الاشارات الى ضرورة احياء التراث المعماري "العربي الاسلامي" لضمان جمال البناء [1] .

---

1) الميثاق الوطني 1986 : ص 205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان اهمال هذه الأبعاد الاجتماعية التاريخية في عملية بناء المساكن كانت له توابع مباشرة، لا يمكن لمسها الاّ من خلال تتبع السلوك الاجتماعي اليومي للسكن. تقدّم الحياة اليومية في الاحياء السكنية الحالية وفي التجمعات الحضرية الكبيرة مظاهر للاضطراب والفوضى، وهذا ناتج من اعتبار المسكن كمنتوج اقتصادي فحسب وكوحدات متكررة هنا وهناك. تقدم هذه الوضعية ظرفا اجتماعيا مشوها وغريبا عن تقاليد الاقامة السابقة: ليست اجتماعية جزائرية ولا غربية أروبية، الامر الذي أدى الى تعقد الحياة السكنية وتعقد مسألة التحضر في المجتمع الجزائري. تميز هذه الأحياء النسيج العمراني الفرنسي الموروث من عهد الاحتلال والتجمعات السكنية المنجزة من المجهود التنموي بعد الاستقلال على حدّ سواء.

3.1 - تطور النسيج العمراني ومسألة التمدن:

لم ينل السكن مكانة معتبرة ضمن المسيرة التنموية الا بعد أن شكل نقصه ثغرة خطيرة على التحولات الاجتماعية، أي بعد ملاحظة غيّاب الاطار المناسب للحياة الاجتماعية للأفراد والعائلات. رغم النمو في الميدان الاقتصادي والصناعي والتعليمي، بقيت شروط السكن متدهورة مدة طويلة. كادت هذه الوضعية ان تأتي على مجهود المجتمع في مجالات عديدة من مجالات بنائه. لم يحض السكن بالأهمية التي حضيت بها قطاعات تنموية أخرى، شهد كما جاء في أحد التقارير التقييمية الرسمية" وضعية رديئة سواء على صعيد الانجازات المادية أو على مستوى الاطار المبني، حيث ارتفعت نسبة احتلال المسكن الواحد ارتفاعا كبيرا ومع مرور الزمن نتجت من هذه الوضعية أزمة حقيقية في هذا القطاع الذي هو أكثر القطاعات التي لم تحض بثمرات مجهود التنمية المبذولة"[1]. لم يصبح السكن قضية شخصية محدودة من انشغالات الأفراد والعائلات فحسب، بل مسألة اجتماعية اقتصادية تخصّ كل النظام الاجتماعي، يدمج فيه السكن في اطار جديد يتمثل في اتجاه تحضّر عام للمجتمع.

سجّل الديموغرافيون نزوحا ريفيا متواصلا، كان الأول اثناء حرب التحرير عند محاولة الاستعمار اقتلاع المجتمع الجزائرى من جذوره المتمثلة في السكن والعائلة.

1) عن مقررات اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني، دورة جوان 1983.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حشد الافراد والعائلات، بالمراكز والمحتشدات وشرد سكان القرى والارياف نحو أطراف المدن الكبية ، مما ساهم في القطيعة بنظام الاقامة القديم وخلق أساليب الاقامة في ظروف متدهورة . امّا النزوح الثاني فقد كان ثمرة مجهودات التنمية الاقتصادية والصناعية والعمرانية التي عرفها المجتمع منذ انطلاق المخططات التنموية . اتسعت المدن من جرّاء ذلك وأقيمت مجمعات سكنية جديدة ، غيرت من الابعاد العمرانية للنسيج السكني الموروث من عهد الاستعمار الفرنسي. تجاوز نسبة التجمعات الحضرية 50٪ ، بينما كانت سنة 1966 30٪. تراوحت بين 40 و 42٪ من مجموع المساكن في سنة 1977.

سيعرف النسيج العمراني الجزائري 40 مدينة كبيرة في حدود سنة 2000 و 106 مدينة جهويّة مختلفة المستوى العمراني وموزّعة بين الشمال والوسط والجنوب(1). لا مجال هنا لمواصلة التحقيق في البيانات المتعلقة بالتحضّر في المجتمع الجزائري.

ان ما يشغل اهتمامنا في هذا العمل هو السلوك الاجتماعي للاقامة الجماعية بالاحياء الحالية .

ان مثل سكان القرى 75٪ من المواطنين سنة 1962، فهم يمثلون اقل من50٪ حاليا . لا يعبّر انتقال الناس من الأرياف، نحو المدن ـ للاسباب التي ذكرناها سابقا ـ من علامات التمدن. فالمشكلات الخاصة التي لا تزال تعيشها مدننا تعكس هذه الظاهرة (2). فالى جانب المشكلات المتعلقة بالتحضر كتجمع واسع للسكان وتعقد مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعرفها مدننا الكبرى كبقية المدن في العالم ، يمكن ملاحظة بعض مظاهر التدهور في سلوك الاقامة المدينية كاستعمال الحيز الداخلي للمساكن على حساب الحيز الخارجي... تفسر هذه الوضعية خصائص من معاني وما هي ميزاته وواقعه في التجمعات السكنية الحالية ؟

---

1) مجلة البناء، عدد 28. 1988. ص 11.

2) لم يشر التجمع الدولي حول تسيير المدن المنعقد في الجزائر بين2 الى5أفريل1988 الى مسألة التحضر في المجتمع الجزائري. تغرس هذه الخصائص جذورهافي أعماق النظام الأجتماعي.لم ينل هذا النظام حقّه من الاهتمام في هذا الملتقى بصفة خاصة وفي البحث العلمي بصفة عامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير مفهوم العمران الى البنيان والتمدن ويشمل مميزات الازدهار وتحسين أحوال السكان. عمّر يعني بنى وازدهر. يتصف المكان بالعمران اذا اتسع وعلا بنيانه وأدى الى استقرار السكان أما مصطلح التحضر فهو مفهوم حيّ يشير كما جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الى عملية تحويل المناطق الريفية الى مناطق حضرية. تؤثر هذه العملية تأثيرا بالغا في التركيبة الاقتصادية للسكان. ينخفض عددالسكان الريفيين ويزداد عدد الذين يشتغلون بالمهن الغير الزراعية. كما أن التحضر شيء أكثر من مجرد انتقال الناس من الريف الى المدينة، ومن العمل المرتبط بالأرض الى أنماط الاعمال الحضرية. ان مجرد انتقال الانسان الى المدينة لا يجعله بالضرورة متحضرا. يتضمن التحضر تغييرات أساسية في التفكير والسلوك وفي القيم الاجتماعية. كما يتضمن تغييرات في الاتجاهات نحو العمل ونحو نظام العلاقات الاجتماعية. يتطلب التحضّر تقسيما جديدا للعمل وللادوار الاجتماعية والمهنية للجنسين.

يلاحظ الباحثون نوعين من الاضطراب الذى يميز الحياة الاجتماعية الحضرية في المجتمع الجزائري. يتعلق النوع الأول بضعف ترقية الأبعاد العمرانية والفوضى في تطور النسيج السكني بظهور التبعية الاقتصادية في صناعة مواد البناء وغيّاب، خطة متكاملة لاستعمال المساحات الوطنية، حيث، لا يزال يتعمر الشمال على حساب الوسط والجنوب، يتعلق النوع الثاني بتدهور عام للأوضاع السكنية الجماعية والحضرية بالنقص الواضح في المرافق والخدمات والاستعمال الفوضوي للمساحات السكنية مما أدّى الى ظهور اضطرابات اجتماعية خطيرة (الخرافات، جرائم، أمراض عقلية وعصبية ...).

فاذا برز الاضطراب الكمّي الأول بمجرد المقارنة بين ارتفاع الحاجة الى السكن وبين ما يتم انجازه وتوفيره من المساكن، فان الجانب الكيفي الثاني يتطلب تحليلا عميقا لنمط تملك السكان للحيّز الاجتماعي وتحديد الابعاد النفسية الاجتماعية والثقافية التي تدخل في تنظيمه. اذا كانت أسباب الاضطراب الكمّي واضحة عند القيام بفحص دقيق للعمليات الاقتصادية والعمرانية والتقنية التي تدخل في انتاج المساكن كمادة استهلاكية، فان عوامل عدم الاتزان الكيفي لا تزال مبهمة. يحاول الباحثون الاجتماعيون في كل مرّة ابراز الابعاد الاجتماعية والثقافية التي تفسر صعوبات تحضّر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجتمع الجزائري. تبقى هذه العوامل خفية وسرية كامنة في الذهنيات الفردية والجماعية، لا يتم حصرها الا في علاقتها بالسلوكات والافكار وفي علاقتها ضمن المجهود التنموي والتحول الاجتماعي.

يفرض التحضر الى جانب التحول في نمط المباني والمساكن والمرافق التابعة لها، تغييرا في التصورات وفي السلوكات الاجتماعية للآقامة. مهما كانت هذه السلوكات عائلية مهنية أو عامة فان لها علاقة بالحياة الاجتماعية. ضمن خلال هذه التحوّلات والتغيرات يمكن قياس مستوى تحضر المجتمعات والعائلات والافراد.

يتم قياس التحضر بكيفيات مختلفة، اي وفق ما يحمله هذا المفهوم من معاني. أكد الديموغرافيون والاقتصاديون والعمرانيون على الابعاد والمعطيات الكمية في تحقيق التحضر وبالتالي امكن قياسه بهذه المعطيات، ان الاجتماعيين يؤكدون من جهتهم على المعايير الكيفية أي الاجتماعية والنفسية والثقافية والتاريخية، فما يبدو متحضرا في مجتمع قد يظهر ريفيا أو بدويا في مجتمع آخر. أي يجب ان نحدد مستويات التحضر ومفاهيم التمدن انطلاقا من واقع المجتمعات والافراد وانطلاقا، من ثقافة الى أخرى ومن حضارة الى أخرى. يحمل مفهوم التحضر معاني عميقة تغرس جذورها في اعماق المجتمع.

تتميز الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري بسلسلة من التحولات في نمط انجاز المساكن والبنايات وفي نمط التعامل بين الافراد والعائلات [1]. تمثل المدن الظرف الاجتماعي الأكثر استهدافا لحدوث التحولات في سلوكات الافراد والجماعات فى حين بقيت الأرياف محافظة على التقاليد الاجتماعية. فقد مست التنمية الشاملة جوانب عديدة من حياة السكان كالجوانب المهنية وتوزيع الادوار والمراقبة الاجتماعية من المفروض ان تحدث تحولات عميقة في هذه الجوانب وان تتحول من صورتها التقليدية الى أشكال جديدة مناسبة مع ظروف الاقامة الحالية ومع النظام الاجتماعي الحالي.

---

1) بيّنا بعضها في الفصل الأول والثاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاذا أخذنا بالمعيار الكيفي لقياس مدى التحضّر في المجتمع الجزائري، فاننا نتبع مدى تقبّل الافراد والعائلات لهذه التحولات ومدى انسجامهم معها وطبيعة المشاكل التي يطرحونها من جرّاء هذه التحولات. أي كيف يستعملون العمارة السكنية الحالية كنمط معماري واجتماعي مثلا. نعتبر الصعوبات التي تقف أمام تحقيق هذه التحولات بصفة خاصة وأهداف التنمية بصفة عامة في التجمعات الحضرية فهي الصورة الحقيقية لمشاكل التحضر في المجتمع الجزائري.

يصبح التحضّر في هذه الحالة مسألة معقدة تتلازم فيها الجوانب المادية والتقنية بالجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية. لابراز الصعوبات التي تحول دون تحضّر الفرد الجزائري لا بد من فهم الآليات، النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة في التحول الاجتماعي للاقامة.

2 ـ التحول الاجتماعي للاقامة

1.2 ـ التحول والتغير الاجتماعي:

يعدّ التحول الاجتماعي الخاصية الاساسية في المرحلة الحالية من التطور التاريخي للمجتمع الجزائري اثر المجهود التنموي العام الذي ميّز جوانب عديدة من حياة الافراد والعائلات. تظهر آلياته بارزة في أكثر من سلوك اجتماعي واحد: توزيع الادوار، المراقبة الاجتماعية، الاقامة الجماعية، التعاون، الجوار... يتداخل مفهوم التحوّل بمفاهيم أخرى، خاصة في الكتابات العربية، أين يدمج مفهوم التحول الاجتماعي بمفاهيم التغير والتنمية والتطور. نحاول ان نوضح العلاقة بين التحول الاجتماعي والتغير. ان التغير الاجتماعي عملية يتم فيها انتقال المجتمع من وضعية سابقة، عادة ما تكون تقليدية وقديمة، الى وضعية جديدة تميز المجتمع في مختلف ميادينه. يحدث التغير الاجتماعي عند الثورات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية او عند الحروب الكبرى والكوارث الطبيعية. أما التحول الاجتماعي فهو يعبر عن مختلف الفعاليات والعمليات التي يعيشها المجتمع اثناء تنقله من مرحلة الى أخرى في مسيرة تطوره، أي تحول في ميادين عديدة تخص انشطة الافراد والجماعات. ان التحول سياق يؤدي الى التغيير في ميدان معيّن من الحياة الاجتماعية كميدان السكن. يمكن ان يكون التحول سريعا، كما يمكن أن يكون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطيئا، ظاهريا او عميقا. تتزامن فيه المرحلة السابقة بالمرحلة اللاحقة، أي يتعايش فيه الماضي والحاضر بكل ما يحملانه من قيم وتقاليد اجتماعية متضاربة تارة ومتكاملة تارة أخرى.

كثيرا ما يؤدّي التلازم بين القيّم السابقة ومتطلبات الأوضاع الحالية الى عناء نفسي او يشكل مناسبة لبروز عدة اضطرابات في السلوك الاجتماعي العام، أخترنا منها سلوك الاقامة في الاحياء السكنية الحالية.

2.2 ـ التحول الاجتماعي للاقامة الجماعية

يعتبر سلوك الاقامة ضمن السلوك العام الذي يميز الحياة الاجتماعية وتنظمه كبقية السلوكات معايير اجتماعية ثقافية من النظام الاجتماعي الذي يغرس جذوره في اعماق المجتمع وتقاليد انجاز الافراد والعائلات لمساكنها واستعمالها للمحيط السكني. فما هو النموذج المعماري للسكن العائلي في المجتمع الجزائري؟ وما هي المعايير الاجتماعية والثقافية المتحكمة فيها ؟ وما هي انعكسات هذه المعايير على السلوك الاجتماعي الحالي ؟ تلك هي أهمّ التساؤلات التي توجه عملنا هذا لمحاولة تفسر السلوك الاجتماعي للاقامة مثلما تقدمه الحياة اليومية المعاشة.

تعكس مختلف مظاهر الاقامة في المجتمع الجزائري وتيرة التحول في السكن. يقدم الباحثون نماذج تاريخية عديدة، تعبر عن أهمية العمران الذى عرفه المجتمع الجزائري.نذكر ثلاثة أنماط لا تزال تشكل العناصر الاساسية للنسيج العمراني الحالي: المسكن الريفي والحضري القديم، المسكن الأروبي الموروث من عهد الاحتلال الفرنسي، المسكن الحديث. يؤكد نفس الباحثين ان المجتمع الجزائري لم يعرف نمطا عمرانيا سكنيا واحدا ورغم أنه يزخر بغنى عمراني كبير الا أنه كان ريفيا أساسا، ليست لافراده خبرة في الاقامة الحضرية.

يتفق الباحثون المعماريون والاجتماعيون على أن السكن في المجتمع الجزائري كان صورة للواقع المعاش وكان تجسيدا للبنيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على المكان. فلا يمكن أن تندثر تلك الروابط وتلك التقاليد بمجرد التحول في النماذج السكنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يكفي المجال في هذا العرض لذكر كلّ الابعاد الاجتماعية والعمرانية للسكن الحضري القديم [1] نكتفي باستعراض مكانة الحيّز الخارجي للبناية السكنية في النظام الاجتماعي السابق كمؤشر اجتماعي ومعماري ثم بمقارنة نمط استعماله بالسلوك الاجتماعي الحالي للاقامة .

1.2.2 ـ مكانة الحيّز الخارجي للمسكن في التجمع السكن المحلي .

ان أغلب ما كان يتميّز به السكن القديم حضريا كان ام ريفيا هو التقسيم الثنائي للحيّز السكني الى حيز داخلي وآخر خارجي. يجزيء هذا التقسيم مجال الاقامة الى عالمين بدا للكثير من الباحثين انهما متباينان. يحمل كلّ جزء رموزا ومعاني متعارضة . تشير هذه الرموز الى التنظيم الاجتماعي الثنائي للحياة الاجتماعية بين داخل المسكن/ وخارجه ، بين عالم النساء/ وعالم الرجل، بين حيّز آمن/ وحيز خطير وعدائي... من خلال هذا المنظور يمكن اعتبار خارج المسكن في المجموعة السكنية في النظام الاجتماعي السابق حيزا مفعما بالمخاطر وغير آمن، مخصصا للرجال دون النساء والاطفال يتطلب التعاضد بين العائلات والجيران. يفرض مراقبة اجتماعية على الغرباء وعلى تنقل النساء والاطفال. انه مصدر الكوارث والآلام ، تخضع أية مواجهة له الى الحذر والحيلة واقتناص الفرصة ...

يعتبر الحيز السكني القديم مكانا عائليا أساسا ، يمتد بامتداد الاسرة والعشيرة. تسمو فيه علاقة الجوار لتصبح نظاما محكما يربط السكان في نسيج من العلاقات الاجتماعية المقدسة . تشكل الابعاد الاجتماعية والمعمارية لداخل البناية السكنية القديمة ظرفا اجتماعيا وعائليا تنظمه معايير يسهر كل فرد أو عائلة على فعاليتها . لأن الفرد يعيش أي تغيير فيها كخطر على حياته الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء.

يمكن ان نعيد سبب محافظة النماذج السكنية القديمة على أبعادها الاجتماعية والمعمارية مدة طويلة الى الشعور الجماعي بالخطر من أى تحول يمس تقاليد البناء

---

1) انظر الفصل الأول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونمط الاستعمال والحيازة السكنية . ممّا أبقى على اعتبار الحيز الخارجي للمسكن فيكل مرّة كحيز هامشي بعيد عن كل تحول، عكس ما ناله داخل البنايات السكنية من اعتبار. حملت لنا مساكن حي القصبة بالجزائر العاصمة أبعادا اجتماعية وعائلية، معمارية وفنية، تزخر بها الساحات الداخلية (وسط الدار) على حساب الممرات والمظاهر الخارجية [1].

تعقدت الحياة الاجتماعية بعد التحول في نماذج البناء والسكن وبعداختيار النموذج الأروبي أساسا للاقامة الحالية . يعود سبب هذا التعقيد الى العديد من العوامل نفسر بعضها بتأثير العوامل الاجتماعية الثقافية للنظام الاجتماعيالتقليدي ونفسر البعض الآخر بطبيعة الاختيار في حد ذاته . مما أعطى صورا مشوهة للسكن عند استعمال محيطها الخارجي ومرافقها العامة .

هل حقق التحول في النماذج السكنية تحولا في القيم والتقاليد الموجهة لنمط حيازة المباني والمساكن ؟ وهل أدخل تعديلات في علاقات الجوار والتعاون والتعامل بين السكان ؟

نستبعد وقوع تحول جذري من هذاالنوع من السلوك الاجتماعي للاقامةوخاصة في مجال استعمال المحيط السكني والتفاعل الاجتماعي خارج المساكن وداخلالاحياء الحالية . فالى جانب بروز الامراض الاجتماعية المتزايدة التي استهدفتها الحملات الوطنية للتطهير والتي كان موضوعها في كل مرة الحيز الخارجي للمساكن وداخلالتجمعات السكنية الحضرية ، لم تحدث تحولات في النماذج المعمارية للمباني والمساكن، لا تزال هذه الاخيرة تخضع الى تصميم رئيسي يستمد أسسه وقواعده من الهندسة المعمارية الغربية .

2.2.2 ـ مكانة المساحات العامة خارج المساكن وداخل الاحياء الحالية

يشكل الحيز الخارجي للمسكن، داخل التجمع السكني الجديد جزءا منالمجال السكني العام . اصبح هذاالمكان بحكم التقنيات الهندسية والمعمارية امتدادااجتماعيا ووظيفيا للحيز الداخلي. يتضمن الفسحات العامة ، الممرات، مدخل وسلم البنايات ،

---

1) راجع الفصل الأول:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرفات، ملاهي الاطفال ومواقف السيارات... يفرض استعمال هذه المرافق تفاعلا اجتماعيا بين الافراد والعائلات.

كيف تمّ اختيار النماذج السكنية الجماعية الحالية كنمط للاقامة العائلية الجزائرية ؟ وما هي انعكاسات هذاالاختيار على الحياة الاجتماعية للسكن ؟.

اتصف المجتمع الجزائرى بنمط ريفي للاقامة، عبر من خلاله على مدى الترابط الوثيق بين العائلة - الخلية الاساسية للمجتمع - وبين الطبيعة بمعطياتها المناخية والاقتصادية. دلت عمليات انشاء المساكن الريفية واستعمالها الاجتماعي على مدى التداخل بين بنية الاسرة من جهة وبنية المسكن وامتداده من جهة أخرى. لم تشهد النماذج السكنية الريفية تحولات معتبرة، بقيت على حالها، يتداول السكان تقنياتها من جيل الى جيل. حافظت الاسرة من جهتها على بنياتها الاجتماعية وعلى نمط اقامتها وأسسها الثقافية : تقارب في المكان، تعاون، مراقبة اجتماعية، توزيع الادوار...كان الاتجاه الاساسي للمجتمع في النظام التقليدى هو الحذر من ادخال أى تحوّل وخاصة فيما يتعلق بنظام العائلة أو بنمط اقامتها على حد سواء.

لا يعبر ما أشار اليه ب. بورديو من تحولات في بنية الاسرة وفي تضامن افرادها نتيجة اقامتها في المحتشدات العسكرية او ظهور العمل المأجور الاّ عن مظاهر خادعة تخفي دينامية المجتمع في مواجهة التحولات التي تمسّ أسسه البنيوية [1] : فعندما استهدفت هذه المحتشدات كسر الوحدة بين العائلة وجيش التحرير، انتقل التضامن الاجتماعي من مظاهره البارزة المعاشة يوميا، الى واقع سري تغطيه سلوكات شكلية خادعة. نفس المواقف يمكن أن يتصف بها الافراد والعائلات في مواقف متأزّمة مشابهة، وكأنه ليس أمامهم الا مهمة الدفاع عن العوامل الاجتماعية الثقافية المحلية لمواجهة التغير في المحيط الخارجي، مما يفسر انعدام التحول في مجال البناء والسكن مدة طويلة من سيرة المجتمع.

1) BOURDIEU (P): Sociologie de l'Algerie . P U F ,Paris 1980 . 6ien éd P118 (1

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بد ان نؤكد ان اختيار النماذج السكنية الاروبية كان عفويا ومباشرا منذ بداية الاستقلال. تمّ تعميقه في الخطة الانمائية قصد توفير السكن للفئات الواسعة من الافراد والعائلات بانتهاج البناء العمودى وصناعة مواد البناء.

يستجيب البناء العمودى لظروف اجتماعية واقتصادية آنية. يعتبر من طرف الكثير من الاجتماعيين العمرانيين أنه " حل معماري مرن أمام تعقد الحياة وتعاقب الاجيال، لأنه يقدم بنايات سكنية باقية لأطول مدة ممكنة "(1).

تتبع عملية انتهاج عمران عمودي جديد كل ما يحمله هذا العمران من متطلبات، وشروط مدينية وما يقابله من ضعف في الخبرة الحضرية لدى الافراد والعائلات. ليس للفرد الجزائري تجربة ولا تصورا اجتماعيا او ثقافيا محددا يساعده على الاندماج في الوسط العمراني الحالي بمتطلباته الحضرية الجديدة. ولكن ما ذا نقصد بالحي السكني الجماعي؟

يشكل الحي السكني الحالي" الوحدة السكنية الاولية التي يشترك الناس به بشكل أكثر عفوية "(2). يمثل انجاز اي حي سكني جماعي انشاء اطار لمستقبل حياة السكان يرتبط نجاح أو فشل هذه التجمعات السكنية في مهمتها بنمط استعمالها اليومي من قبل الافراد والعائلات. لا يحدد المعماري نمط الحيازة ولا الابعاد الاجتماعية الثقافية أو النفسية التابعة لها، التي تنظم هذا الاستعمال، بل يحرص المعمارى على تحديد الكثافة النظرية وعدد الطوابق، الى جانب عدد الغرف واتجاه الشرفات وامتداد المساحات.

يشكل الحي السكني الحالي بهذه المقاييس وحدة سكنية يتكامل بها الحيّز الداخلي بالحيز الخارجي، اي يشكل كل حيز فيه امتدادا معماريا ووظيفيا للاخر. تؤكد المدرسة الوظيفية للهندسة المعمارية على المعطيات الضرورية للحياة الاجتماعية في أي تجمع سكني وتؤكد على أن يتناسب امتداد المساحات الحرة مثلا بمدى ارتفاع

---

1) روبير أوزيل: فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1973 ص 52

2) روبير اوزيل: نفس المرجع السابق. ص.51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنايات وعدد مستوياتها. فالعمارات العالية تزداد فيها الفسحات المغروسة بجوانبها.

يمكن للفرد في حي سكني اما ان يكون داخل المسكن فيسدد حاجاته ضمن شروط معمارية واجتماعية واقتصادية معينة واما ان يكون خارج المسكن وداخل الحي فيخضع لشروط معينة ليحقق حاجته للتجمع والترفيه.. فما هي متطلبات السكان من الحيز الداخلي ومن الحيز الخارجي وهل هذه المتطلبات متكاملة او متعارضة بالنسبة للفرد الجزائري والعائلة الجزائرية ؟

يمكن أن نؤكد بأن العمارة السكنية تفرض بحيزها الداخلي أو الخارجي شروطا اجتماعية ووظيفية كالنظافة والهدوء والتعاون وحسن المعاشرة... يبقى تساؤلنا حول حاجات السكان من الحيز الخارجي للمساكن وداخل الاحياء الحالية قائما. يمكن التأكيد - بصفة عامة - بأن الفرد الجزائري يميل نحو العزلة تارة والى التجمع تارة أخرى. ان الحيّ السكني الناجح هو الذى يحقق قدرا من الخصوصية للافراد والعائلات يجدون فيها ذاتيتهم وقدرا من الجماعية يلقون فيها اجتماعيتهم. بكلمة واحدة يحققون بها حريتهم (1).

نستخلص ان ادماج السكن الحديث في التنمية وفي الحياة الاجتماعية لتحقيق العدالة والتخلص من التخلف والاوضاع الحقيرة والرقي بالفرد الى التحضر، مثلما نصت عليه الكتابات الرسمية والحزبية والاعلامية، كان طموحا شرعيا بعد الحرمان الطويل الذي عاناه المجتمع الجزائرى في المراحل السابقة. لكن هل تبرر هذه الطموحات اختيار نماذج سكنية جاهزة من حيث التصور المعمارى والثقافي والتقني.. هل كان ذلك لمجرد احداث قطيعة بالنظام الاجتماعي السابق ام كان اتجاها نحو السهولة والاختيار العفوى والتلقائي دون مراعاة توابع مثل هذا الاختيار على الصحة العامة وعلى رقي وازدهار الافراد والجماعات. وما معنى الاهمال العام الذى تتصف به جلّ الاحياء السكنية الحالية والاضطراب في علاقات الجوار بين السكان ؟ وما هي الصعوبات التي تحول دون تحقيق تحول في مجال السكن ؟

---

1) شومبار دولوف: نفس المرجع السابق، ص 25

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.2.3/صعوبة التحول في مجال السكن

اذا رغبنا في اقامة مجتمع جديد بشروط اقامة مناسبة يجب ان نتخذ حلّين أساسيين لمسألة السكن في المجتمع الجزائرى يتمثل الحل الأول في التخلص من بعض القيم ومن بعض التقاليد الاجتماعية التابعة للنظام الاجتماعي السابق، التيلا تزال تتحكم في السلوك الاجتماعي للاقامة وتؤدي الى اهمال المحيط الخارجي للمساكن وداخل الاحياء. يتمثل الحل الثاني في اختيار نموذج سكني تتناسب ابعاده المعمارية والتقنية مع تقاليد الجوار وتطور بنية العائلات .

ان تحقيق مثل هذين الحلين صعب، لأن فرز المعايير والقيّم السابقة ليس أمرا هينا من جهة ولأن لهذه الاخيرة تأثير شعورى ولا شعورى عميق في السلوك وفي الذهنيات من جهة أخرى. يمكن ان نضيف الى ذلك اعتماد الاسرة على نظام تربوى يلقّن الاجيال الصاعدة في كل مرّة نفس المبادىء في استعمال المحيط. تتمثل هذه المبادىء في الاطمئنان للحيّز الداخلي على حساب الحيّز الخارجي؛ يعرف الطفل النواهي والمونع عند استعماله للحيز الداخلي وحرية مطلقة لدى استعماله للحيز الخارجي والمرافق العامة .

اذا كان الحل الاول غير وارد في ذهن الفرد الاجتماعي، يكون الحل الثانيابعد على الأذهان؛ تتطلب، عملية المحافظة على النماذج السكنية القديمة واعادة تأهليها وفقا للمقاييس العلمية الحديثة ، مجموعة جهود تتمحور في تجديد أنماط البناء ومعرفة المقاييس الهندسية القديمة في البناء والاقامة . لا يمكن تحقيق هذين المحورين الآ بعد القيام بالبحوث العلمية المتكاملة (أين تتدخل وتتعاون تخصصات علمية مختلفة .).

اذا اردنا ان نجزء صعوبات التحول في مجال السكن فاننا نقسمها الى نوعين: يتمثل النوع الاول في تهميش المساكن المحلية و الاستغناء عن مقاييسها الهندسية و الاجتماعية و الثقافية . يتمثل النوع الثاني في الانعكسات السلبية للسكن الاروبي على تجمع السكان و على نمط تفاعلهم البيئي و الاجتماعي . نحاول ان نوضح في هذا العمل بعض هذه الصعوبات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

برامج السكن في ولاية بومرداس وواقع حيّازة المساحات السكنية الجماعية - تحليل الملاحظات الأولية

نحاول ان نبرز في هذا الفصل بعض المعطيات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالسكن في ولاية بومرداس، لأن الاقامة كسلوك اجتماعي تتأثر بالمحيط العام الذي توجد فيه : نوع البناء، كثافة السكان، طبيعة التركيبة البشرية والبنية العائلية ومستوى المعيشة. تشكل هذه العوامل الظرف الفيزيقي والاقتصادي والاجتماعي الذي تتمّ فيه عملية تملك الافراد والعائلات لمساكنها وللمساحات المحيطة بها. لذلك نقدم صورة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لولاية بومرداس ثمّ نستعرض مكانة التجمعات السكنية الجديدة ضمن وجهها العمراني العام.

رغم الطموحات التي تعرفها برامج السكن في الولاية، يتصف واقع الاقامة بالاحياء السكنية الجديدة بأوضاع متدهورة : اتلاف المحيط الخارجي للمسكن وداخل التجمعات السكنية، اضطراب في علاقات الجوار... تشترك ثلاث أطراف في تبلور هذه الأوضاع: منجزوا المباني السكنية، مسيروها، مستعملوها. سوف نتعرض لتحليل الملاحظات الأولية التابعة لاستعمال الافراد والعائلات للمحيط الخارجي للمسكن وداخل الاحياء السكنية لابراز الاسس النفسية الاجتماعية المتحكمة في هذا السلوك.

١ - الاطار الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والوجه العمراني لولاية بومرداس

1.1 - الاطار الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي

جاءت ولاية بومرداس من التقسيم الاداري للتراب الوطني سنة 1984 (1) . تحدها من الغرب الجزائر العاصمة ومن الشرق تيزي وزو ومن الجنوب البويرة والبليدة ومن الشمال البحر الابيض المتوسط. يتجاوز عدد سكانها 800 ألف نسمة. تتميّز هذه الولاية بتجمع السكان بها ككل المناطق الساحلية مما يعطي للاقامة بها طابعا مميّزا.

---

1) الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ 2 أفريل 1984 رقم 84/79 المحددة لاسماء الولايات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتفع الكثافة السكانية بها لتصل 400 ساكنا في الكيلو متر المربع الواحد. تضمّ مدنا هامة انفصلت من الولايات المجاورة : بومرداس مقرّ الولاية، مدينتا رويبة ورغاية الصناعيتان ومدينة دلّس الأثرية ...

يعود ميلاد هذه الولاية الى سياسة تنظيم الحيز الوطني، خاصة بعد ان عرف محيط شرق الجزائر العاصمة تضاربا في النمو العمراني والديموغرافي وتعقيدا في الحياة الاجتماعية للسكان. لم تعرف هذه المنطقة خطة عمرانية متكاملة. تعود البرامج العمرانية الأولى للجزائر الكبرى، التي كانت تشمل الجزء الغربي لولاية بومرداس الى سنة 1969 (1). أكّدت هذه البرامج ان النمو الديموغرافي والصناعي والبناء الفوضوي أصبح يهدد المدينة بالاختناق واشارت الى ضرورة التحكم في تطور محيطها الخارجي اذ تحول من منطقة ريفية الى سلسلة من التجمعات السكنية. نتساءل عن اوضاع الاقامة بها.

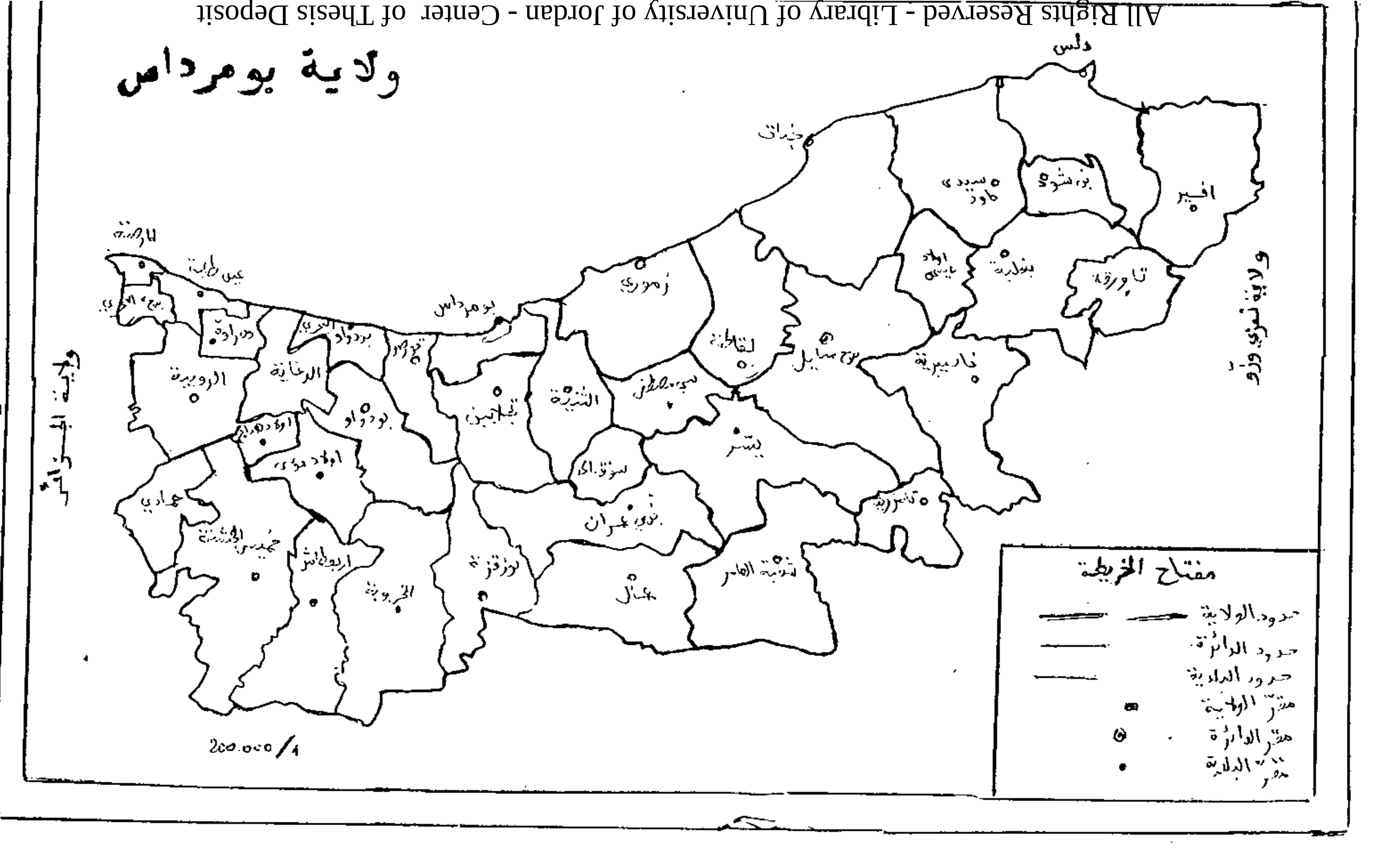
تتشكّل ولاية بومرداس من مساحة ساحلية تتجاوز 1500 كلم^2. تقع الجهة الغربية منها ـ التي تهمنا اكثر في هذا البحث ـ بالجزء الشرقي من محيط الجزائر العاصمة يجعلها تتصف بمميزات عمرانية واقتصادية واجتماعية خاصة توجد بها أخصب الاراضي الزراعية النادرة. يمتدّ فيها الجانب الشرقي لسهل متيجة والشريط الساحلي الذى يتوزع من وادي يسر شرقا الى وادي الحميز غربا (2).

اعطى سهل متيجة ميزة رئيسية لأغلب التجمعات السكنية، فاذا استثنينا مدينتي بومرداس ورويبة يمكن ملاحظة الطابع الفلاحي على العمران وعلى الحياة الاجتماعية. يشغل القطاع الزراعي 40,5٪ من مجموع الايدي العاملة النشيطة (3). رغم الغنى الفلاحي الذي تتميز به اراضي الولاية، لم يصل العاملون بهذا القطاع الى تحقيق مستوى مناسب في حياتهم الاجتماعية وخاصة في ظروف السكن. لا تزال مسالة الاقامة بأغلب المزارع تشمل الحالات التالية.

---

1) مجلة البناء. نفس العدد السابق، ص 11
2) انظروا خريطة الولاية ، ص 49
3) ولاية بومرداس في ارقام 1986.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدهور الحياة العامة، اضطراب في علاقات الجوار، انتشار الامراض... زيادة على ذلك نشير الى التعقيد الذي يعرفه البناء في المناطق الريفية والشبه حضرية بعد تدخل الدولة لتوحيد النماذج السكنية الريفية الجماعية وفرض رخص البناء وتعقيد والاجراءات الادارية للحصول على مواد البناء .

لا يتصف سهل متيجة بغناه الزراعي فقط، بل تتركّز فيه كذلك مجمعات صناعية هامة . تمثل هذه الاخيرة 25٪ من النسيج الصناعي العام . فبالاضافة الى المنطقة الصناعية برويبة ورغاية، تمّ نقل جزء هام من الوحدات الانتاجية من الجزائر العاصمة الى الجهة الغربية لولاية بومرداس. عملت هذه الظروف الجديدة على اعطاء الجهة الغربية لهذه الولاية خصائص عمرانية واقتصادية واجتماعية متميزة :الكثافة السكانية العالية، النمو الديموغرافي المتزايد، الزيادة في الطلب على العمل والسكن والخدمات، فرضت هذه المعطيات ضرورة تنظيم الحيز العام للولاية وهذا باقامة برامج للتهيئة العمرانية. التي تعتمد اساسا على العناصر التالية : تنظيم ومراقبة النمو العمراني والصناعي والديموغرافي والتحكم في الزحف الريفي. ان غياب اية خطة لتوجيه التحوّل الشامل للمنطقة يهدد الحياة الاجتماعية ويعرقل مجهودات التنمية وازدهار السكان.

يعدّ برنامج (الكومدور) من المحاولات الأولى التي سعت الى تنظيم محيط شرق الجزائر العاصمة ضمن خطة عمرانية متكاملة . تتضمن هذه الخطّة رسم الابعاد العمرانية للجزائر الكبرى لسنوات 2 000 . تشمل هذه الابعاد منطقة بومرداس [1]، الاّ أن المخطط الذي كان يهدف اقامة حزام من التجمعات السكنية .الحديثة لم يتحقق لاسباب اقتصادية وسياسية .كما اثبت (م. كوط) فان برنامج الكومدور "قد ولد ميتا"[2]. فالى جانب ارتفاع نفقات البناء واتلاف مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية فانّ المخطط لم يعمل على حلّ مشكل الزحف الريفي حلاّ جذريا، ممّا جعل المنطقة تبقى هدفا متواصلا لاقبال السكان عليها . ان عدم انجاز هذا المخطط وانعدام سياسة وطنية للسكن سببا بروز مظاهر عمرانية واجتماعية مضطربة .

---

1) لا يمكن عزل مدينة بومرداس عن التحولات التي تعرفها الجزائر العاصمة، هذا ما يجعل الباحث الذي يتناول الابعاد العمرانية والاجتماعية للمنطقة يهتم بهذه العلاقة . لكننا لا نتناول هنا هذه العلاقة بطريقة مباشرة، الا أننا نعي أهميتها في التحليل.

2) بيار كوط : نفس المرجع السابق ص 255

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعتبر المخططات العمرانية الرئيسية والمؤقتة البرنامج الوحيد للتحكم في استعمال الحيز بولاية بومرداس. يتمحور هذا البنامج على المعطيات التقنية ويهمل الابعاد الاجتماعية والنفسية والثقافية .يتصف برنامج الكومدور بنفس الحالة . يكتفي العمرانيون عموما برسم الخرائط وتحديد المقاييس الهندسية التي تحدد الابعاد المعمارية للبنايات السكنية ، بينما تفرض اشكالية التحول الاجتماعي في الجزائر ادخال عوامل اجتماعية ونفسية وثقافية ، لأن مسألة حيازة المكان من طرف الافراد والعائلات ليست عمرانية فحسب، بل هي اجتماعية وثقافية في آن واحد. يدعو هذا الامر تضافر الجهود والافكار من طرف الاخصائيين المختلفين للالمام بسلسلة الصعوبات التي يمكن أن تحدثها عملية التحول الاجتماعي في ميدان العمران بصفة عامة وفي ميدان التحضر بصفة خاصة .

ضمّت مشاريع التعمير فيّ ولاية بومرداس اقامة العديد من الاحياء السكنية . امتدّت هذه الاخيرة الى مناطق نائية معروفة بمميزاتها الريفية في ميدان السكن. تمّ انجاز هذه التجمعات السكنية على شكل وحدات متكررة من البنايات تحمل خاصيات معمارية جديدة . قام بانشائها الشركات الوطنية ومؤسسات البناء الاجنبية والخاصة . لانجاز هذه التجمعات السكنية الجديدة ، يتم استعمال تقنيات ومواد بناء مختلفة ، أغلبها من المواد المصنعة . مما يعطي للاحياء السكنية الجديدة طابعا تثقيفيا مميزا [1].

2.1 ـ الخصائص العمرانية والاجتماعية للنسيج العمراني العام لولاية بومرداس

كيف يمكن قياس نسيج عمراني لمنطقة محددة ؟ يتخذ عامة اسلوبان من أجل هذا الشأن.يعتمد البعض على الملاحظة الميدانية ويستعمل البعض الآخر القياس الاحصائي الذي يحدد درجات تكرار وحدات المباني وتفسير البيانات وفق ما تقدّمه من دلالات اقتصادية واجتماعية ..

نهتم بالنسيج العمراني لولاية بومرداس لتحقيق غرض اساسي يتمثل جانبه الأول تقديم وتيرة التطور العمراني العام ومكانة الحي السكني الجديد به ويتمثل

1) لا تعود هذه الميزة الى طبيعة مواد البناء، بقدر ما تعود الى الافكار التي وجهت عمليات التخطيط وانجاز المساكن الاجتماعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجانب الثاني محاولة ابراز الأوضاع الاجتماعية للاقامة بهذه التجمعات السكنية .
لتجسيد هذين الجانبين لجأنا الى الاسلوبين معا : القياس الاحصائي والملاحظة الميدانية .

عرفت ولاية بومرداس صورا من النماذج العمرانية ، تلازمت فيها انواع مختلفة من المساكن في المنطقة الواحدة ، كامتداد الاحياء السكنية الجديدة بالقرب من التجمعات السكنية القديمة الريفية منها والحضرية .قدمت هذه الوضعية نسيجا متداخلا يطغى فيه النموذج السكني الجديد بابعاده المعمارية الغربية . ما يمكن ملاحظته بهذه التجمعات السكنية المختلفة هو التدهور العام للحيز السكني الجماعي بها . لكن اذا تيسّر تبرير هذه الوضعية بالنسبة للبنايات التاريخية [1] اذ اصبحت عاجزة عن سدّ حاجات السكان بفعل التحول الاجتماعي السريع، فكيف يمكن تفسير نفس الظاهرة بالنسبة للتجمعات السكنية الاروبية الموروثة من عهد الاستعمار الفرنسي وبالنسبة للاحياء السكنية الجديدة ؟.

حتى نستطيع أن نجيب على هذا التساؤل الذي يكوّن المحور الاساسي لهذا البحث، فاننا نقدم حجم البناء العمودي ضمن النسيج العمراني العام لولاية بومرداس، ثمّ نبرز مكانة الاحياء السكّنية الجديدة به .

تعود الانطلاقة الفعلية للتعمير في ولاية بومرداس الى سنوات 1976/74 عند توسيع مجال الحي السكني الاساسي لمدينة بومرداس وعند بناء المجمعات السكنية بالقرب من الوحدات الصناعية بمدينتي رويبة ورغاية . اشار (ج. كلود برولي)الى نفس الملاحظة عندما رأى ان الوحدات الصناعية كانت تسبق في كل مرة المباني السكنية [2].
تهدف برامج السكن في ولاية بومرداس الى إسكان فئات اجتماعية واسعة : اطارات المؤسسات، سكان الأكواخ وسكان الاحياء السكنية القديمة (كحي القصبة في الجزائر العاصمة). تعتبر العمارة العمودية الوحدة السكنية الاساسية في هذه البرامج.لم تعرف هذه الاخيرة وتيرة انجاز سريعة الا بعد السبعينات. اصبحت العمارات السكنية منذ ذلك الوقت تشكل تجمعات سكنية تستقطب اهتمام السكان لأنها الحيز الاجتماعي الرئيسي الذي يمثل حلا ممكنا لمشكلة الاقامة للكثير من الافراد والعائلات.

---

1) تقدم مدينة دلّس نموذجا واضحا للتداخل العمراني بين النماذج السكنية التاريخية الحديثة .

2) **BRULE (J.C): Industrialisation et urbanisation en Algerie, in Machrék Maghréb No 96 , avril-mai 1982 P; 283 .**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجعت الكثير من العوامل الاتجاه نحو البناء العمودي بولاية بومرداس: ضرورة حماية الاراضي الزراعية، زيادة الطلب على السكن، ارتفاع نفقات البناء وعجز الكثير من السكان على بناء مساكنهم بأنفسهم. غيّرت هذه العوامل بداية من 1976 نمط اقامة الافراد والعائلات وفرضت النموذج الاروبي في النظام الاجتماعي للسكن بمناطق بعيدة عن التجمعات الحضرية المعروفة كالجزائر العاصمة. بلغ عددالمساكن في التجمعات الحضرية بولاية بومرداس 41.960 مسكنا، لديوان الترقية والتسيير العقاري 17.924 مسكنا منها10.186 مسكنا على شكل احياء سكنية جماعية. وصل عدد الاحياء السكنية سنة 1985 ما يقرب 81 حيا سكنيا. ان انجاز حيين سكنيين أو ثلاثة بـ 300 الى 700 مسكنا في الحي الواحد في مدة سنة هو معدل انجاز التجمعات السكنية بولاية بومرداس [1].

اذا تتبعنا حركة انجاز الاحياء السكنية الجماعية بالولاية يمكن ان نستخلص ان نسبة 48,15٪ منها قد أنجز بين سنوات 1976 و 1985 (انظر الجدول رقم 1). نعتبر هذه الفترة مرحلة هامة في حركة انجاز المساكن الجماعية بالولاية، لم ينجز قبل هذه المدة الا 40,74٪ من مجموع الاحياء، تعود نسبة 30,86٪ منها الى فترة الاستعمار.

1) توزيع الاحياء السكنية حسب سنة انجازها

المدة	من 1950 1962	من 1963 1970	من 1971 1975	من 1976 1985	لم يتم تحديد تاريخ انجازها	المجموع
عددالاحياء	25	0	08	39	09	81
النسبة	30,86٪	0٪	9,88٪	48,15٪	11,11٪	100٪

ان المتتبع لوتيرة التعمير في ولاية بومرداس يلاحظ الاتجاه السريع نحو بناء التجمعات السكنية الجماعية ويلاحظ ادماج العمارة الغربية كنمط للاقامة في النظام

1) مجلة الولاية في ارقام 1986.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعي للسكن. كانت العمارة الغربية قبل 1976 نادرة بالنسبة للتجمعات السكنية ذات الطابع الافقي العام. كانت تخصّص عموما لعمال بعض الانشطة المهنية كالتعليم والضرائب والدرك،اصبحت بعد هذه السنة تشكل وحدة اساسية لتجمعات سكنية تحمل أسماء مختلفة. تعبّر هذه الاسماء على سعة هذه الاحياء واهميتها: الحي السكني 1405 مسكنا بمدينة بومرداس والحي السكني 1450 مسكنا بمدينة رغاية والحي السكني 850 مسكنا بمدينة بودواو... انها رموز التحول في نظام السكن الجماعي بولاية بومرداس.

يشمل هذا التحول بالاضافة الى عدد البنايات السكنية المنجزة، تغييرات في السلوك الاجتماعي للاقامة الجماعية كاستعمال الحيز المشترك خارج المسكن وداخل الاحياء السكنية وتغييرات في نظام التعامل بين السكان.نحاول ان نجسّد أهمية البنايات السكنية باستعراض كبر وسعة الاحياء، ونتبع التغييرات في السلوك الاجتماعي للسكان بتحليل مضمون الملاحظات الأولية من واقع الاقامة بالاحياء السكنية لولاية بومرداس.

كيف يجب أن يكون حجم الاحياء السكنية لكي تشكل ظرفا اجتماعيا متكاملا ؟ هل تتمكن الابعاد العمرانية والاقتصادية والاجتماعية التي تتصف بها الاحياء السكنية الحالية من تحقيق وتجسيد هذا التكامل؟.

1.2.1 - كبر وأهمية الاحياء السكنية لولاية بومرداس :

يتراوح عدد البنايات العمودية بأغلب الاحياء السكنية بالولاية من 1 - 20 بناية في الحي الواحد أي ما يعادل 32،75٪ من مجموع الاحياء السكنية. اما الاحياء التي يتراوح عدد البنايات بها من 21 الى 100 بناية فتصل نسبتها 41،7٪. يوجد حي سكني واحد يتجاوز المئة بناية ويقع بمدينة بودواو [1].

اذا استثنينا الاحياء السكنية القديمة (86،30٪) التي لا تتجاوز اربع بنايات في كل حي، فاننا نلاحظ ان الاحياء السكنية المنجزة في الفترة بين 1976 و 1985

---

1) انظرو الجدول رقم 2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي التي يتراوح عدد البناياتبها بين خمس ومئة بناية في الحي الواحد. يوضّح هذا الاتجاه اقبال العمرانيين على زيادة توسيع نطاق التجمعات السكنية الجديدةوجعل الحي السكني وحدة سكنية بأكبر عدد ممكن من البنايات والمساكن .

2) توزيع الاحياء السكنية حسب عدد البنايات بها

عدد البنايات	1 ـ 3	4 ـ 20	21ـ100	اكثر من100	لم يتم تحديدها	المجموع
عدد الاحياء	34	37	06	01	13	81
النسبـــــة	41,98٪	33,34٪	7,41 ٪	1,23 ٪	16,04 ٪	100٪

تضمّ نسبة 60,49٪ من مجموع الاحياء السكنية بولاية بومرداس أقل من100مسكن في الحي الواحدوخاصة ضمن احيائها السكنية القديمة. يعرف 25,92٪ من الاحياء عددا كبيرا من المساكن يتراوح بين 100 و 700 مسكن في التجمع السكني الواحد(1): ان الاحياء السكنية التي تفوق هذاالعدد نادرة ويوجد منها الى حد الآن خمسة، يتجـاوز اثنان منها 1000 مسكنا في الحي الواحد: كحي 1405 مسكنا بمدينة بومرداس وحي 1450 مسكنا بمدينة رغاية الى جانب مشروع انجاز حي سكني بـ 1062 مسكنـــا بالكرمة بشرق مدينة بومرداس .

3) توزيع الاحياء السكنية حسب عدد المساكن بها.

عدد المساكن في الحي الواحد	من 8 الى19	من 20الى99	من 100الى700	من 800الى1450	المجموع
عددالاحياء	06	49	21	05	81
النـــسبـــة	7,42٪	60,49٪	25,92٪	6,17	100٪

بالاضافة الى نسبة عدد البنايات ونسبة عدد المساكن في الحي الواحد، تشكل نسبة عدد الغرف في كل حي وفي كل مسكن جانبا رئيسيا من أهمية التجمعات السكنية لولاية بومرداس. ان متوسط ثلاث غرف في المسكن الواحد بأغلب الاحياء السكنيـــة

1) انضروا الجدول رقم 3

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطرح صعوبات امام تحقيق الاقامة المناسبة . فاذاامكن للمنجز أن يحدد عددالمساكن وعدد الغرف في البنايات التي ينشئها ، فان عددالافراد والعائلات التي ستقيم بهذه المساكن وبهذه الاحياء يبقى بعيدا عن أي تحكم أو تحديد، لأنه يمكن أن تشترك اكثر من عائلة زوجية واحدة في حيازة مسكن من ثلاث او اربع غرف وقد يحتوى نفس المسكن أسرة بفروعها، فيضم الوالدين والابناء والاحفاد. تعقد هذه الوضعيات العائلية ظروف السكن بأغلب الاحياء السكنية لولاية بومرداس .

2.2.1 - ظروف الاقامة بالاحياء السكنية الجماعية في ولاية بومرداس

تشترك ثلاثة اطراف في تبلور أوضاع السكن بولاية بومرداس: منجزات المباني السكنية ، مسيروها ومستعملوها . ينحصر دور المنجز في تنظيم وتهيئة التجمعات السكنية المختلفة ، يسهر المسير على المصالح الضرورية للسكان ولا يستعمل المواطن هذه المصالح التي تقدمها له المدينة أو الحي فحسب، بل يؤثر عليها ويحولها .

لنجاح أي اطار فيزيقي اجتماعي في مهمته المنشودة ، رأى المجتمعون في الملتقى الدولي حول مشاكل تسيير المدن الكبرى ضرورة الانسجام بين عمليات المنجزين والمسيرين، والمستعملين[1] . أكد (سيدي بومدين)، في نفس المناسبة ، أن الابعاد الثلاثة لا تعرف تنسيقا واقعيا في حياة المجتمع الجزائري[2] . فلا المنجز قد راعى الابعاد الاجتماعية الثقافية للسكان عند البناء ولا انسجم هؤلاء مع الابعاد المعمارية للبناءات السكنية الجديدة . فكل طرف تنشطه آليات اجتماعية ثقافية محددة .

اذا تحققنا في القواعد الهندسية والشروط المعمارية التي شكلت المبادىء الاساسية لانجاز الاحياء السكنية الجديدة بولاية بومرداس، فاننا لا نجد نصا عمرانيا رسميا يتخذ من القيم الاجتماعية الثقافية المحلية او الوطنية بعدا اساسيا في انشاء هذه البنايات : كتحديد عدد المساكن المناسبة في الحي الواحد، ارتفاع مستوى البنايات عدد الغرف، اتجاه الشرفات، امتداد المساحات الحرة وطبيعة) المرافق التابعة لها... لا يتم مراعاة هذه المعطيات الهندسية والاجتماعية الا كقاعدة عامة . تتوقف بقية المعايير على اغراض تجارية أو فنية بحتة .

I) COLLOQUE sur la gestion des grandes villes . Alger I2 au 05 avril 1988.

2) SIDi(B.): Revue construction No 28 . I988 . P 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستعرض المشرّع ضمن التعليمة المحددة لاجراءات تطبيق القانون الخاص برخص البناء، المقاييس الهندسية والشروط الضرورية لانجاز العمارات ذات الطابع السكني: كاختيار المكان المناسب، توفر شروط الاضاءة، التهوية، الماء وفرص النقل... يتعرض المشرّع في نفس الوقت الى جميع الحالات التي يمكن ان تمنع قيام البناية السكنية. لم نجد ضمن هذه الموانع وهذه الشروط اثرا لبعد اجتماعي أو ثقافي يدخل كعنصر فعّال عند انجاز البنايات السكنية. فأي معنًى يمكن أن يحمله تجمع البنايات المتكررة الواحدة تلوى الاخرى؟ أهي احياء سكنية اجتماعية ام تجمع لبنايات لا تحمل هوّية معينة ؟.

ينعكس غياب المعطيات الاجتماعية الثقافية من عمليات انشاء المساكن بولاية بومرداس على نمط حيازة الافراد والعائلات للمساحات السكنية الداخلية منها والخارجية وعلى العلاقات الاجتماعية بين السكان. تعطي هذه الوضعية مظاهر عمرانية واجتماعية متناقضة: بناءات سكنية حديثة من جهة ونمط حيازة اجتماعي مضطرب وفوضوي من جهة أخرى. يتطلب وصف هذه المظاهر السلوكية متابعة ميدانية وتحقيقا علميا، لأن الاتفاق عام حول تدهور أوضاع السكن بأغلب الاحياء الجديدة، لكن اسباب وعوامل وتوابع هذه الأوضاع تبقى في كل مرة غير واضحة.

يعيد أغلب الباحثين اسباب الفوضى في المحيط السكني والاضطراب في العلاقات الاجتماعية بين السكان الى اطراف عديدة دون محاولة الكشف عن ما يربط بين هذه الاطراف من عوامل مشتركة. يؤكد التقنيون عى العوامل الفنية والتكنولوجية [(1)] في حين يرى الاجتماعيون في مسألة الانسجام بين العائلات والنماذج السكنية الجديدة العامل الرئيسي في التدهور العام الذي تعرفه التجمعات السكنية. نولي منجهتنا الابعاد النفسية الاجتماعية أهمية في هذا العمل ولبحثها في الميدان نحلل السلوك الاجتماعي للاقامة الى عنصرين اساسيين: فلكي تتم الاقامة لا بد ان يتوفر كل من المسكن من جهة والعائلات المقيمة من جهة أخرى.

I) SID . Boubekeur: L'habitat en Algerie . Alger, O P U 1986 P. I2 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبق ان تحدثنا الى حدّ الآن عن برامج السكن في ولاية بومرداس،عرفنا وتيرة انجازها وقلنا ان ابعادها المعمارية أروبية لا تخضع لأية شروط وقواعد اجتماعية جزائرية . نحاول الآن معرفة ما تساهم به العائلات في بلورة ظروف السكن بهذه التجمعات السكنية باعتبارها المستفيدة الأولى والمستعملة الرئيسيةلهذه المساكن.

3.2.1 ـ الميزات الاقتصادية والاجتماعية للعائلات المقيمة بالاحياء السكنية لولاية بومرداس :

اشرنا سابقا الى أن اغلب العائلات التي استفادت من البنايات السكنية الجديدة تمثل مختلف الفئات الاجتماعية للمجتمع: عائلات الاطارات، المستخدمين، العمال والحرفيين... استفادت هذه العائلات بدرجات متفاوتة من برامج السكن في ولاية بومرداس . عرفت هذه الاخيرة حملات مختلفة للاسكان، كانت اهمها تلك التي خصّت لسكان الأكواخ والمساكن المتلاشية ولسكان حي القصبة من الجزائر العاصمة ،الذين تمّ نقلهم الى التجمعات السكنية الجديدة لمدن بودواو وثنية وبومرداس. اعطت هذه العمليات طابعا مميزا للتركيبة البشرية لسكان الاحياء، فاصبحت تتصف بالاقامة الجماعية للعديد من الاسر التي تختلف في مستواها الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي وفيخبرتها في الاقامة الجماعية بالتجمعات السكنية .

يمكن تحديد ثلاث فئات اجتماعية استفادت في ثلاث مراحل مختلفةمن السكن في الاحياء الجديدة : تميّزت المرحلة الأولى باسكان الاطارات وبعض المسيرين.فلم يمكّن الانجاز الضعيف للمساكن، زمنئذ، من الاستجابة لبقية الفئات الاجتماعية .أدّت هذه الوضعية الى انشاء احياء سكنية خاصّة ومتميزة في ابعادها المعمارية والاجتماعية : (كبعض الاحياء بمدينة بومرداس). ضمت المرحلة الثانية الى جانب اسكان الاطارات والمستخدمين بعض العمال وعائلات من فئات اجتماعية مختلفة . بدأت الاقامة الجماعية في الاحياء السكنية تنحصر تدريجيا، في المرحلة الثالثة، في الفئات الاجتماعية الشعبية، في حين اتجهت بقية الفئات الى النماذج السكنية الاكثر حداثة واستقلالية : تعاونيات للسكن الجماعي والشبه الجماعي مساكن فردية ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تختار الكثير من العائلات الحي الذى ستقيم فيه الا نادرا، ولا تختار عدد الغرف ولا الجيران الذين سيشاركونها حيّازة المكان.تتّم الاستفادة بالمسكن الجديد كاجراء اداريّ بعد أن يكون قد كلّف الافراد والعائلات الكثير من الجهد والعناء.

تختلف العائلات المقيمة بالاحياء السكنية الجديدة في مستواهاالاقتصادي والاجتماعي وفي تجربتها في السكن بالاحياء الحديثة .تقيم أغلب العائلات بهذه المساكن لأول مرّة : كالعائلات القادمة من الأكواخ او من المساكن القديمة .

يتميّز سكان الاحياء الجديدة الى جانب هذه المعطيات بخصائص اجتماعية وثقافية ونفسية هامّة : نمو ديموغرافي مرتفع في بعض العائلات، مراقبة اجتماعية مستمرة عند البعض الآخر، توزيع الادوار الاجتماعية مختلف من عائلة لعائلة، تباين في استعمال الحيز الداخلي للمسكن مع الحيز الخارجي واختلاف في الكثيرمنالتصورات الاجتماعية . رغم التأثر الحتمي لهذه المعطيات على السلوك الاجتماعي وعلى حاضر التجمعات السكنية، فانها لم تؤخذ بعين الاعتبار عند انشاء البنايات السكنية أو عند توزيعها على الافراد والعائلات. فالانجاب الغير المنتظم والسريع كافي لتحول أيّ مسكن أو أية بناية سكنية الى تجمع هائل للافراد والى مصدر للمعاناة اليومية : ضوضاء، ازدحام، اتلاف عام للمنجزات والمرافق... لذلك نريد في هذا العمل أن نتحقق من الاثبات التالي: تتحمل العائلات المقيمة بالتجمعات السكنية جزءا من مسؤولية تدهور اوضاع اقامتها لحيويتها من جهة ولارتباطها الطبيعي بالمسكن من جهة أخرى. تتمّ هذه العملية في سلوك شعوري او لا شعوري تنجرّ عنه مظاهر بيئية واجتماعية تلحق بالجوانب المعمارية وبالعلاقات بين السكان الكثير من الاضطراب والفوضى. لن يصبح بذلك الحي السكني الجديد اطارا مناسبا للحياة الاجتماعية فحسب، بل يتحول الى مصدر للمعاناة اليومية . تمنع هذه الوضعية السكان من الاستفادة بالعزلة والراحة الكافية لتجديد نشاطهم لمواجهة متطلبات الحياة المهنية والعلمية والعامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انّ ما يسود من اتلاف للمحيط المباشر للمسكن على حساب حيزه الداخلي وما يسود من صراع بين الافراد والعائلات على حساب مبدا احترام الجوار،الى جانب تبادل المصالح الخاصة على حساب المصلحة العامة وانتشار اللا مبالاة والنفاق واستعمال الحيلة في التعامل... كله ميزات نفسية اجتماعية تتصف بها الحياة الاجتماعية للاقامة الجماعية. نحاول في نهاية هذاالفصل تقديم تصوّر أولي عنها بالاعتماد على الملاحظات الاساسية التي استقيناها من الميدان.

II - واقع استعمال المساحات المشتركة خارج المساكن وداخل الاحياء السكنية لولاية بومرداس وانتظام العلاقات الاجتماعية بين السكان

لماذا يجب بحث نمط حيّازة المساحات الخارجية للمسكن وداخل الاحياء السكنية أو ما هي الافكار التي يمكن استخلاصها من عملية التحليل النفسي الاجتماعي لتملّك السكان لهذه المساحات ؟

فضّلنا ملاحظة السلوك الاجتماعي للاقامة بالاحياء السكنية لابراز نمط استعمال هذه المساحات. يحدد هذاالعنصر حاضر التجمعات السكنية ويمثل البعد النفسي الاجتماعي الذي تتميز به مواقف الافراد والعائلات اتجاه برامج السكن واتجاه الهندسة المعمارية الحالية.

تمتد الاحياء السكنية الحالية لتشمل الى جانب العمارات عدة فسحات بين البنايات ومرافق جماعية. تعرف بعض الاحياء تجهيزات اقتصادية واجتماعيةوثقافية وتغيب هذه التجهيزات في بعض الاحياء الأخرى وقد يقطن الناس في أحياء لم تتمّ الاشغال بها بعد. كحي 800 مسكنا بمدينة بومرداس. ترتبط ظروف الاقامةبالتجمعات السكنية الحالية بعدّة شروط اقتصادية واجتماعية وثقافية كما تساهم ثلاث اطراف او جهات في تحديد أوضاع السكن:نمط البناء، أسلوب التسيير ثم الاستعمال الجماعي للحيز السكني. لا مجال هنا للتطرق الى الجوانب الثلاثة رغم تداخلهم وترابطهم. نشير فقط الى الاستعمال الاجتماعي للمساحات السكنية خارج المساكن وداخلالاحياء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما لهذا السلوك من أثر على واقع السكن الجماعي الحالي بصفة خاصة وعلى عملية التحضر بصفة عامة .

يوظف الافراد والعائلات عند حيّازتهم للمجال الخارجي عوامل نفسية اجتماعية وثقافية . تبرز هذه الاخيرة علاقة السكان بالمحيط الخارجي وبالتفاعل الاجتماعي.نحاول ان نحصر هذه العلاقة المزدوجة عن طريق الملاحظات الأولية التي استقيناها من واقع حيازة السكان للمساحات العامة خارج المساكن وداخل بعض الاحياء من ولاية بومرداس ومن تفاعلاتهم اليومية كعلاقتي الجوار والصّراع... تمكننا هذه الملاحظات من تحديد اشكالية علاقة السكان بالمحيط الخارجي في الاحياء الحالية وتحديد الفرضية الاساسية للبحث وبالتالي تحديد المنهجية المناسبة للدراسة .

1.2 ـ تحليل ملاحظات أولية من واقع استعمال السكان للمساحات العامّة خارج المساكن وداخل الاحياء الحالية

ملاحظة 1: لاحظنا كيف يحيط سكان البنايات الممتدة على اطراف حيين سكنيين بمدينتي بودواو ورغاية وهما على التوالي حي 1450 مسكنا وحي 850 مسكنا ، مجموعات غير محددة من العمارات،(من 2 الى3) بأعمدة حديدية واسلاك... تضمّ كلّ مجموعة ساحة على شكل حوش ومدخلا رئيسيا ، يدعمونها بغرس شجيرات جانبية ، يشكل نموها التدريجي حاجزا طبيعيا بين تلك الفسحات وبقية الحيز الخارجي للمساكن وداخل الحيّين .

تمتد المساحات المحاطة لتشمل بصفة عامة مواقف السيارات والممرات نحو العمارات. تعطي هذه العملية وحدات جوار غير رسمية ، تمتد أولا على أطراف الحيين، أين تقل شروط الامن، ثمّ تنتقل وسط الحيين رغم الحركة المتزايدة وتجمع السكان باستمرار فيها .

نلاحظ من خلال هذا السلوك كيف يطرح امتداد الحيين على مساحات واسعة عدّة صعوبات أمام انسجام السكان في وحدة جوار متكاملة . ان أهم ردّ فعل لهذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضعية هو ما تقدمه ملاحظة سلوك الأفراد عند اعادة تنظيمهم للحيّز السكني خارج المساكن وداخل الحيين باقامة وحدات سكنية تفصلها عن بعضها البعض حواجز مختلفة. يشترك بعض السكان في احاطة عمارة أو عمارتين بأعمدة حديدية وأسلاك منشئين بذلك حيّزا خاصا بهم يكون مراقبا ومنظما ومعيدين احياء نمط السكن الريفي او الحضري القديم أين كانت تتم تجزئة المكان بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي بواسطة أسوار وأبواب توصد من الداخل .

نوضح هذا السلوك بشكل بارز بالملاحظات الميدانية التالية :

ملاحظة 2: يحيط الكثير من سكان الطوابق الارضية للبنايات في الاحياء السكنية الشعبية بمدينتي بومرداس ورغاية المساحات الحرة المحاذية للشرفات والنوافذ بأسلاك واعمدة . يغرس السكان بها أنواعا من الشجيرات والازهار ويتجهون الى "فلاحة" الخضر والفواكه ، ممّا يجعلها تتحول - بعد فترة زمنية - الى ستار يحجب الحيز الداخلي من الخارج .

ملاحظة 3: كثيرا ما يتم ادخال تعديلات على النوافذ والشرفات التابعة للمساكن الارضية بأغلب الاحياء السكنية الحالية ببناء جدار اضافي او وضع صفائح واعمدة حديدية ، تشوّه التناسق المعماري العام .

ملاحظة 4: تدعّم مداخل المساكن والبنايات بأبواب من حديد في أغلب الاحياء السكنية ، اذا أضفنا الاعمدة الحديدة التي تحيط بالشرفات والنوافذ ، يتحول كل مسكن الى قلعة محصنة .

يتميّز واقع حيازة الاحياء السكنية الحالية بسلوكات اجتماعية تتخذ من الحيز الخارجي مكانا غير آمن ، يدفع السكان نحو القيام بسلسلة من العمليات التي تفصل بين الحيزين الخاص والعام . تتّم هذه العمليات على حساب المحيط السكني والتناسق المعماري الحديث وينجر عن هذه الوضعية الكثير من الاهمال للمساحات السكنية خارج المساكن وداخل الاحياء واضطرابا في المرافق الجماعية التابعة لها . ندعم هذا الاثبات بالملاحظة التالية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظة 5: نادرا ما يتم استعمال مواقف السيارات كأماكن لتجمع هذه الاخيرة يفضل السكان التوقف بسياراتهم بأقرب مكان من مسكنهم ليمكنهم ذلك من مراقبتها حتى ولو كان ذلك على حساب المساحات الخضراء والارصفة . اذا تعذر ذلك يدفع بعض السكان أجرة لحارس يقوم بهذه المراقبة .

اذا كانت المساحات الخارجية للاحياء السكنية بولاية بومرداس تتميز بشكل متزايد بانعدام الامن، الامر الذي دفع بالسكان الى اتخاذ سلسلة من التحويلات على واجهات مساكنهم ، فكيف يمكن تفسير الاهمال العام لهذه المساحات والاضطراب، في المرافق التابعة لها ؟ لابراز مسؤولية الافراد والعائلات في تحديد هذه الوضعية ، نتابع هذه الملاحظات الميدانية .

ملاحظة 6: يلجأ سكان مختلف الاحياء السكنية في ولاية بومرداس بمناسبة كل عيد أضحى الى الفسحات العامة المغروسة والغير المغروسة للقيام بعمليات ذبح الكباش وتنظيفها هناك. تتضمّن هذه العملية :ذبح الكبش او مجموعة كباش بقرب شجرة أو جدار، يتمّ التخلص من فضلاته بغسل احشائه بنفس المكان. تتحول بذلك تلك المساحات الى مذبح عام . تتناثر الاوساخ بها وتصبح لعدة أسابيع مصدر تلوث المحيط.

تريد التقاليد الاجتماعية بهذه المناسبة ان يتم ذبح الكبش بأقرب مكان من المسكن بحضور الاطفال وأفراد العائلة . تمنع هذه التقاليد اجراء أي تغييرفي هذا السلوك: كامكانية استعمال المذبح العمومي او تجهيز مكان خاص بهذه المناسبة .

يرتبط احياء هذه المناسبة بالحياة الخاصة للعائلات من جهة ويعتبر كمركز للتضامن العائلي والاجتماعي من جهة أخرى. رغم هذا لا تثير خطورة تلوّث المحيط الذي تتبعه أي ردّ فعل لدى سكان الاحياء. يكتفي بعض "المثقفين" من سكان الحي الجديد المخصص للاطارات بمدينة بومرداس بتقديم بعض الملاحظات: لماذا لا تبادر البلدية بتجهيز بعض الاماكن وتخصصها لهذه العملية، او لماذا لا يتجه السكان الى المذبح البلدي... او الاكتفاء بشراء اللحم جاهزا .[

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انطلاقا من التناقض الذى تبرزه ملاحظاتنا السابقة يمكن ان نثبت أن تلوث المحيط بمناسبة عيد الأضحى، يعدّ ظاهرة اجتماعية أكثر ممّا هو تابع لسلوك مقدس. يتضح هذا أكثر عندما نسمع ما يردده بعض السكان بمناسبة هذه الاعياد وهم يبرّرون شراءهم للكباش الباهضة الثمن، بأن ذلك استجابة لفرحة الأطفال فقط مستبعدين الجانب الديني.

ينحصر استعمال المحيط السكني في وظائف محدودة عرفها النظام الاجتماعي التقليدي الريفي او الحضري القديم. تقدّم الملاحظة التالية صورة متخلفة من هذه الوظائف.

ملاحظة 7: تلجأ بعض العائلات في الاحياء السكنية القديمة وفي الاحياء السكنية الشعبية (حي 120 مسكنا وحي 800 سمكنا بمدينة بومرداس). الى استعمال الفسحات الحرة المحيطة بالبنايات - بعد تجهيزها بأوتاد وأعمدة واسلاك... لتجفيف الألبسة والأغطية... عندما لا تستوعبها النوافذ والشرفات. تجفف بنفس المساحات بعض الاطعمة وأنواع الحبوب وكذلك جلود الاغنام وخاصة بعد الاعياد والافراح.

يعود غيّاب هذه السلوكات في الاحياء السكنية المخصصة للاطارات الى عدّة عوامل نذكر منها: سعة الشرفات، بنية العائلات والمستوى الاجتماعي الاقتصادي. لاحظنا استعمال المساحات الحرة خارج المساكن وداخل الاحياء السكنية لاغراض عائلية في الاحياء السكنية الشعبية أين تبلغ نسبة التزاحم حدا كبيرا.

توضح لنا هذه الملاحظة العلاقة القائمة بين العائلات والمحيط الطبيعي ممثّلة هنا في الطاقة الشمسية. تتجسد هذه العلاقة في كيفية استغلال العائلات لأشعة الشمس لاغراض منزلية. اذا كان هذا السلوك ريفيا أساسا فكيف نفسّر قيامه في التجمعات السكنية الحضرية الحالية ؟ هل تزداد الظاهرة بروزا كلما كانت الحاجة لأشعة الشمس حادة: لتجفيف الالبسة والاغطية وبعض أنواع الحبوب والمواد الغذائية أو عند زيادة الرطوبة في معظم فصول السنة ؟.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعيد س. مظهر علاقة الافراد والعائلات بالمحيط الطبيعي الى النظـــام الاجتماعي السابق، فهو يلاحظ: ((أنه رغم اعتبار هذا المحيط عدائيا على المجتمع، لكنه كان فى آن واحد يعتبر المورد الاساسي للعيش)). (1)

ان اللجوء لأشعة الشمس لاستعمالها في اغراض اقتصادية عائلية محـدود اتجاه يحمل معطيات نفسية اجتماعية وبيئية من النظام الاجتماعي السابق عندما كانـت، كما يؤكد الباحث، المعارف العلمية وتقنيّات السيطرة على المحيط الطبيعي ضعيفـة ومـتخلفـــة.

ان الملاحظات التالية تبرز تدهور أوضاع المساكن والبنايات وتحـدّد دور الافراد والعائلات في تحديد هذه الأوضاع وتحديد توابعها على الحياة الداخلية.

. ملاحظ 8: تعود أغلب أنواع القاذورات المتناثرة بالمحيط السكني الى طبيعة المواد المستـهلكة من طرف السكان: بقايا للاكل، قشور، أوراق، علب بلاستيك... تتراكم هذه النفايات خلف البنايات وبالأماكن البعيدة عن المراقبة.

ملاحظة 9: ليس بأغلب الاحياء السكنية مساحات مغروسة، تثير الاماكـــن العارية الأتربة والغبار والطين فينقلها الأفراد داخل البنايات عند الدخول والخروج.

يمكن أن نضيف العديد من هذه الملاحظات، الآ أننا نكتفي بهذه لأنها تمكننا من تقديم تصور أولي حول واقع استعمال الحيز الخارجي للمسكن وداخل أغلب الاحياء السكنية. يتميز هذا الواقع بأبعاد نفسية اجتماعية يمكن الاشارة اليها على النحو التالي:

أولا: التباين في التصوّرات الاجتماعية لاستعمال الحيز الداخلي للمساكـن وحيزها الخارجي. فاذا كان الحيز الأول خاصّ يخضع استعماله لقواعد عائلية محـدّدة

I) MEDHAR (S.): De l'individu au citoyen , les entraves à la réalisation du développement en Algerie . analyse psychosociologique des fr au développement. Université Paris v 1988 P .I7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتصف بالانتظام، فان الحيز الخارجي الجماعي يلقى استعماله صعوبات وحواجز نفسية اجتماعية تحول دون انتظامه ونظافته ... اذا تتبعنا سلوك الاطفال ـ كمثال على ذلك ـ فاننا نلاحظ كيف يخضع هؤلاء الى موانع والى قواعد عائلية عندما يكونون داخل المساكن ثم كيف يتصرفون بكل حرية عندما يكونون خارج المساكن وداخل الاحياء[1]. يلحق الاطفال بذلك الكثير من الاضطراب والفوضى بالحياة الجماعية وبالابعاد المعمارية للحي السكني .

ثانيا : تعتبر المساحات الخارجية للمساكن وداخل الاحياء السكنية حيزا غير آمن ومصدرا للامراض والاخطار المتنوعة ... فالى جانب ما يمكن ان يتعرض اليه الاطفال والممتلكات (السيارات...) من صدمات، يعتبر هذا الحيّز مصدرا للاوساخ والأوبئة ... يعمل الافراد والعائلات على اقامة المراقبة الاجتماعية للتخلص من أعبائه فقط واذا تعذر ذلك فالحذر وعدم الاطمئنان هما الميزتان الواجب اتخاذهما لدى التعامل مع كلّ ما يقدمه هذا الحيز .

ثالثا : لا يخضع استعمال هذا الحيز لأيّ نظام رسمي محدد، فكل عائلة وكل فرد يتّخذ من خبراته ومن تصوراته الاجتماعية مرجعا في تحديد نمط حيازته للمساحات الجماعية وللمرافق التابعة لها وتحديد تفاعله مع بقية الافراد والعائلات. ترتبط هذه التصورات وهذه الخبرات بنظام القيّم الذي يميز العائلات المقيمة والذي يغرس جذوره في أعماق تقاليد السكن والاقامة الاجتماعية الريفية أو الحضرية القديمة .

من اجل تحديد فعالية هذه التقاليد الاجتماعية والثقافية على الحياة السكنية فضّلنا توسيع مجال الملاحظة الى العلاقات الاجتماعية بين السكان ضمن هذه التجمعات السكنية

---

1) نستثني من هذه الملاحظة العائلات التي لا تراقب ولا تتحكم في سلوك أطفالها بداخل المسكن ولا بخارجه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.2 ـ تحليل ملاحظات أولية من واقع العلاقات الاجتماعية بين السكان في الاحياء السكنية الحالية

رأينا الى حدّ الآن كيف يعمل الافراد والعائلات على استعمال المساحات السكنية الجماعية المحيطة بالمساكن والبنايات وكيف يفرضون نمطا غير واضح القيّم عند تعاملهم بالمحيط السكاي يبدو من جرّاء ذلك الحيز السكني الجماعي متدهورا ومهملا باستمرار. ان المتتبع للعلاقات الاجتماعية بين السكان يلاحظ أن قواعد غير رسمية، يصفها سليمان مظهر بالسرية وتابعة للنظام الاجتماعي التقليدي تنظم الحياة الاجتماعية، توجه هذه القواعد شعوريا ولا شعوريا سلوكات الافراد ونمط حيازتهم للمكان وتعاملاتهم الاجتماعية. لم نبرز الا بعض الاسس النفسية الاجتماعية المميزة لهذه القواعد كالتباين بين الحيز الداخلي والخارجي في التصورات الاجتماعية ولم نشر الا للاهمال العام للمحيط السكني. تعرف الحياء السكنية مظهرا آخر للاضطراب في السلوكات الاجتماعية والمتمثل في اضطراب العلاقات الاجتماعية بين السكان كاضطراب القيم التابعة للجوار والتعاون. نحاول ان نوضح هذا الاثبات بالملاحظات الميدانية الاولية التالية :

ملاحظة 1 : قدّم أحد السكان بالحي المركزي لمدينة بومرداس شكاوى لديوان الترقية والتسيير العقاري، كان موضوعها طلب التدخل لاصلاح تسرّب الماء الى مسكنه من أحد الجيران. يوضح ما جاء في رسالته شدة المعاناة النفسية التي يعرفها هذا الساكن وهذا ليس من جرّاء موضوع الشكوى فحسب، بل لموقف جاره الذي يرى فيه شخصا عدوانيا. فهو يقول :

" لقد نبهت هذا الجار عدة مرات لأجل الاصلاح، ولكن لا حياة لمن تنادي ـ كما يقال ـ والاكثر من هذا فانه يقول لي كلما أكلمه :ان الماء وغير ذلك هو من عندك وليس من عندي.."...لذا أرجو منكم ان تتخذوا الاجراءات اللازمة في اقرب وقت ممكن ـ انني استغيث منذ عدة سنوات. انقذوني من هذا الخطر الذي يحدق بي في كل وقت."[1]

---

1) شكوى من ملف شكاوى سكان الحي الشعبي بمدينة بومرداس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ كيف يشكل الاطار السكني الجماعي ظرفا للتفاعل الاجتماعي ويفرض على الافراد والعائلات نتيجة تقاربهم الفيزيقي ضرورة التعامل اما بالتعاون او التناحر نتساءل عن طبيعة هذا التفاعل وعن الخصائص النفسية الاجتماعية للعلاقات بين السكان: صراع، جوار ...

ملاحظة 2: ان ما يثير اهتمامنا عند تنظيم العائلات المقيمة بالاحياء السكنية الجديدة للحفلات (زواج، ختان، عودة من الحج، نجاح مدرسي...) هو الاضطراب في الحياة العامة الذي يتبع هذه المناسبات: يتجمع الاطفال ولا تعرف تنقلاتهم سلاليم ومداخل العمارات أي انتظام أو هدوء. ترتفع حدّة الموسيقى والغناء، يتحول المسكن المنظم للحفل الى مصدر للضجيج حتى الى ساعات متأخرة من الليل. تثير هذه الاوضاع القلق والازعاج لدى السكان في بقية المساكن والبنايات .

الى جانب انعدام التقيد بأي تنظيم رسمي يحدد سير الحفل، يلاحظ عدم مواجهة الجيرّان للذين ينظمون هذه الحفلات ويثيرون الاضطراب في حياة السكان.فمن النادر ما يواجه بقية السكان هذه التجاوزات .

ملاحظة 3: شرع (ب:ب) في تنصيب هوائي للتلفيزيون فوق البناية من نوع الامواج العالية .تحسنت بذلك الصورة وسهل استقبال المحطات الاجنبية (الاوربية). أخبره بعد ذلك جاره في الطابق الاعلى بأن هذه العملية اثرت على استقباله الخاص.مما دعى (ب.ب) يفسر له ان ما قام به لا علاقة له باستقبال غيره من الجيران. لم تمض ايام على ذلك الحوار حتى لاحظ (ب.ب) ان صورة تلفزته قد اصبحت رديئة وبعد أن تحقق في الأمر وجد أن الخط الذي يمر على شرفة جاره اصيب بقطع طفيف. كان تفسير الجار لذلك بسيطا: قد يعود هذا القطع الى الرياح !!.

ملاحظة 4: تجمع الاطفال في الحي الشعبي (حي فرانز فانون) حول شابين خرجا من مسكنهما في حالة انفعال شديد وهما يتّبعان اثر طفل يعتقدان انه رمى النافذة بالكرة. كان الشابان نصف عاريين يحدقان في المارة وفي كل اتجاه، يبحثان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الطفل.توقف السكان وتساءل الناس عن هذاالانفعال وهذا الغضب. وبعد فترة عاد الشابان الى العمارة حيث يقيمان وهما لا يزالان يهددان ويوعدان بالعقاب.كان التظاهر بالانفعال والغضب والظهور بالعرى رمزا باستعراض القوى أمام بقية السكان في حي حديث الاقامة.

ملاحظة 5: عندما لا يتمكّن بعض السكان في الحي القديم بمدينة بومرداس أو في الحي الجديد بمدينة الرغاية، من اصلاح انسداد بمجاري مساكنهم يلجؤون الىكسر القناة الرئيسية اسفل البناية. تتسرب المياه القذرة بالطابق الارضي للعمارة. يزول الانسداد على مستوى المساكن وتتركد المياه القذرة اسفل البنايات مشكلة بذلكمستنقعا تنبعث منه الروائح الكريهة...

ملاحظة 6: التقى(ي.ح) بزوجة جار له في البناية المجاورة، جاءت لتزور زوجته، صادف ان كانت هذه الاخيرة غائبة ولا أحد في البيت. دعى(ي.ح) المرأة الى الدخول فأبت بعد أن فهمت بسرعة غرضه المشبوه"بالجنس" وردت عليه: ان ذلك ليس بالسهولة التي يتصورها.

يمكن اضافة العديد من الملاحظات التابعة للعلاقات الاجتماعية بينالسكان، الا أن هذه كافية لابراز الى أي حد يمكن ان تؤول اليه أوضاع الاقامة في نظام اجتماعي فقد العناصر الاساسية الثقافية والاجتماعية التيّ تنظم التفاعلات الاجتماعية: كالعلاقات بين الجنسين، بين الكبار والصغار، بين الجيران... لم يبق امام هذا الغياب الا الفوضى والخداع والعمل بمقولة جحا عند اصابة مسكنه بالحريق" المهم تخطي راسي"..

يتبيّن من جهة أخرى أن الحيز الخارجي للمسكن وداخل الاحياء السكنيةكاطار فيزيقي مشترك بين الافراد والعائلات، لا يشكل عنصرا من عناصر التفاعل الاجتماعي. فعندما يتجمع السكان، في المساء وبعد أوقات العمل، يتبادلون التحيات ويتناقشون في موضوعات مختلفة، من النادر ما يتعرضون الى أوضاع اقامتهم .فلا يشكل الحديث عن هذاالموضوع الا مبررا لتوجيه الانتقادات الى الهيئات الرسمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تحقق جلّ الانشطة التيتستقطب اهتماماتهم وتعاونهم الا أغراضا محدودة كتجهيز المساكن والبنايات بالهوائيات المقعرة او احاطة العمارات بأعمدة حديدية ...
تحقق هذه السلوكات مزيدا من استقلالية الافراد والعائلات وتشجع عزلتهم أكثر فأكثر وتقلص من تفاعلهم وحيويتهم . هكذا نلاحظ كيف يتجه السكان في الاحياء الحالية نحو الحيز الداخلي ولا يلقى بذلك الحيز الخارجي المشترك مكانة ضمن التفاعل الاجتماعي البنّاء. الى ماذا تعود هذه الاوضاع ؟ وكيف يمكن تفسيرها ؟.

ليست هناك أسبابا واضحة لتدهور المحيط السكني والاضطراب في العلاقات الاجتماعية بين الافراد والعائلات، فلا التعبيرات المعلنة للسكان توضح هذه الاسباب ولا الاجراءات المتخذة من قبل الهيئات الرسمية تبرزها وتجسدها ميدانيا .تعرف الحياة السكنية العديد من التناقضات والعديد من الصعوبات الى حدّ تتحول الى الفوضى العام يفقد من خلالها كل عنصر من عناصرها مصداقيته مما يصعب معالجة وبحث القضايا الاجتماعية . تنشط عوامل نفسية اجتماعية وثقافية جل السلوكات وخاصة تلك التي ترتبط بالحياة السكنية والعائلية . تتميز هذه العوامل بالسرية والغموض والفعل اللا شعوري مما يتطلب الانضباط بمنهجية محكمة عند التحليل والدراسة ، مثلما نبرزه في الفصل اللاحق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجـــزء الثالـــث

تحليل نفسي اجتماعي لنمط حيازة السكان للاحياء السكنية الحالية

(نتائج التحقيـق الميدانـــي)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

المنهجية

بتحقيقنا في النسيج العمراني العام لولاية بومرداس رأينا، في الفصل السابق.
كيف أدخل المهندس المعمارى نماذج سكنية حديثة في النظام الاجتماعي للاقة وكيف
أصبحت البناية العمودية المفتوحة نحو الخارج الوحدة الاساسية للسكن في أغلب
التجمعات السكنية الجديدة، يشجّع الخطاب الايديولوجي والسياسي هذه العملية
ويعطي لبرامج التنمية في مجال السكن مهمة ادخال العديد من التحولات في حياة
الافراد وفي بنية العائلات. عندما تتبعنا الحياة السكنية ببعض الاحياء لاحظنا الاهمال
العام للمساحات السكنية خارج المساكن وداخل هذه الاحياء ولاحظنا الاضطراب
في العلاقات الاجتماعية بين السكان. استخلصنا من عملية تحليل تلك الملاحظات كيف
تتمّ حيّازة المساحات العامة وكيف يقوم السكان بتفاعل اجتماعي ضمن هذه المساحات،
توجههم في ذلك سلسلة من العوامل النفسية الاجتماعية التابعة للنظام الاجتماعي
السابق كالتعارض بين الحيز الداخلي والخارجي والشعور بانعدام الأمن وضعف التحكم
في المحيط. تدفعنا هذه الوضعية الى طرح العديد من الاسئلة حول فعّالية هذه
العوامل على الحياة السكنية لتوضيح ما يجري في الحياة السكنية، نقدم في هذا العرض
المنهجية العامة التي نتبعها لتجسيد هذا الهدف.

يتطلب بحث أوضاع السكن في الاحياء الجماعية الحالية تحليلا نفسيا اجتماعية
للعلاقات القائمة بين الجوانب التالية: برامج السكن/ العائلات، و واقع الاقامة
الجماعية. فاذا كانت برامج السكن، كما لاحظنا سابقا، تتجه نحو تجسيد اطار حياة
مناسبة لازدهار الأفراد والعائلات وهذا يفرض نمط اقامة جديد، فان السكان يتميزون
من جهتهم بخصائص نفسية اجتماعية تغرس جذورها في أعماق البنية النفسية للمجتمع.
تتحكم هذه الخصائص في علاقة السكان بالحيّز السكني وتنظم تفاعلهم الاجتماعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتبر علم النفس الاجتماعي من أكثر الميادين العلمية تناولا لموضوع التفاعل ويمثل تحليل العلاقات القائمة بين الافراد، بين الافراد داخل الجماعات، بين الجماعات، أحد محاوره الرئيسية الى جانب تحليل الآليات النفسية الاجتماعية المتحكمة في الاقامة الجماعية ضمن اطار فيزيقي اجتماعي محدد. نتساءل عن مساهمة هذا الحقل من المعرفة في توضيح وتفسير مسألة هذا السلوك كما هو معاش في الحياة الاجتماعية بأغلب الاحياء السكنية .

1 ـ علم النفس الاجتماعي وتحليل سلوك الاقامة الجماعية

يلخص محمود السّيد أبو النيل تعريفات علم النفس الاجتماعي بقوله :"انه العلم الذي يهتم بدراسة سلوك الفرد وخبراته والمجال الذي يتم فيه هذا السلوك دراسة علمية تفاعلية"(1). يعتبر روجي دافال من جهته علم النفس الاجتماعي من علوم الانسان ويحدد مشكلته الرئيسية في "دراسة التفاعل وما يتطلب ذلك من الالمام بمختلف الابعاد الطبيعية والاقتصادية والتاريخية والاجتماعية للسلوك "(2). يظهر بالتالي حقل علم النفس الاجتماعي واسعا باتساع التفاعلات الاجتماعية بمختلف مظاهرها السلوكية .تشكل الحياة الاجتماعية ميدانا أين تجري هذه التفاعلات وعليه تصبح موضوعا رأسيا لكل دارسة تبحث عن الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة في الحيوية الاجتماعية .

يحافظ علم النفس الاجتماعي بهذه الخاصية كلما تدخلت، في فهمه للطبيعة الانسانية ، العديد من الجوانب والأبعاد: الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية بمعزل عن هذه المعطيات.

يشكل السكن أحد الموضوعات الهامة والجديدة في علم النفس الاجتماعي باعتباره سلوك يبرز فيه الافراد والعائلات العديد من خصائصهم والكثير من حاجاتهم المادية والنفسية والثقافية... فهو اسقاط لهذه الخصائص والحاجات على المكان.

---

1) محمود السيد أبو النيل: علم النفس الاجتماعي(دراسات عربية وعالمية)، دار النهضة بيروت، لبنان 1985. الطبعة الرابعة ص 79.

2) DAVAL (R) : Traité de psychologie sociale . P U F Paris, 1967 p. 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضمن تحليل السكن سلسلة من العلاقات التي تنظم التفاعل بين الافراد، بين العائلات، بين الافراد والعائلات واطار الاقامة. يمكن أن تلم بهذا الموضوع عدة اهتمامات علمية : الانثربلوجيا، علم البيئة، العمران، علم الاجتماع.. تساهم كل جهة علمية في توضيح وتفسير السكن كسلوك مليء بالمعاني والرموز.

يري ب.هـ. شومبار دولوف أنّه يصعب اعطاء معنا دقيقا للسكن ويحدد نوعين أساسيين من البحوث المتعلقة بهذا الموضوع: "أولا البحوث التي تهتم بالمشاكل المتعلقة بالسكن في الحياة الاجتماعية: أي البحوث حول كل ما يتعلق بمكانة السكن في حياة الناس وكل مسائله الفنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ثانيا البحوث التي تعالج الحياة الاجتماعية ضمن السكن: اي البحوث حول سلوكات الناس والعلاقات القائمة بينهم داخل المسكن بالنسبة للاسرة وداخل المجموعة السكنية بالنسبة للأسر التي تعيش في مكان واحد" * (1).

كيف نحلل واقع سلوك الاقامة في حياتنا الاجتماعية ؟ ما هو المنهج الذي يوضح هذا الواقع ويفسره ؟ هل نجري تحقيقا حول السكن او حول الحياة الاجتماعية ضمن السكن، أم حولهما معا ؟ أي هل نأخذ بالنظرة الشاملة لمسألة السكن ونوضح على أثرها علاقة السكن بالبناء وبالنمو الديموغرافي وبالزحف الريفي... أم نركز على الاقامة الجماعية كسلوك اجتماعي ونصف مختلف الآليات النفسية الاجتماعية المتحكمة فيه. ؟

تتطلب عملية توضيح مسألة السكن الجماعي في الاحياء السكنية الحالية الاخذ بالاتجاهين معا، أي تحقيق حول مكانة السكن في الحياة الاجتماعية وتحقيق حول الحياة الاجتماعية ضمن السكن. الآ ان انجاز هذين التحقيقين يتطلب مجهودات تتجاوز حدود هذاالبحث. لهذا رأينا أن نكتفي بابراز الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة في استعمال الحيّز السكني خارج المساكن وداخل التجمعات السكنية من جهة وانتظام العلاقات الاجتماعية بين السكان من جهة أخرى. نعتبر هذين العنصرين أساسيين لقيام الحياة الاجتماعية ضمن الاحياء الحالية .

---

* ترجمتنا للنص الأصلي

I) **CHAMBART DE LAUWWE(P.H): Famille et habitation .CNRS , Paris,1975 P.I5.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 ـ الاشكالية والفرضيـة :

1.2 ـ الاشكاليـــة :

عرف المجتمع الجزائري منذ العشرية الثالية من مسيرته التنموية تحـــولا سياسيا هاما. لا نحلل هنا أي جانب من جوانب هذا التحول، الآ أننا نشير الى أن ممارسة الديمقراطية التي بدأ فيها مجتمعنا سمحت باثارة العديد من الاسئلة التي كانت سابقا في طيّ النسيان.

تتعلق هذه الاخيرة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية وبالهوية الثقافية.. احتكر الخطاب الايديولوجي والسياسي، الى حدّ الآن، مهمة توضيح هذه الاسئلـــة الشرعية وهذا في غياب بحوث علميّة متواصلة ومعتمدة على نظريات مؤلّفة حسب الواقع المحلي.

بدأ العمرانيون الجزائريون منذ انطلاق الخطط الانمائية في عملية ادخال النماذج السكنية الحديثة في النظام الاجتماعي للاقامة. تهدف هذه العملية، زيادة على سدّ حاجة السكان بهذا المنتوج الثمين أي المسكن، احداث تغييرات في بنيـة العائلات: من أسر ممتدة الى أسر زوجية وما يتبع ذلك من تحضر وتحول في نمط الحياة وفي التفاعل الاجتماعي. أصبحت بذلك مخططات التعمير والسكن برامج عمرانية واقتصادية واجتماعية وثقافية في آن واحد. يقرّرها مخططون وينجزها معماريون وفق مقاييـــس هندسية تخدم مختلف هذه الاهداف بعيدا عن كلّ ما عرفه المجتمع الجزائري من نماذج الاقامة، أي في تجاهل للنظام الاجتماعي السابق. يحق لنا ان نتساءل حول ما حققتـه مخططات السكن الحالية من تغيير في السلوك والتفكير قائلين: اذا كانت برامـــج السكن تهدف الى وضع أطر عمرانية اجتماعية مناسبة لتكوين فرد جديد واسرة جديدة ومجتمع جديد، فكيف نفسر المظاهر المثيرة للاضطراب في نمط حيازة الافراد والعائلات للمساحات السكنية العامة وفي العلاقات الاجتماعية بين السكان. هل هي رفـــض اجتماعي للمقاييس المعمارية لهذه المخططات السكنية ؟ أم هي نتيجة لعدم استجابة هذه الأخيرة للابعاد النفسية الاجتماعية الموجهة لذهنيات وسلكات الافراد ؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستعمل مصطلح " العمران المفروض" للتعبير على هذاالواقع السكني الذي يتميز من جهة بارادة قوية لاحداث تحولات عميقة في حياة الافراد والعائلاتومن جهة أخرى بعدم اعتبار الميزات النفسية الاجتماعية والثقافية لهؤلاء الافراد ولهذه العائلات في البرامج السكنية الجدية. وهذا ما يدفعنا الى التحقيق في الصعوبات التي تحول دون تحقيق برامج السكن لأهدافها والتي نرجعها الى فعالية هذه الميزات.

ما هو نمط حيازة الافراد والعائلات لمجالها السكني ؟ ماذا استوعبت العائلات من النماذج السكنية بكل أبعادها المعمارية منها الداخلية ومنها الخارجية كحيّز آمن متكامل؟ الى أي عامل نرجع اهمال المحيط السكني ولماذا تتم حيازته بشكل فوضوي؟ ولماذا تعرف العلاقات الاجتماعية الكثير من الاضطراب بين سكان الطوابق الارضةوسكان الطوابق العليا، بين العائلات الممتدة والعائلات الزوجية، بين الاحياء السكنية الشعبية والاحياء السكنية المخصصة للاطارات؟ كيف تحول الجوار وما هي انعكسات هذاالتحول على الروابط الوجدانية الاجتماعية ؟

سوف نحاول ان نوضح بواسطة الأجوبة عن هذه الاسئلة على الغموض الذى يتصف به واقع الاقامة بالتجمعات السكنية الحالية، ونكشف كيف تواجه النماذج السكنية، التي جاءت لتحدث تحولات عميقة في النظام الاجتماعي للسكن، عدة موانع امام تحقيق غاياتها. نضع في مقدمة هذه الموانع العناصر النفسية الاجتماعية.

2.2 - الفرضية

لا تتمّ حيازة المساحات الخارجية للمساكن وداخل الاحياء بما يتفق والشروط التي تقدمها المقاييس المعمارية للتجمعات السكنية الحالية من أبعاد هندسيةومرافق وفسحات مشتركة... لأن عوامل نفسية اجتماعية غير معترف بها من طرف المهندسين المعماريين، تحدد العلاقات البيئية والاجتماعية للافراد والعائلات. تغرس هذه العوامل جذورها في أعماق البنية النفسية الاجتماعية للسكان وتعود الى النظام الاجتماعي السابق. يؤدي ذلك الى فرض واقع سكني معارض لأهداف التنمية في مجال السكن واعطاء حياة اجتماعية مضطربة واحياء سكنية مشوهة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 ـ التحقيق في الميدان:

1.3 ـ ميدان التحقيق:

تمثّل مدينة بومرداس ميدان التحقيق بين الفترة الممتدة من 1984 الى غاية 1991 أي منذ تحولها من مركز علمي الى بلدية ثم الى مقرّ لولاية جديدة. تضم هذه المدينة الى جانب الاحياء السكنية الموروثة من عهد الاحتلال الفرنسي، تجمعات سكنية مخصصة للفئات الشعبية وأخرى للاطارات.

يعود أصل المدينة الى مشروع سكني أروبي أنجز منه الجزء الأول في آخر الفترة الاستعمارية للجزائر. يتضمن هذاالجزء 23 عمارة و 150 مسكنا فرديا وبعض البنايات الادارية. انشيء الكل في تناسق معماري حديث من تجمع البنايات السكنية بوجهات مفتوحة نحو الخارج، يفصل بينها ممرات واسعة ومواقف للسيارات وفسحات مغروسة... تمثل هذه الابعاد المعمارية بداية تجمع حضري كان الاستعمار الفرنسي يخطط لاقامته.

لا تزال الدوافع الاستراتيجية للمستعمر في محاولته لبناء مدينة حديثة ببومرداس غير واضحة. رغم الاتفاق السائد بأنها كانت مخصصة للقيادة الفرنسية، الا أنه يمكن ان تكون للاروبيين اغراضا أخرى:سياسية، اقتصادية وعسكرية. يشير اندري ادام الى أن مشروع الصخرة السوداء[1] كان يهدف الى استقبال القيادة الفرنسية عند تنقلها من الجزائر العاصمة نتيجة كثافة هذه الأخيرة واقامة الأهالي بها بشكل متزايد[2]. يستبعد المؤلف أي دافع عسكري او اقتصادي من وراء هذه العملية. نبرر من جهتنا بناء مدينة بومرداس بعوامل سياسية واقتصادية وعسكرية لا مجال لعرضها كاملة هنا. نكتفي بالقول: ان بناء هذه المدينة يدخل في اطار مشروع قسنطينة الذي كان يهدف، كماسبق وان ذكرنا[3]، بناء تجمعات عمرانية على الساحل الجزائري. يستجيب هذا المشروع لمتطلبات الاحتلال الاقتصادية والعسكرية... لقد شجعت المصادقة على القانون الفرنسي للتهيئة العمرانية سنة 1958 على تنفيذ هذا الانجاز بعد أن تم تعميمه على الجزائر

---

1) **Rocher noir.**
2) **ADAM (A): Systéme urbain et développement au maghreb. OPU Alger, 1983, P.47.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتداء من سنة 1960 [1].

شكل بومرداس بعد الاستقلال مركزا علميا لتكوين الاطارات في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والصناعية :في المحروقات والنسيج والمناجم والصناعات الخفيفة .. ثم تحول تدريجيا الى تجمع عمراني كبير غيّر من الابعاد الهندسية الموروثة . انشقّ المعهد الافريقي للطاقة والنسيج الى معهدين أساسيين: المعهد الوطني للمحروقات والمعهد الوطني للصناعات الخفيفة . رافق ذلك التقسيم انشاء معاهد وطنية لا تقل أهمية في الاقتصاد الوطني كالمعهد الجزائري للبترول والمعهد الوطني للهندسة الميكانيكية والمعهد الوطني للترقية والتنمية الصناعية ، والمعهد الوطني للابحاث المنجمية والمعهد الوطني للصناعات الالكترونية . أقيمت الى جانب هذه المؤسسات التعليمية وعلى نفس الحيّز مخابر للبحث كالمخبر المركزي للشركة الوطنية سوناطراك ومخابر الشركات الوطنية للابحاث المنجمية ومواد البناء والتبغ والكبريت... اعطت هذه المؤسسات العلمية طابعا عمرانيا واجتماعيا وثقافيا نادرا للمدينة . اصبحت هذه الاخيرة تجمعا علميا واسعا يمس اغلب جوانب التنمية من جهة ويستقطب اليه فئات اجتماعية متخصصة من جهة أخرى.

قسّمت الدراسات العمرانية مدينة بومرداس الى 14 قطاعا : يضمّ القطاع الأول والثاني الحي السكني الموروث من عهد الاستعمار الغرنسي. يشكل القطاع الثالث الحي السكني الذى انجزته الشركة الوطنية سوناطراك كأول امتداد عمراني للحي المركزي. يضم هذا الحي 300 مسكنا . تشكّل القطاعات 4، 5، 6 و 7 تجمع البنايات السكنية الجديدة المخصصة في اغلبها للفئات الاجتماعية المتوسطة من أساتذة المعاهد ورؤساء المصالح ومديرون عامون... تشمل القطاعات 8، 9، 10، 11 و 12 على المساكن الغردية وهي تتكوّن من نوعين: تقيم الاطارات العليا في المساكن الغردية ذات البناء الصلب في حين يقيم أغلبّ الاجانب في المساكن الفردية ذات البناء الجاهز. يمثل القطاع 13 الحي السكني الشعبي والمدعو حي20 أوت 1956. يشكل القطاع 14 بومرداس القديم أو الصخرة السوداء.

---

1) Revue construction . No 28 , 1988 P; 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتّسع بعض القطاعات لتضمّ الى جانب المباني السكنية مرافق ادارية ومؤسسات تعليمية أو مشاريع ترفيهية وسياحية . تمثل هذه المباني النسيج العمراني العام للمدينة .

ان الامر الذى يلفت الانتباه لتطور المدينة هو الاضطراب في وتيرة تحولها العمراني والاجتماعي على حدّ سواء. فاذا انطلقنا من مركز المدينة وحققنا في دوره الاقتصادي والاجتماعي فاننا نلاحظ انه لا يستجيب لحاجات السكان ولا يقدم شروط تفاعلهم . كثيرا ما يلجأ السكان الى المراكز الحضرية القريبة لاقتناء حاجاتهم الاساسية . تصبح السيارة في هذه الوضعية أكثر من مظهر ترقية اجتماعية ، فهي وسيلة ضروريةللحياة في المدينة . تؤثر هذه الأوضاع عى الحياة الاجتماعية للسكان وعلى تفاعلهم .

يتفق اغلب السكان بأن حياتهم بالمدينة ازدادت تعقيدا بعدما عرفت هذه الاخيرة ابعادا عمرانية جديدة . يسير الاتجاه العمراني لبومرداس نحو انشاء المرافق التي لا تستجيب لحاجات السكان اليومية : كبناء الفنادق والمراكز السياحية وقاعات الشاي... الى جانب بناء احياء سكنية جديدة في الوقت الذي تنعدم فيه المرافق الضرورية لتجمع السكان من حمام ومراكز تجارية ومقاهي ونوادي الشباب... لهذا يمكن ان نقول اننا بعيدون عن انجاز خطة عمرانية لمدينة متكاملة بقدر ما نتجه بشكل عفوي نحو انجاز تجمّع سكني وعمراني عام .

اشرنا الى حدّالآن الى طبيعة التحولات العمرانية لمدينة بومرداس، التي يمكن وصفها بالسريعة والمبهمة ان لم نقل المضطربة . اما الجانب الاجتماعي فتمثله طبيعة تجمع السكان وخصائصهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

سمح النشاط العلمي لبومرداس بتجمّع آلاف الطلبة والاساتذة والمتعاونين الفنيين من مختلف الجنسيات . شكّل الاجانب نسبة بارزة في البنية البشرية لسكان المدينة ، وصلت سنة 1977، الى 44٪ . بدأت هذه النسبة في الانخفاض التدريجي منذ ذلك الوقت بتعويض الاجانب بالاطارات الجزائرية . قلّت بذلك فعّالية الاجانب على نمط حيازة المساحات السكنية للمدينة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تنشأ مدينة بومرداس كتطور طبيعي للمنطقة اذ لا تزال هذه الأخيرة تتميز بمحيط فلاحي معتبر، بل جاءت كجسم جديد على المكان اعقاب التنمية الشاملـــة في المجالات الصناعية والمحروقات وما تبع ذلك من عمليات تكوين الاطارات. فالمدينة وليدة التنمية الاقتصادية ومركزا عمرانيا جديدا، لا يزال يستقطب السكان من العديـد من المناطق. يساهم هؤلاء في حيازة احياءها السكنية وفي استعمال مرافقها ومساحاتها العامـة.

يمكن ان نقدم العديد من الميزات الاجتماعية التي يتصف بها سكان مدينـة بومرداس كالخاصيات العائلية والمهنية والثقافية. توحّد بعض هذه الخاصيات بـين الأفراد والعائلات تارة وتفرّق بينهم تارة أخرى. فالى جانب اختلاف الأصل الجغرافي للسكان، يتفق هؤلاء في بعض الخاصيات الاجتماعية والاقتصادية ومستوى التعليم، مما يعطي بعض الميّزات العامة لأحيائها السكنية .

نلاحظ أن 51,1٪ من السكان لا يزيد سنهم عن 49 سنة ولا يصل الا 4٪ من ابنائهم سنّ الشباب. تعبّر هذه المعطيات على حداثة العائلة المقيمة بالمدينـة. نضيف الى هذه الميزة ما اكدته بعض الدراسات العمرانية للمدينة، بأن 25,5٪ من سكانها يمثلون اطارات مختلف المؤسسات الادارية والتعليمية والصناعية، بـأن الاميون لا تتجاوز نسبتهم 3,8 ٪ ضمن الرجال و 11,1٪ ضمن النساء. اما الذين يفوق مستواهم التعليمي العالي يصل بين الذكور 18,5٪ وبين الاناث 7,7٪ (1).

نشير أخيرا أنه يقيم بالمدينة 14,3٪ من الطلبة من مختلف جهات الوطـن وان 21,5٪ من السكان يتداولون على المؤسسات التعليمية .

لتوضيح الدور الذي تؤديه الآليات النفسية الاجتماعية في الحياة السكنيـة بهذه المدينة، نفضل المقارنة بين نمطي حيّازة السكان للمساحات السكنية المحيطـة بالعمارات وانتظام العلاقات الاجتماعية في الحيّ السكني القديم المخصص للفئات الشعبية من جهة والحي السكني الجديد المخصص للاطارات من جهة أخرى. تكمن المقارنة بين الحيين من اختبار سلسلة من المتغيرات كمدة الاقامة والأوضاع الاجتماعيـــة

(1) C.N.E.R.U / P U D de la ville de Boumerdés 1ére phase 1986 P4

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاقتصادية والمستوى التعليمي للأفراد، وعليه نقدم خصائصهما العامة.

1.1.3 - الحي السكني القديم المخصص للفئات الشعبية (الحي المركزي)

يضمّ هذا الحي 408 مسكنا ويتربع على مساحة تقدر بـ 81ر81 هكتارا وبـه 22 عمارة سكنية. يقيم به اكثر من 6000 ساكنا ويعرف اكثر المساحات الحرّة خارج المساكن التي تصل 9 هكتارات. كان أغلبها مغطى بالعشب الاصطناعي وتحوّلت تدريجيا الى أماكن لبناء مرافق اقتصادية واجتماعية عند تنصيب مقرّ الولاية الجديدة: عيادة متعددة الخدمات، مركز للاعلام الآلي وملحقة مدرسية. غطّى الزفت بقيّة المساحات الحرّة بين البنايات و جهزت هذه الاخيرة بمآرب تحوّلت بفعل زيادة تجمع السكان الى محلّات تجارية ومقرات لمؤسسات ادارية. أدت هذه الاخيرة الى تحول الحي السكني القديم الى مركز للمدينة الجديدة واصبح يستقطب الافراد من داخل وخارج المدينة، أصبحوا يساهمون في حيازة مساحاته العامة. تعتبر الشرفات الواسعة لبناياته عنصرا هندسيا ومعماريا بارزا.

يقيم بالحي المركزي أقدم الافراد والعائلات، نجد به كذلك الاسر الممتدة التابعة للفئات الشعبية. تنحصر هذه الاخيرة بالبنايات السكنية التالية (7. 8. 9. 10.). خصصت هذه العمارات منذ البداية لمستخدمي المؤسسات العامة والمعاهد العلمية بالمدينة. تضمّ حاليا اغلب المتقاعدين والبطالين والشباب الغير المتمدرسين.

نتيجة الاستعمال المكثف وانعدام الرعاية والاشراف الاداري المباشر، أتلفت جلّ المرافق السكنية التابعة للمحيط السكني لهذا الحي كالسلاليم ومداخل العمارات والممرات والفسحات المغروسة... اصبحت هذه الاخيرة مصدرا للكثير من الاتربة والغبار، تسهر مصالح البلدية على اصلاح الانارة العامة والتخلص من القمامة المنزلية. ان أي تأخر في هاتين العمليتين يُحوّل الحي السكني الى مكان قذر ومصدرا للذباب والامراض ويعمه انعدام الأمن كلما ساده الظلام. وعليه نتساءل ما موقف السكان من هذه الوضعية وما هي الآليات النفسية الاجتماعية الموجهة لافكارهم وسلوكاتهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما علاقة هذه الآليات بالنظام الاجتماعي للسكن الريفي أو الحضري القديم . وما هـو وجه التشابه والاختلاف مع نمط حيّازة سكان الحي الجديد المخصّص للاطارات لمحيطهم السكـني.

2.1.3 ـ الحي السكني الجديد المخصص للاطارات (حي ابن خلدون.)

يمتد هذا الحي غرب مدينة بومرداس يحدده من الشرق حي 300 مسكنا والحي المركزي ومن الغرب حي 800 مسكنا ووادي قورصو. يشرف على البحر من الشمال، أمـا من الجنوب فتمتد الاراضي الفلاحية . يمثّل حي ابن خلدون اكبر التجمعات السكنيـة في المدينة ، يضمّ 63 بناية موزعة على 38ر27 هكتارا. توجد بين بناياته مساحـات حرّة تقدر بـ 18ر1 هكتارا، كان يغطي العشب الاصطناعي والشجيرات الصغيرة أغلب فسحاته . تتجمع عمارات الحي على شكلوحدات جوار تفصلها ممرات ومواقف السيـارات. لم يبق من العشب الاخضر الذي كان يغطي المساحات المشتركة الآ بعض الاماكـــن البعيدة عن الاستعمال، أما الشجيرات فلا تزال تقاوم رغم أوضاعها الصعبة .

يعرف الحيز الخارجي للمسكن وداخل الحي بالاضافة الى هذه الابعاد المعمارية الفنية ، ملعبا لكرة القدم وبعض ملاهي الاطفال . يمتد على احدى جوانبه تجمعا تجاريا : توجد بالحي مدرسة للتعليم الاساسي ومتوسطة . تستقطب المؤسستان اطفالا من خـارج الحي. انشيء حديثا بالحي تجمعا لبنايات ادارية ، يضم بالاضافة الى مقـر البلديـة ومركز البريد، بناية للخزينة العامة ومقرّا للعدالة .

يمكن ان نؤكد بصفة عامة ان الحيّز . الخارجي للمسكن وداخل حي ابن خلدون يشكل بعدا معماريا وفنيا يزيد من حداثة البناء ويعطي لاطار الاقامة الجماعية الميزات المعمارية المناسبة . أما وضعية هذه المساحات فهي مرتبطة بنوعية استعمالها من طرف الافراد والعائلات.

استفادت الكثير من المؤسسات الاقتصادية والادارية والتعليمية بقسط وافر من المساكن لاطاراتها ومستخدميها بهذا الحي أعطت له بذلك وضعية مميّزة . يشتغل اغلب السكان في الوحدات الصناعية المجاورة لمدينة بومرداس وبمعاهدها التعليمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(مديرون عامّون، رؤساء المصالح والوحدات، اساتذة في مختلف المعاهد ومهندسون وباحثـون...).

لا تتوفر احصائيات دقيقة تحدد الفئات الاجتماعية للسكان وفق مستواهـم الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي لكلحي. تركّز الاحصائيات الرسمية على الميّزات العامة للمدينة. الآانه يمكن ان نثبت أن حي ابن خلدون قد خصص ليضم اطارات المؤسسات الاقتصادية، مما يساهم في تحديد المعطيات المهنية لسكان الحـي.

يتميز هؤلاء السكان بارتفاع مستوى التعليم وانخفاض في السن (مـن 29 الى 40 سنة). وبدخل متوسط وارتفاع نسبة الاطفال الذين تقلّ اعمارهم عن 14 سنة. انّها معطيات اقتصادية واجتماعية وعمرانية لتجمع سكاني حديث. نتساءل فيالتحقيق الميداني عن تأثير هذه الخصائص على نمط حيّازة المساحات المحيطة بالمساكـن والبنايات وعلى العلاقات الاجتماعية بين السكان.

2.3 - جماعة التحقيق

تظهر العائلات في مجال الاقامة كوحدات أساسية تعمل على تحديد نمـط حيّازة المساحات السكنية وتحديد نظام التفاعل والجوار بين السكان. فهي بمثابـة الوحدة التي تعطي المعنى الاجتماعي لسلوك الفرد وهو يستعمل حيزه الخارجي أو يقيم علاقات اجتماعية مع غيره يصبـح الفرد في هذه الحالة يمثّل الظاهرة الاجتماعية. كما تعرفها الحياة السكنية وتصبح العائلات، بما تتميز به من خصائص وتأثير على الفـرد هي المحور النشيط للحياة الاجتماعية ضمن اطار سكني معيّن .

لا ينحصر ذوبان الفرد في الجماعة العائلية في اطار السكن فحسب، بل تمتد هذه الخاصية لتشمل العديد من جوانب الحياة المهنية والعامة. تتحكم العائـلات عن طريق سلسلة من العوامل النفسية الاجتماعية والتربوية في تقييد افرادها بالاعـراف التيتقرها. يعيد سليمان مظهر هذه العملية الى ظاهرة الامتثال التي تفقد الفرد كلّ معاني الاستقلالية الذاتية رغم ما تحققه له من اندماج ضمن الجماعة التي ينتمي اليها، مهما كانت هذه الاخيرة عائلية او اجتماعية [1]

1) سليمان مظهر ، نفس المرجع السابق. ص 261

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحدّد العائلات نماذج السلوك لأفرادها انطلاقا من التربية التي تشرف عليها والتي تغرسها في الاشخاص فتوجه استعمالهم للحيّز الخارجي وتنظم علاقاتهم بغيرهم من تعاون وتبادل المصالح وتحالف وصراع... وعليه فلا يمكن التحقيق في هذه السلوكات بمعزل عن علاقاتها بالحياة العائلية او بواسطة تقنيات كلاسيكية غير مناسبة للواقع المعاش.

انطلاقا من هذه الوضعية، فضلنا ان تتكون جماعة التحقيق من كل فرد أو عائلة مقيمة بأحد الحيين السكنيين بمدينة بومرداس، دون تحديد مسبق لعددها ولا لمتغيرات السن والجنس والميزاج... يشكل السلوك اليومي التلقائي محور التحقيق الميداني، سواء صدر ذلك السلوك من فرد او مجموعة أفراد (أطفال، شبان، راشدين) من عائلة أو من مجموعة عائلات. فلا يهمنا من السكان الا ما يعبر ويرمز الى القضايا النفسية الاجتماعية الموجهة لنمط حيّازة المكان والعلاقات الاجتماعية. يمكّن التحلل النفسي الاجتماعي لهذين الجانبين من ابراز الآليات المتحكمة في الحياة السكنية.

فاذا أخذنا فردا أو عائلة من الحي السكني الشعبي القديم فاننا نود أن نختبر أثر مدّة الاقامة في التجمعات السكنية على نمط استعمال السكان للحيز السكني وعلى انتظام العلاقات الاجتماعية. اذا كان الفرد أو العائلة من الحي السكني الجديد المخصّص للاطارات فاننا نريد أن نختبر اثر الميّزات المعمارية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في تغيير نفس السلوك.

اذن ننطلق من المعطيات السلوكية الجزئية، مهما كانت بسيطة لنصل الى تحديد تصوّر نفسي اجتماعي عام يوضّح ويفسر طبيعة العلاقة بين السكان والمحيط البيئي والاجتماعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3.3 - طريقة التحقيق

نحاول ان ننجز التحقيق الميداني بواسطة تتبع سلوكات الافراد والعائلات، وهي تستعمل مفردات من حيّزها السكني الخارجي للمساكن وداخل الحيين وفي علاقاتها الاجتماعية : كعلاقات الجوار والصراع... تمكّن المقارنة للسلوك الاجتماعي للاقامة الجماعية بين الحيين من توضيح فعالية العوامل النفسية الاجتماعية الموجهة لهذه السلوكات وهذه العلاقات. فاذا كان من الممكن معرفة مدّة اقامة الافراد والعائلات بأحد الحيين السكنيين ومعرفة مستواه التعليمي فانه يصعب تحديد الآليات النفسية الاجتماعية المنشطة للحيوية الاجتماعية والموجهة للحياة السكنية. تجعلنا هذه الوضعية نلجأ الى الاستشهاد بحالات ميدانية وواقعية للسلوك المعاش لأفراد وعائلات وهي تستعمل حيّزها السكني وتنظم تعاملاتها الاجتماعية.

تتميّز هذه الآليات بالسرية والغموض والتناقض مع الواقع المعاش، فلا تعبر الأراء المعلنة عنها بقدر ما تزيدها اخفاء وغموضا. تعقد هذه الوضعية مهمة التحقيق الميداني بواسطة تقنيات كلاسيكية كالاستبيان وتفرض تقنيات مناسبة كالملاحظة بالمشاركة.

4.3 - تقنيات التحقيق

تهدف أية تقنية جمع البيانات حول عناصر الظّاهرة موضوع البحث. نقدم هذه البيانات اما على شكل مقادير كميّة بعد ضبطها بأعداد، كما يمكن ان تقدم بصورة كيفية بعد ضبط حالاتها المختلفة. يمكن أن نستعمل الضبط الكمّي او الكيفي معا في التحليل والتفسير لأن الظاهرة كيفية في طبيعتها ولا تعبّر ترجمتها بالمقادير الا عن اسلوب منهجي يساعد ادراك طبيعة العلاقات المتداخلة بين مفردات الظاهرة ادراكا عدديا أو كميا. يليه بالضرورة تفسيرا كيفيا.

عندما يتعذر الحصول على البيانات التي تمكن من التعبير الكمي لأجزاء الظاهرة، يصبح اللجوء الى التحليل الكيفي وسيلة رئيسية وهامة، كما هو الحال بالنسبة للسلوك الاجتماعي للاقامة في الاحياء السكنية الحالية، وعليه نستعمل كل التقنيات التي تشجع هذا التناول: كالملاحظة بالمشاركة وتحليل المضمون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمكن التقنية الأولى من تتبع السلوك الاجتماعي عند حيّازة المساحات المشتركة خارج المساكن وداخل الاحياء مثلما هو معاش ميدانيا. تمكن التقنية الثانية من تحليل مضمون شكاوي السكان وتحليل النصوص الرسمية والغير الرسمية التابعة لحيازة المجال الخارجي للسكن والعلاقات الاجتماعية.

ندعم كل ذلك بتقديم الصور الخاصة باهمال المحيط السكني وعرضها على السكان للحصول على استجاباتهم. تشكل الصورة أداة مناسبة لابراز حدوث سلوك معين وتساعد كما يقول جون قرايزايز، من اعادة بناء الملاحظة بهدف تفسير المظاهر التي يتخذها هذا السلوك.[1]

نحاول ان نتحقّق في فرضيتنا بواسطة الاسئلة التالية :

1 ـ ما هي أهم العوامل النفسية الاجتماعية التي تدخل في توجيه استعمال الأفراد والعائلات لبعض الابعاد المعمارية خارج المساكن وداخل الاحياء؟ ماهي انعكسات تلك العوامل على حالة الشرفات، مداخل وسلاليم البنايات، مواقف السيارات، ملاهي الأطفال، المساحات الخضراء ...

2 ـ ما هي أهمّ العوامل النفسية الاجتماعية التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين السكان ؟ ما هي انعكسات تلك العوامل على تبادل السكان للتحيات والزيارات وعلى علاقات الجوار والصراعات...

3 ـ ما هي انعكسات الآليات النفسية الاجتماعية الموجهة للسلوك الاجتماعي للاقامة على المشاركة العامة بالأحياء السكنية الحالية ؟ أي على علاقات الجوار وتأسيس الجمعيات .

4 ـ ما هو أثر المعاناة النفسية التابعة لتدهور المحيط السكني على تصور السكان لأسباب هذا التدهور وايجاد الحلول المناسبة له ؟:

---

1) GRIEZ (J.): **Méthodes de la psychologie sociale** ; P.U.F , Paris, 1975 ;P . 115 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

التعارض بين التخطيط المعماري والاستعمال الاجتماعي للمحيط السكني

تقتصر أزمة السكن في نظر المختصين على ظاهرة التضارب بين العرض والطلب في عدد المساكن المنجزة أو على بعض الانعكاسات الاجتماعية الناجمة عن ذلك التضارب، لكنها في الواقع تشمل بعدا نفسيا اجتماعية وثقافيا هاما. لم يدمج هذا البعد في مخططات بناء المساكن رغم انه يكوّن عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية. فهو يحدّد بشكل واسع نمط حيّازة السكان للمساحات العامة ويوجه نظام التعامل والجوار بين السكان. لتوضيح هذه الفكرة فضّلنا تحليل سلسلة من الملاحظات الميدانية حول اهمال المرافق التابعة للحيز الخارجي للمساكن وداخل حيين من أحياء مدينة بومرداس[1].

اذا اردنا ان نحدد المشكلات المتعلقة بأحياء مدينة بومرداس، فاننا نقسمها الى مشكلات تابعة للتطور العمراني و مشكلات تابعة للحياة السكنية. ترتبط المشكلات الاولى بفن تخطيط المدن، بينما ترتبط المشكلات الثانية بالسلوك الاجتماعي للاقامة. يتم الفصل بين الجانبين في الكثير من الاحيان، الا ان المتتبع لتطور الحياة الاجتماعية في المدينة يلاحظ مدى التداخل بين الجانبين. ينحصر مجهود البناء في عملية انجاز كل ما يدم اغراضا عمرانية و اقتصادية محدودة و لا يتعدى نمط حيازة السكان لاطار حياتهم ما يتعلق بالحيز الداخلي للمساكن على حساب المساحات العامة. تعطي هذه الوضعية عمرانا مشوها و حياة اجتماعية مضطربة.

لا نتطرق الى الجانب الأول من المشكلات المتعلقة بالتعمير. نركز على المعطيات الميدانية الخاصة بنمط حيّازة الافراد والعائلات للمساحات السكنية خارج المساكن وداخل الاحياء. تظهر الآليات النفسية الاجتماعية بارزة في هذا السلوك.

نعني بنمط حيّازة السكان للحيّز الخارجي للمساكن وداخل الاحياء جميع أشكال استعمال السكان للابعاد المعمارية الخارجية للمساكن والمرافق التابعة للبنايات

---

1) انظروا الخصائص العمرانية والاقتصادية والاجتماعية لهذين الحيين في الفصل الخامس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك التحولات التي يدخلها الأفراد والعائلات على هذه الابعاد - كحيّازة الشرفات والنوافذ، سلالم ومداخل العمارات، الفسحات الحرة بين العمارات (الممرّات، مواقف السيارات، ملاهي الاطفال، الفسحات المغروسة والغير المغروسة ...)،نحاول أن نعرف هل يسير نمط حيازة السكان لهذه الابعاد المعمارية في اتجاه معماريّ وظيفي رسمت له أم في اتجاه آخر يحدده السكان ويعطون له رموزا ومعاني.ليست ظاهرة اهمال المحيط الخارجي بميّزة جديدة في الحياة السكنية في المجتمع الجزائري. سبق وأن أشار اليها بعض الباحثين المهتمين بالمجتمع التقليدي. ان تفسير هذه الظاهرة باعادة ادماجها في النظام الاجتماعي الذي تظهر فيه تمكّن من توضيح الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة فيها.

وصفت العديد من الدراسات كيف كان يقيم الافراد والعائلات في المجتمع المغاربي وكيف كانت علاقاتهم بالمحيط البيئي، فرغم قلة هذه الدراسات وانحصارها عند بعض المستشرقين فانها تؤكد مدى ضعف سيطرة هذه المجتمعات على المحيط الخارجي وضعف ممارسة التحولات فيه. بقي المجال الخارجي في النظام الاجتماعي السابق بعيذا عن أي تحكم وبقي مصدرا للأوبئة والاخطار والتهديدات المستمرة. رغم كون هذا الحيّز اساسيا في عمليات اكتساب الرزق، فانه لم يتم تسخيره وتطوير الامكانات اللازمة لتحقيق التحكم فيه. اعطت هذه الوضعية البيئية والاقتصادية كما اشار الى ذلك سليمان مظهر، قانونا اجتماعيا أساسه أن المحيط البيئي في النظام الاجتماعي التقليدي كان مصدرا عدائيا، تطلّب التحكم فيه عدة عمليات اجتماعية، يشير الكاتب الى تقديس المحيط واقتناص الفرص والمراقبة الاجتماعية واستعمال الحيلة والخداع. تعبر هذه العوامل على المبادىء الاساسية في التحكم في المجال الخارجي والتأمين من مخاطره .

اذا امكن تبرير تملّك الحيز الخارجي للمساكن في النظام الاجتماعي التقليدي وفق هذه العناصر، فكيف يمكن تفسر نمط حيازة المساحات العامة التي تقدمها النماذج السكنية الحديثة في نظام الاقامة الحالي؟ وما هي انعكاساتها على سلوكات الافراد والعائلات وعلى المحيط السكني والبيئي ؟.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 ـ التعارض بين الحيز الداخلي والحيّز الخارجي وانعدام الأمن

اذا انطلقنا من الاستعمال اليومي للشرفات والنوافذ فاننا نلاحظ كيف يدخل السكان الكثير من التعديلات على ابعادها الهندسية وعلى وظائفها المعمارية . يعبر السكان من خلال ذلك على تصوراتهم الاجتماعية وعلى مخاوفهم وتناقضاتهم .

تعتبر الشرفة او النافذة همزة وصل بين الحيّزين الداخلي والخارجي بين الحياة الخاصة والحياة العامة في الاحياء السكنية لمدينة بومرداس. يمثل الاستعمال اليومي لها عن العلاقة بين هذين الجانبين.

1.1 ـ استعمال العائلات للشرفات والنوافذ في الحي السكني الشعبي:

تستعمل العائلات بهذا الحي شرفات المساكن لأغراض عديدة : ازالة الغبار، تجفيف الألبسة والأغطية ... تفضل بعض النساء استعمال الشرفات المطلة على الحيّز الخلفي للبنايات السكنية في الحي الشعبي، تفتحن النوافذ في أغلب الأوقات في اتجاه هذا الحيز رغم قلة تعرضه لنور الشمس، ولكن فقط لأن اشجارا وبنايات ادارية تحجب حيزه . تشكلّ هذه الأخيرة ستارا يغطي بعض نوافذ المساكن من الانظار، كما تقل حركة المرور والتنقل في تلك الاماكن. تسمح هذه الظروف من استعمال عائلي حر للفتحات المطلة على هذا الحيز. كالممر الفاصل بين احدى المؤسسات العامة والبناية السكنية رقم 8 والتابعة للحي السكني الشعبي .

لا تفضل العديد من العائلات المقي
المشرفة على الساحة العامة للحي، فلا تفتحها
السكان. يثير المارون بقرب هذه الفتحات از
كلما زاد علو المسكن في البناية وتقل على اثر
السكان للفصل بين الحيزين الداخلي والخارج
والجدران الاضافية ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتخذ هذه الحواجز اشكالا مختلفة تصل الى حدّ الغاء الشرفة او النافذة عندما يتعذر استعمالها بكل حرية لاغراض عائلية، أو لما تكون قريبة جدا من مكان يتجمع فيه السكان أو لما تشرف على ممر يتداول عليه السكان في اغلب الاوقات. تؤكد الملاحظات التالية هذه الظاهرة :

ملاحظة 1: عدّل أحد المقيمين بالطابق الارضي شرفة المطبخ بمسكنه الواقع باحدى بنايات الحي السكني الشعبي،فاضاف جدارا يغطي الحيز المخصص لهذه الشرفة ولم يترك الا فتحة صغيرة بأعلى الجدار لغرض التهوية والانارة وفتحة بالأسفل لتسرب ماء الغسيل. تطلّ شرفة المطبخ على ساحة يستعملها السكان كموقف رئيسي للسيارات او للتجمّع بها في اغلب الاوقات، كما يستعملها الأطفال كملعب لكرة القدم.

ملاحظة 2: أحاط أحد السكان المقيمين بالطابق الأرضي بنفس الحي المساحة التي تطل عليها شرفة المطبخ ونافذة الغرفة المجاورة، بحاجز يمنع مرور السكان بالقرب من مسكنه ويمنع توقفهم تحت اشجار قريبة من المكان.

ملاحظة 3: أزال أحد احد السكان شرفة المطبخ في الطابق الأول باحدى البنايات في الحي السكني الشعبي وعوّضها بنافذة يتحكم فيها من الداخل. تبدو مغلقة أغلب الأحيان. قام صاحب المسكن بهذا الاجراء لأن الشرفة تطل على ممر قريب يؤدي الى ادارة عمومية.

تبرز هذه الملاحظات القلق الذي ينجم عن وضعية الشرفة او النافذة في الحيّ السكني الشعبي عندما لا يفصل بينها وبين الحيّز الخارجي اي حاجز او مانع محدد. يزداد العناء اكثر بالنسبة لسكان الطوابق الأرضية بحيث تدخل العائلات المقيمة في هذا المستوى من العمارات تعديلات أساسية على الابعاد المعمارية للشرفات والنوافذ يتمّ ذلك بغض النظر عن ما تحدثه تلك التعديلات من تغيير في التناسق المعماري للبنايات السكنية وفي واجهاتها العامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجسّد السكان بهذه الوضعية علاقتهم بأحد جوانب الهندسة المعمارية الحديثة الخاصة بالمساكن، التي اصبح يقيم بها السكان من الفئات الشعبية. تفقد واجهات العمارات مميّزاتها الفنية بفعل استعمالها من قبل الافراد والعائلات. يقيم السكان جدرانا اضافية لازالة نافذة ويعدل آخرون شرفات مساكنهم بأعمدة وصفائح حديدية. يهملون الوجه الخارجي للجدار الجديد ويعالجون الجهة الداخلية بالصباغة اللازمة. تشكل هذه التعديلات قطعا متداخلة، بعضها من الآجر والبعض الآخر من طوب الاسمنت. تشوّه في تداخلها الوجه المعماري العام للبنايات السكنية.

توجه العديد من العوامل النفسية الاجتماعية هذه السلوكات. يمكن ان نشير الى التعارض القائم بين الحيزين الداخلي والخارجي كعنصر أساسي عند الاستعمال الاجتماعي لواجهات العمارات السكنية. تعبّر التعديلات المستمرة بهذا الحيّز على حقيقة هذا التعارض. **لم تعد الشرفة أو النافذة لغة معمارية كما أرادها لوكوربزي فحسب، بل لغة اجتماعية ثقافية نقرأ رموزها ومعانيها على واجهات البنايات السكنية بأحياء مدينة بومرداس.**

يمكن أن نضيف الى هذه الوضعية جلّ السلوكات التابعة للاستعمال اليومي للعديد من الشرفات والنوافذ في الحي السكني الشعبي: كتراكم الألبسة والفراش بها في أغلب الأحيان وتداخل بعض الشجيرات والازهار بقطع الاثاث المكدس...تدمج العائلات بالحي السكني الشعبي الحيز المخصص للشرفات في الخدمات العائلية: الطبخ، التنظيف، التخزين للمواد الغذائية... تمكن المساحات المخصصة للشرفات، نتيجة تعرّضها المباشر للتهوية والانارة من توفير شروط انجاز هذه العمليات. تغرس هذه السلوكات جذورها في أعماق النظام الاجتماعي السابق أين كان الحوش في المسكن الريفي ووسط الدار في البناية القديمة يحققان للعائلات هذه الغايات.

أدى ضعف تصنيع العديد من المنتوجات الغذائية على شكل مصبرات الفلفل، الثوم، الطماطم، البصل... وضعف توفرها بأسواق المدن والاحياء الى تمسك العائلات بوظائف اقتصادية تقليدية تتخذ من حيّز الشرفات او النوافذ أماكن مفضلة لتحضير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخزين هذه المواد. اذا أضفنا الى هذه الوضعية ما يلقى من النوافذ والشرفات، من ماء الغسيل وبقايا الأكل وأنواع القاذورات... فانّ الواجهات الأمامية للمساكن والعمارات تفقد كل معاني العمران الحديث وتصبح تعبيرا صادقا عن التناقض بين التصور العمراني والاستعمال الاجتماعي للحيّز السكني.

يخضع التصوّر العمراني الى المقاييس العلمية والفنية والابداعات الفردية في حين لا يوجه الاستعمال الاجتماعي للمساحات السكنية الا عناصر نفسية اجتماعية من النظام الاجتماعي للاقامة. لتعميق هذه الفكرة نحاول تتبع نمط حيازة واجهات العمارات بالحي السكني المخصص للاطارات.

2.1 - استعمال الشرفات والنوافذ في الحي الجديد المخصص للاطارات

أشرنا في عرض سابق الى أهمية الواجهات في هندسة العمارات بأحياء مدينة بومرداس[1]. ليست الشرفات والنوافذ مجرد حد معماري للبنية الداخلية للعمارة السكنية فحسب، بل هي انجاز معماري فنيّ هام جاء ليعطي للمساكن والبنايات واجهات متميزة ويوفر للسكان الاستقرار والراحة .

تتصف شرفات الحي الجديد باتساع عام اذ تمتد على جانبي كل مسكن ومن كلا جهتي العمارة الواحدة. يتداخل حيزها بالمجال الداخلي للمساكن عن طريق نوافذ كبيرة وواسعة حتى يصعب تحديد فاصل بينهما. تنطبق هذه المعطيات المعمارية مع ما جاء في الكثير من مقاييس العمران الحديث.

يشير كولكهون ألان الى التداخل بين الحيز الداخلي والخارجي للمسكن في البناية الحديثة ويميّز الحدّ بينهما بالغموض[1]. فلا تعرف العمارة الحديثة، كما يقول الكاتب، واجهة محددة ولا حدّا فاصلا بين المجال الداخلي والخارجي عكس ماكان معروف في الهندسة المعمارية التقليدية[2]. يتفق هذا مع مبدا أساسي في العمران الحديث، الذى يؤكد ان لكل حيز حق في تعبيرمعمارى ولايجب أن يبقى أي جزء من العمارة خفيا[3].

---

1) انظرو الفصل السابق

2) COLQUHOUN (A.) :Architécture moderne et changement historique Piérre Maradaga et OPU Alger 1985 .P.65 .

3) ألان كولكهون ، نفس المرجع السابق . ص 70

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تؤكد الملاحظات الميدانية كيف يتجه استعمال العائلات للنوافذ والشرفات بوضع حد فاصل بين الحيّزين الداخلي والخارجي من جهة ومحاولة تحديد واجهة رئيسية للمسكن والعمارة من جهة أخرى، يتم ذلك عن طريق ادخال مختلف التعديلات على الابعاد المعمارية لواجهات المساكن. تهدف هذه العملية الى اخفاء جانب من الهندسة المعمارية على حساب جانب آخر أي عكس ما تهدف اليه مخططات السكن.

ان الكشف عن الآليات النفسية الاجتماعية الموجهة لهذه التعديلات يجعلنا في قلب نظام الاقامة السابق بمظهريه الريفي والحضري.

بدأت عملية ادخال التعديلات على الحيّز المخصص للشرفات بالحي الجديد المخصص للاطارات بعد تنازل الدولة على الممتلكات العامة. أحدثت هذه التعديلات تحويلات في واجهات المساكن والعمارات وشوهت النسق العمراني العام. أصبح جزء كبير منها فتحات خاصة لا تخضع الى النسق المعماري المشترك. رغم لجوء بعض السكان في الحي الجديد الى استعمال مواد مصنعة لانجاز هذه التعديلات كالألواح الزجاجية والصفائح المعدنية الثمينة.. الاّ انّ ذلك لم يضف على المبنى ولا على الحي أي طابع معماري فنيّ جديد.

تستهدف هذه التعديلات بصفة عامة شرفة المطبخ ونوافذ الغرف المجاورة له، أي تخصّ بصفة عامة الحيز الاكثر استعمالا من قبل المرأة. يفسر هذا السلوك ارتباط الحيز الداخلي بالمرأة وبالحياة الخاصة والشرف من جهة ويعبر من جهة أخرى عن انعدام الامن عندما لا يوجد حاجز يخفي هذا الحيز عن الانظار او يؤمنه من الاخطار القادمة من المجال الخارجي. نكون بذلك في صميم نظام السكن السابق.

يعد قرار التعديل عائليا ويتعلق بادخال تحويلات على الحيز الفاصل بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي. تتخذ العائلات هذا القرار بعيدا عن أي استشارة رسمية وتبرر ذلك بموضوعي انعدام أمنها وضيق الحيز المخصص لأفرادها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذين العاملين تأثير على نمط حيازة السكان لواجهات العمارات. تعيد العائلات انعدام الأمن الى حدوث حالات السطو على بعض المساكن. نشير ان بعض هذه الحالات حقيقية ولا تستند حالات أخرى الا على اشاعات. تدعم الملاحظات التالية هذه الفكرة :

ملاحظة 1: احاط (س.ر) وهو اطار بأحد معاهد التكوين بالمدينة كلّ شرفات مسكنه الواقع بالطابق الثالث بالحي الجديد بالأعمدة الحديدية والزجاج الملوّن.قام بهذه العملية بعد تعرضه للسرقة. أعطى لانجازه طابعا فنيا صحراويا (اقواس، رسوم تقليدية ...) لأن العائلة من الجنوب الجزائري. بالاضافة الى هذه التعديلات، قام (س.ر) باصلاحات داخلية، مما أعطى للمسكن طابعا معماريا جديدا يجعل منه وحدة سكنية مميزة عن الابعاد المعمارية العامة.كانت حادثة السرقة مناسبة للعديد من السكان المقيمين بنفس العمارة أو بالعمارات المجاورة للقيام بنفس العملية.

ملاحظة 2: استفاد اطار بمسكن جديد في الطابق الأول كان يقيم به أحد المتعاونين الأجانب. بعد اعادة صباغته من الداخل، أحاط الشرفات باعمدة حديدية قبل أن يرحل الى مسكنه الجديد. جهز تلك الاعمدة بفتحات واقفال تمكنه من فتحها وغلقها. بقيت تلك الفتحات موصدة كحاجز ثابت لا تتعدى مهمتها الفصل بين الحيزين الداخلي والخارجي ولا تفتح الآ نادرا.

ملاحظة 3: شكّلت الفتحات الواقعة بالجدار الذي يغطي جانبا من شرفة المطبخ بكل بناية منبع خوف لدى العديد من السكان. فالى جانب اخفائه لجزء من هذه الشرفات، يعطي الجدار بفضل تصميمه المعماري، بعدا فنيا للمساكن وواجهات العمارات، فهو يتوازى مع جدار عمودي مغلق تتضمنهما معا هندسة واجهات البنايات السكنية بالحي الجديد. يرى السكان ان الفراغات (على شكل مربعات) التي تحملها تلك الجدران يمكن ان تسهل تسلق العمارات وبلوغ أي مسكن مهما كان علوه بالانتقال من طابق الى آخر عن طريق تلك الفتحات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نكتفي بهذه الملاحظات لنبيّن ان النوافذ والشرفات المخصصة للمساكـن في هذا الحي معاشة كابعاد معمارية خطيرة وكمصادر لانعدام الأمن. تعمل العائلات على تملكها وفق ما يحقق لها من أمن حقيقي او وهمي. تحوّل هذه العائلات، لتجسيد ذلك، مساكنها من مساكن بعدّة واجهات رئيسية الى مساكن يتعارض فيها هذان الجانبان أي من مساكن عصرية في بنايات حديثة الى مساكن بدون هوية معمارية ولا اجتماعيـة معيـنة .

تدعم بنية العائلات والتصورات الاجتماعية لأفرادها هذه الوضعية. تعطـي للحواجز المختلفة التي تدخلها على واجهات المساكن والبنايات رموزا تحمل معانـي نفسية اجتماعية عريقة في النظام الاجتماعي. نفسر بذلك لماذا تقل الحواجز بشرفات المساكن التابعة للفئات الشعبية اذ يتواجد باستمرار احد افراد العائلة بالمساكن التابعة للفئات الشعبية، و يقـل هـذا التواجد بمساكن الحي الجديد المخصص للاطارات .

يتميز سكان هذا الحي بارتفاع نسبة النساء العاملات والاطفال الممدرسـين وزيادة الأسر النووية، هذا الى جانب حداثة العلاقات الاجتماعية بين الجيران. تعمل هذه العناصر على بقاء المساكن بهذا الحي خالية أغلب الاوقات. يمكن ان نضيف الى ذلك غياب الاسر في العديد من المناسبات وخاصة عند مشاركتها أعياد وافراح واقـراح العائلات الاصلية التي تقيم خارج المدينة. تستدعي كل هذه الحالات تدعيم أمـن المسكن وأمن أفراده .

من المفروض ان تكون مسألة الامن /انعدام الامن من مهام مؤسسات رسميـة عمومية مختصة وفقا لتوزيع الادوار في المجتمع الحضري. الآ اننا نلاحظ كيف يلجأ السكان تلقائيا لتحقيق أمنهم، الى ادخال العديد من التعديلات على الابعاد المعماريـة للشرفات والنوافذ وعلى الأبواب الرئيسية للمساكن والعمارات. أي على كل الفتحـات الفاصلة بين الحيزين الداخليّ والخارجي، بين الحياة الخاصة والعامة .تتخذ هـذه التعديلات طابعا غير رسمي وتشوه واجهات العمارات في الاحياء السكنية. فلا هـي هندسة معمارية عصرية ولا هي من النموذج السكني التاريخي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس هناك اختلاف جوهري بين نمط حيازة السكان لواجهات العمارات في مختلف الاحياء السكنية بمدينة بومرداس. تسير كل الواجهات ـ بدرجات مختلفة ـ نحو اوضاع يضطرب فيها التناسق المعمارى العام بفعل الاستعمال اليومي للشرفات والتعديلات التي تدخلها العائلات على هذه الابعاد المعمارية. يكمن الفارق في الوسائل المستعملة لانجاز هذه التعديلات. يستعمل الاطارات الوسائل الفنية الثمينة: الواح معدنية، زجاج ملون، صفائح خاصة .. ويكتفي سكان الحي الشعبي باستعمال الآجر والاسمنت فالهدف واحد لدى أغلب الفئات الاجتماعية: اخفاء كل ما يتعلق بالحيز الداخلي كحيز عائلي آمن على حساب التناسق الهندسي الخارجي.

تؤول كل السلوكات الاجتماعية التي تتخذ من هذا العنصر النفسي الاجتماعي قاعدة انطلاقها ـ شعوريا أو لا شعوريا ـ الى تجسيد مظاهر اجتماعية متناقضة في الحياة السكنية وتعرقل بالتالي تحضر الأفراد والعائلات وفق مقاييس معمارية جديدة.

نتابع نفس التناقض والاضطراب عند استعمال أقرب المساحات السكنية الى الأفراد والعائلات كالسلاليم ومداخل العمارات.

2 ـ اهمال سلاليم ومداخل العمارات تابع للتعارض بين الحياة الخاصة والحياة العامة

تستطدم المعطيات الفنية للعمارات بالاستعمال الاجتماعي عند الاقامة الجماعية في الاحياء السكنية الحالية. يتضح ذلك جليا عندما يتخذ الافراد والعائلات سلوكات ومواقف تجعل من سلاليم ومداخل العمارات حيزا مهملا بعيدا عن اي تحكم أو تنظيم. لقد تمّ تجهيز البنايات السكنية العمودية بسلاليم ومداخل رئيسية تخضع هذه المرافق السكنية الى مقاييس مضبوطة لتحقيق حدّ كبير من سهولة التنقّل وراحة السكان وأمنهم. من المفروض أن يساير نمط حيّازة السكان لهذه التجهيزات وفق ما يحقق لهم هذه الغايات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا كانت التعديلات التي يدخلها سكان الاحياء على الشرفات والنوافذ تخلق الاضطراب في الواجهات الرئيسية للمساكن والعمارات فتشوهها، فان نمط حيّازة سلاليم ومداخل البنايات السكنية يؤثر مباشرة على راحة وأمن سكانها ويؤثر على حالة أقرب المساحات السكنية الى العائلات.

كيف تتم حيازة هذه المساحات ؟

للاجابة عن هذا التساؤل نتابع بعض الملاحظات المستمدة من واقع تملك السكان لسلاليم ومداخل العمارات بحيين سكنيين من مدينة بومرداس .

1.2 - ملاحظات من واقع استعمال سلاليم ومداخل العمارات بالحي الجديد المخصص للاطارات

ملاحظة 1: تقوم العائلات من ديوان الترقية والتسيير العقاري بتنظيف سلاليم ... ومداخل العمارات على فترات منتظمة بالحي السكني الجديد المخصص للاطارات. كتراكم الأوساخ بهذه الاماكن خارج هذه الأوقات، تتقاذفها الجارات من مكان الى آخر في انتظار موعد قدوم هذه العاملات.

ملاحظة 2: تعرف حركة تنقل السكان بسلاليم العمارات ضجيجا يثير الاضطراب في الحياة السكنية ... وفي راحة واستقرار السكان داخل مساكنهم. تتعلق هذه الظاهرة بصفة خاصة بتنقل الاطفال والشبان وتزداد حركتهم حدة في الحي الجديد المخصص للاطارات وفي البنايات التي يزيد فيها عدد الاطفال.

ملاحظة 3: تعود الكتابات والرسوم على جدران اغلب البنايات السكنية بالحي الجديد المخصص للاطارات الى الأطفال. يكتب هؤلاء اسماءهم وعبارات مدرسية ورياضية وبعض الرسوم الجنسية ...

ملاحظة 4: لجأ بعض سكان البنايات في الحي الجديد بعد الحملة الاعلامية التي رافقت تطبيق قانون تنازل الدولة على المساكن، الى عمليات واسعة لاصلاح مداخل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمارات وصباغة حيزها الداخلي وتعديل انارتها.. أضاف سكان آخرون الى مداخل البنايات منبّهات فردية وصناديق بريدية بالعمارات(43، 50، 51، 53) ووزّعت المفاتيح على العائلات وتمّ التأكيد على نظام محكم لاستعمال مداخل العمارات ومراقبة حيزها من تداول الاطفال " الأجانب" عليها. لم يحافظ الآ النادر من السكان على هذه التعديلات بحيث تصدّعت الأبواب وأتلفت المنبهات والانارة كما تشوهت الصباغة في العديد من العمارات .

تبرز هذه الملاحظات علاقة السكان بأقرب المساحات السكنية اليهم: سلاليم ومداخل العمارات. تعبر الملاحظات الثلاثة الأولى على الاهمال العام الذي يعرفه هذا الحيّز وتعبر الملاحظة الأخيرة كيف يواجه سكان هذا الحي الاضطراب والفوضى عندما تصبح حالة أقرب المساحات السكنية اليهم تهدد حياتهم السكنية وحيزهم الخاص.

يشترك السكان مع اطراف عديدة في ما آلت اليه أوضاع سلاليم ومداخل أغلب العمارات بالحي السكني الجديد. تترامى العديد من الهيئات الرسمية والخاصة المسؤولية المباشرة لهذا الاهمال في اقرب المساحات السكنية. رغم ضعف الاشراف الاداري ونقص في الرعاية في تسيير المرافق السكنية من طرف الجهات الرسمية فان ما يبدو واضحا في هذا المجال هو ما يحدثه الاطفال من اتلاف للانارة وكسر للأبواب وتشويه للصباغة العامة...

يشكل الطفل العنصر الاساسي في حيازة هذه المساحات ويمثل مصدر اهمال وتخريب واتلاف المرافق التابعة لها، مما يجعلنا نستبعد وجود مكانة لهذا الحيز ولهذه المرافق في العملية التربوية الخاصة باستعمال المحيط الخارجي. فاذا كان الطفل يعرف سلسلة من النواهي والضوابط داخل المساكن فهو يلقى الحرية خارج المساكن وداخل الاحياء .

كيف يمكن تفسير غيّاب التوجيه التربوي للطفل لرعاية المرافق السكنية والمحيط الخارجي في الحي السكني الجديد المخصص للاطارات رغم ما يتصف به هؤلاء السكان من مستوي اقتصادي وتعليمي متوسط أو عالي؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توضح التعديلات التي يدخلها هؤلاء السكان بأقرب المساحات السكنيـــة اتجاههم نحو العزلة ونحو انعدام استعمال المحيط الخارجي استعمالا متكاملا. فـلا تنطلق العديد من هذه التعديلات الا في مناسبات محددة او عندما تصل أوضاع البنايات السكنية حدا من الاهمال يهدد العائلات في أمنها وصحتها العامة .

أكد أحد السكان لجيرانه، عندما تجمّعوا للنظر في أوضاعهم السكنية باحدى البنايات في الحي السكني الجديد، بأن الحيز في أسفل العمارة قد أصبح مكانامناسبا لتجمع أطفال يسكنون أحياء أو بنايات أخرى. أضاف ساكن ثاني كيف واجهه بعـــض الشبان بعنف عندما أراد في احدى الليالي ان يطردهم، استعان بعد ذلك بأحـــد الجيران ليتمكنا معا من مطاردتهم .

أشار ساكن ثالث كيف يرمي الاطفال من بنايات مجاورة للحي السكني القاذورات بأسفل العمارة السكنية وتحت السلاليم بعيدا عن الانظار وكيف يتخلصون من فضلاتهم بنفس الاماكن عندما يتعذر عليهم الصعود الى مساكنهم بالطوابق العليا لقضاء حاجاتهم. يعيدون هذه الوضعية الى تحطم الباب الرئيسي للعمارة وقلة المراقبة وصرامة السكان.

تحث كل هذه الحالات عندما يثيرها السكان في لقاءاتهم، على التعـــاون ودفع المبالغ اللازمة لانجاز بعض التعديلات في اقرب حيز الى المساكن والعائـلات. تقتصر هذه التعديلات أحيانا على المدخل الرئيسي للعمارة وقد تشمل أحيانا أخـرى مرافق بنفس المكان: كوضع المنبهات الفردية والصناديق البريدية واعادة اصـــلاح الانارة وصباغة الجدران المشوهة... تكتفي الفئات الشعبية بالانجاز الأول في حـين يفضل الاطارات اضافة الانجازات الثانية

اذا كانت هذه العملية تتطلب بالحي المخصص للاطارات سلسلة من اللقاءات والاجتماعات بين السكان فهي تلقائية لدى الفئات الشعبية، نؤكد هذه الفكرة بالملاحظات الميدانية التي استقيناها من واقع الحي الشعبي :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.2 - واقع استعمال سلاليم الحي ومداخل العمارات بالحي السكني الشعبي

ملاحظة 1: قام الافراد من سكان الحي الشعبي بانجاز أربعة أبواب لمداخل العمارات بعد أن لاحظوا التدهور والاهمال العام لأقرب المساحات السكنية نتيجة الاتلاف الذي حصل لأبواب البنايات. تابع السكان باهتمام هذه العملية منذ التحري عن المقاول لانجاز هذه الأشغال الى عملية تركيب الأبواب الحديدية ودفع المبالغ المالية اللازمة.

ملاحظة 2: قامت جماعة من سكان العمارة 8 من اصلاح المساحات أسفل البناية باعادة ترميم بلاطها وتجهيزها بالانارة وتوزيعها على شكل غرف للاسرة المقيمة بأحد أجنحة هذه العمارة. لم يفلح سكان آخرون يقيمون بنفس العمارة من انجاز نفس الأشغال رغم تحضير الاتربة اللازمة لذلك. بقيت هذه الأخيرة كومة تتناثر على المساحات العامة ويلعب عليها الأطفال...

نستخلص من هذه الملاحظات الميدانية ان حيّازة اقرب المساحات السكنية الى العائلات لا يعرف تنظيما اجتماعيا معينا. لا تعبّر التعديلات والاصلاحات التي يدخلها سكان الحيين على سلاليم ومداخل العمارات الا عن حلول جزئية ومؤقتة. كثيرا ما يلجؤون اليها في مناسبات محددة أو عندما يصل اهمال هذه المرافق المعمارية حدا يشكل خطرا مباشرا على الافراد والعائلات. نوضح هذا الاثبات بالملاحظات التالية:

ملاحظة 1: رغم ما تعرفه أقرب المساحات السكنية الى العائلات من اهمال شامل، يفضّل الكثير من السكان في كلا الحيين اعادة اصلاح مداخل العمارات والغاء باب النجدة (وهو مدخل خلفي موجود بأغلب العمارات السكنية في الحيين القديم المخصص للفئات الشعبية وفي الحي الجديد المخصص للاطارات)، يتمّ ذلك على حساب مرافق أخرى يتضمنها نفس الحيّز كالانارة والصباغة... يبرّر السكان هذا الاختيار بهدف تحقيق **مراقبة المكان و أمن العائلات** وهذا يمنع تجمع الاطفال بسلاليم ومداخل هذه العمارات من جهة وكشف كل غريب عن البناية السكنية من جهة أخرى. تمثل هذه العبارات أهم المبررات التي يقدمها الجيران عندما يتجمعون للاتفاق حول ضرورة ادخال سلسلة من الاشغال لاصلاح اقرب المساحات السكنية اليهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا تمكّن بعض السكان من تحقيق هذه الاصلاحات فان سكانّ آخريـــــن لم ينجزوا هذه الاشغال رغم ما تعرفه سلاليم ومداخل بناياتهم من تدهور واهمــال كا العمارات 51، 43 ، 47،... وجل البنايات السكنية في الحي السكني الشعبي.

ملاحظة 2: يعتبر غيّاب الانارة بسلاليم ومداخل العمارات السكنيةفي مختلف الاحياء ظاهرة عامة. أصبح التنقل داخل العمارات في الظلام الحالك **سلوكا عاديــا**. يلجأ بعض السكان الى وضع مصابيح كهربائية بمداخيل المساكن لانارة جانبمن سلـم العمارة على أن يتم التحكم فيها من الداخل. يسهر الافراد على رعايتها في هذه الحالة.

ملاحظة 3: يبادر بعض الافراد والعائلات باصلاح الانارة بسلاليم بناياتهـم في مناسبات معينة كالاحتفال بزواج او بعودة من الحج او بنجاح مدرسي. قامت عائلـة (و. م) باصلاح انارة سلم جناح البناية رقم 51 في الحي السكني الجديد قبل احيـاء حفل الزفاف. دخلت هذه العملية في اطار الترتيبات الخاصة بالحفل، لتمكن الانارة اللازمة من التنقل المريح للضيوف. عاد الظلام من جديد بعد مرور تلك المناسبة. نفس السلوك امكن ملاحظته بالبناية رقم 8 في الحي السكني الشعبي عند احياء(م. ع) لحفل زفاف ابنته، بحيث نزع احد أفراد عائلته المصابيح الكهربائية التي كان قــد ركبها قبل الحفل.

ملاحظة 4 : عند اعادة صباغة مسكنه من الداخل اضاف(خ.) صباغة الطابـق الذي يقع به مسكنه، فطلى جدران سلم البناية بنفس الصباغة، مما أعطى وجها مغايرا عن الصباغة العامة لجدران سلالم البنايات في الحي السكني الشعبي.

يمكن ان نضيف العديد من الملاحظات التابعة لنمط حيازة العائلات لأقـرب المساحات السكنية اليها. تشير هذه الملاحظات الى نوعين من التدخلات على هـذا الحيز. **أولا**: التعديلات التي تلقى حدا من الاجماع والتي يعمل السكان على انجازهـا بالتعاون كاصلاح الأبواب الخارجية للعمارات ووضع المنبهات الفردية والصناديـــق البريدية واعادة صباغة الجدران وتجديد الانارة. ثانيا: التعديلات التي يقوم بهـا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكان لتحقيق هدف محدود او مصلحة خاصة لا تتجاوز الحياة العائلية ، كتدعيم ابواب المساكن وتجهيزها بمصابيح للانارة او صباغة مستوى واحد من مستويات البناية ...

تقـل التعديلات الأولى لدى الفئات الشعبية . تكتفي هذه الأخيرة باصلاح مداخل البنايات السكنية وتلجأ الى الاجراءات العائلية المحدودة عندما يهدد تدهور اقرب المساحات السكنية اليها أمنها وأمن أفرادها .يفضّل الاطارات من سكان الحـي الجديد التركيز على انجاز بعض المرافق الخاصة . تدخل هذه الاخيرة طابعا ممـيزا على مداخل العمارات في هذا الحي.

رغم الاختلاف بين الوسائل التي يدخلها السكان بأقرب المساحات السكنيـة الى مساكنهم فانها تهدف الى تحقيق هدف عام متمثل في المراقبة العائلية للمكان وأمن العائلات. تبرز ملاحظاتنا الميدانية كيف تتجه العائلات الى الاجراءات التي تتحكـم فيها من الداخل كحل وحيد لتحقيق هذه العمليات. تتخذ هذه الاجراءات وجهامناقضا مع الابعاد المعمارية لسلاليم ومداخل العمارات ولا تحقق تنظيما جماعيا للحياة السكنية . فعندما يتم تدعيم الأبواب الخارجية للمساكن في الحي الشعبي بصفائح واعمدة حديدية تقل أهمية الباب الرئيسي للعمارة اذ يصعب بعد ذلك اعادة اصلاحه اذا تحطم . يفقد مفهوم الامن معناه الموضوعي ويتحول من تخوف معقول يستند على بعض القضايـا المدينية - يمكن التحكم فيها - الى عنصر نفسي اجتماعي عميق، يصل بالافراد والعائلات كما رأينا ، الى تشويه الابعاد المعمارية للمساكن والبنايات.

فأي أمن يمكن تحقيقه اذا تمّ الغاء الممر الخلفي المخصص للنجدة في أغلب البنايات ؟وأي امن يعرفه السكان عند التنقل بسلاليم العمارات في الظلام الحالك ؟ لا تساعد المصابيح الكهربائية،المعلقة بمداخل المساكن والمستعملة من الداخل المساكن والمستعملة من الداخل،تنقل الافراد أكبر مسافة ممكنة للوصول الى مساكنهم أو لبلـوغ مخرج العمارات. تترك العائلات هذه المصابيح منيرة على بعض الافراد وتطفؤهـا على أفراد آخرين. لا تضمّ الانارة بهذه الطريقة أي تجهيز معماري أو مرفق حضـري أو نظام لحياة سكنية جماعية بل تعبر فقط على العلاقة الاجتماعية بين الجيران.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرفنا الى حدّ الآن كيف يبرر السكان حيازة أقرب المساحات السكنية اليهم. أشرنا الى انعدام الامن وما يتبعه من محاولات لمراقبة المكان وحيازته عائليا. تجد هـذه العمليات صعوبات لتحقيق نظام قار وفعال يتناسب مع شروط تملك سلاليم ومداخيل العمارات الحديثة. تعارض المقاييس الهندسية والوظيفية لهذه الابعاد المعمارية بهذه العناصر النفسية الاجتماعية العريقة. تعود هذه الاخيرة الى نظام السكن التقليدي في حين تنطلق المرافق المعمارية الداخلية للبنايات من منظور علمي حديث. نوضح هذا التعارض بالملاحظات الميدانية التالية .

ملاحظة 1: للتخلص من التكاليف المالية المخصصة لتنظيف سلاليم ومداخل العمارات - التي يقدمها السكان الى ديوان الترقية والتسيير العقاري، اتفق سكان بعض البنايات في الحيّ الجديد المخصص للاطارات على القيام بهذه المهمة مقابل تنازل هذه الهيئة الرسمية على هذه التكاليف (65 د.ج)، بعد ذلك قامت نساء وبنات بعملية التنظيف وفق **نظام التناوب** ولكن لم تستمر هذه الحملة مدة طويلة أمام امتناع بعض العائلات من المشاركة في التنظيف. فكيف تصعد العائلات من الطوابق الأولى لتنظف الطوابق العليا وهي لا تستعملها ؟ أدى امتناع بعض النساء على التناوب الى اثارة الاضطراب في العلاقات بين الجيران والى فشل نظام التناوب، فساد الاهمال مرة أخرى سلاليم ومداخل العمارات.

ملاحظة 2: اتفق سكان بعض البنايات في الحي الجديد المخصص للاطارات (كعمارات 51، 52، 63) على تشغيل عاملات لتنظيف المساحات الداخلية للعمارات على فترات منتظمة مقابل مساهمة مالية تدفعها العائلات المشاركة. كانت البداية موفقة وقامت بعض المستخدمات السابقة لديوان الترقية والتسيير العقاري بهذه العملية بشكل منتظم الى غاية امتناع بعض العائلات من دفع المبالغ اللآزمة في الوقت المناسب. أدى ذلك الى فشل هذه العملية رغم محاولة المتابعة التي أبداها بعض السكان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظة 3: تقوم النساء بالتنظيف الجماعي من حين لآخر لسلاليم ومداخل بعض العمارات في الحيين السكنيين الشعبي والمخصص للاطارات ولكن يتسرب الماء أثناء ذلك الى المساكن التي يقيم بها الأجانب والى المساكن التي يغيب عنها أصحابها مخلفا من جرّاء ذلك أضرارا بها. تؤدي هذه الوضعية الى اهمال هذا الاسلوب في التنظيف لما ينجر عنه من اضطراب في العلاقات بين الجيران.

تبرز هذه الملاحظات طبيعة التدخلات التي تقوم بها العائلات بأقرب حيز اليها، تتميز هذه التدخلات بحلول جزئية محدودة تغرس جذورها في تقاليد الحياة السكنية اين كان التعاون ونظام التناوب خاصيتين اساسيتين لحيازة العائلات للمساحات السكنية. تقلّص الابعاد الهندسية لسلاليم ومداخل العمارات الحالية من دور واهمية هذه العوامل في الحياة الاجتماعية للاقامة الجماعية.

أدى البناء العمودي للاحياء السكنية الجديدة الى تقسيم البنايات السكنية الى مستويات لا يربط بينها من الدّاخل الاّ ممرّات لا تتجاوز وظيفتها التنقل المريح من طابق الى آخر. لم تنجز سلاليم ومداخل العمارات لتساعد الاتصال بين السكان، فلا يتعدى لقاء النساء الطابق الواحد ولا هي مخصصة للعب الاطفال بحيث تمكن مراقبتهم ولا مخصصة للطهي او الغسيل. لا يمكن لهذه الابعاد المعمارية الحديثة ان تؤدي وظيفة وسط الدار او الحوش كما كانت معروفة ومعاشة في نظامي السكن الريفي والحضري السابقين. لا تحقق السلاليم ومداخل العمارات الحالية التعاون والتناوب مثلما كانا قائمين في الحياة السكنية السابقة. تتطلب حيازة هذه المساحات الحديثة شروطا حضرية واجتماعية وتربوية تختلف عما كانت عليه في نظام السكن السابق.

تصبح من جراء ذلك بداية المسكن لدى اغلب العائلات هي نهاية الحيز الداخلي ولا يتدخل السكان لاستعمال المساحات القريبة منهم الا لأغراض عائلية محدودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستخلص من تحليل الملاحظات الميدانية المتعلقة بحيازة السلاليم ومداخل العمارات في مختلف الاحياء كيف يدخل السكان العديد من التعديلات على هذه الابعاد المعمارية. تدفعهم الى ذلك إعتبارات نفسية اجتماعية لا تتجاوز فعاليتها أمن العائلات ومراقبة المكان. يتحول الحيز السكني بالبنايات الجديدة من جرّاء ذلك الى ممر مغلق شأنه في ذلك شأن الممرات المغلقة المعروفة في نظام السكن التقليدي(Les impasses •) يعتبر باب العمارة المدخل الرئيسي لهذا الممر الذي ينتهي امتداده في طابقها الاخير. لا تشكل جدران البنايات ولا اناراتها ولا التجهيزات المخصصة لها بنفس الاهتمام الذي تعرفه مداخلها الرئيسية. يحاول السكان اعادة اصلاح ابواب العمارات كلما تحطمت.

تفسّر هذه الاوضاع سبب الاهمال العام أقرب المساحات السكنية للعائلات بمختلف الاحياء. فلا التقاليد السكنية للنظام الاجتماعي التقليدي استطاعتا ان تحقق نظاما محكما لحيازة هذه المساحات الجديدة ولا تمكنت الابعاد المعمارية الحديثة ان تغير السلوك وتحقق اطارا سكنيا متكاملا. يعرف كل جانب ازمة في الحياة الاجتماعية: ازمة التقاليد وازمة العصرنة .

تتجسد الازمة الأولى عندما لا تحقق العوامل النفسية الاجتماعية الموجهة لنمط حيازة العائلات للمساحات السكنية نظاما اجتماعية يساير تحضر الافراد والعائلات. تتجسّد الازمة الثانية عندما تفرغ نفس العناصر النفسية الاجتماعية معالم التنمية الشاملة من محتواها فتشوه رموزها وتحرف معانيها. يعيد سليمان مظهر وناجي سفير هذه الوضعية الى اهمال البعد الاجتماعي الثقافي في المخططات الاقتصادية وفي المشاريع الاجتماعية والثقافية (1).

نتابع وجها آخرا من مظاهر هذه الازمة في الحياة السكنية عند استعمال السكان للفسحات الحرة بين البنايات باحياء مدينة بومرداس.

---

1) سليمان مظهر نفس المرجع السابق.

(2)

I) SAFIR (N.) : Culture et développement in Aspects de la culture algerienne. (Probléme et perspectives .) PCCA; Paris PP 41-49 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 - استعمال الفسحات العامة بين البنايات السكنية :

تعتمد الهندسة المعمارية الحديثة المتميزة بالوظيفية (Foncionelle) في ادخال البعد الاجتماعي على المكان وتعطي لهذا الاخير دورا يستجيب بأكبر قدر ممكن لحاجات الافراد والعائلات. فالى جانب تقدير الشروط الطبيعية كالتهوية والانارة وتخفيف الضجيج عند انشاء البنايات السكنية الجماعية، يأخذ المصممون بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية لتجمع السكان.يصبح أي تجمع سكني جديد اطارا متكاملا للحياة الاجتماعية. تجري هذه الحياة اما داخل المسكن فيلبي الحيز السكني جملة من حاجات الافراد(استقرار، راحة، أمن تغذية، حياةخاصة، علاقات جنسية، انجاب، ترفيه، تربية...) أي حاجات بيولوجية واجتماعية ونفسية وأما خارج المسكن وداخل الحي فيعرف فيه السكان تفاعلا وحيوية اجتماعية واسعة. تحقق هذه الانشطة للافراد والجماعات حاجات نفسية اجتماعية لا تقل أهمية عن الاولى: جوار، تعاون، ترفيه، مشاركة عامة في الحياة الاجتماعية للحي...

نستخلص انه مهما كان الفرد داخل المسكن او بخارجه، فانه يتفاعل بالمحيط الفيزيقي الذي يعيش فيه ويحقق بواسطته العديد من حاجاته.

لم يصبح اذن المحيط الخارجي للمساكن وداخل الاحياء في الهندسة المعمارية الحديثة حيزا محايدا يؤثر سلبا على الحياة السكنية ولا هو حيزا خطيرا وغير آمن، تحاول مخططات البناء ان تعطيه بعدا وظيفيا واجتماعيا لتدعيم شخصية الفرد وازدهاره أو كما يقول ب. هـ شومبار دولوف: تعطيه حريته [1]. من المفروض ان يساير نمط حيازة السكان للفسحات العامة هذه الأهداف.

ان تطبيق هذه الخطة النظرية مذبذب في مدينة بومرداس بحيث تختلف الاحياء السكنية المنجزة في تجهيز مساحاتها العامة بالمرافق الاجتماعية والترفيهية.. يعرف الحيان السكنيان الشعبي وحي ابن خلدون المخصص للاطارات فسحات مغروسة ومواقف للسيارات وبعض ملاهي للاطفال. لا تعرف بقية الاحياء السكنية الجديدة هذه التجهيزات .

---

1) شومبار دولوف، نفس المرجع السابق . ص 211

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتفق الكثير من الناس حول حداثة وجمال احياء مدينة بومرداس ويعيدون ذلك الى الاعتبارات التالية : حداثة البناء، وجود الفسحات المغروسة ، موقعهـا العام على مشارف البحر وقربها من الجزائر العاصمة ... تركز الصحف التي تهتم بمدينة بومرداس على الجانبين العمراني والاجتماعي، فتشير الى الاهمية التي تكتسيها الأبعاد المعمارية لتجمعاتها السكنية من مساحات مغروسة ومرافق الى جانب بعض الخاصيات الاجتماعية والتعليمية التي يتصف بها السكان.فماذا يخفي هذاالاعجاب الجماعي ؟ هل هو ميل حقيقي نحو التطلع للاقامة المتكاملة مثلما تقدمها الابعاد المعمارية الحديثة ؟ اذا كان الامر كذلك فما الذي يمنع من تحقيق هذا الطموح وهذا التطلع ؟ ولماذا تبقى التغبيرات المعلنة متناقضة مع السلوكات الفعلية ؟ توضح هذه السلوكات النمط الاجتماعي لحيازة المحيط الخارجي بما يشمله من مرافق وتجهيزات تحدد عوامل نفسية اجتماعية تابعة للنظام الاجتماعي السابق هذا النمط. تؤثر هذه العوامل بدرجات مختلفة على حالة هذاالحيز ، تزداد اهمالا لدىالفئات الشعبية .

1.3 ـ استعمال الفئات الشعبية للفسحات بين البنايات

ملاحظة 1: تلجأ بعض العائلات في الحي السكني الشعبي الى . . استعمال عائلي للفسحات الحرة بين البنايات السكنية ، بعد تجهيزها بأوتاد واعمدة وأسلاك تقوم بذلك لغرض تجفيف الالبسة والاغطية . يتم ذلك عندما تضيق الشرفات والنوافذ بهذه الحاجات. تُعرض بنفس المساحات الاطعمة وانواع الحبوب وكذلك جلودالاغنام وخاصة بعد الاعياد والافراح.

ملاحظة 2: يحيط الكثير من السكان المقيمين بالطوابق الارضية للعمارات في الحي السكني الشعبي المساحات الحرة المحاذية للشرفات والنوافذ بأسلاكوأعمدة تغرس بهذه المساحات انواع من الشجيرات والازهار. يفضّل بعض السكان" فلاحة " بعض الخضر مما يجعل هذه المساحات تتحول بعد فترة الى حقول خاصة .عندما تزول تلك النبتات تبقى الحواجز اشبه بمانع تفصل بين المساحات العامة وتلك الفسحات وتبعد الانظار عن الشرفات والنوافذ القريبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظة 3: تعود اغلب انواع القاذورات بالمحيط السكني الى المواد المستهلكة من طرف العائلات، كبقايا المأكولات، علب البلاستيك الأوراق... تتراكم هذه النفايات خلف البنايات وبالاماكن البعيدة عن المراقبة. تلقي، بالاضافة الى ذلك، العديد من النساء ماء الغسيل من الشرفات والنوافذ وخاصة اللائي يقمن بالطوابق الأولى.

نستخلص من هذه الملاحظات أنه بالاضافة الى اهمال المنجزين لتجهيز بعض المساحات العامة بين البنايات في التجمعات السكنية الشعبية، يتجّه السكان (بهذه الاحياء) نحو حيّازة هذه المساحات بما يتفق ومبدا عريق في نظام السكن: لا يحمل أي مكان خارج المساكن معنى اجتماعي معين الا اذا تمّ استعماله واستغلاله لغرض عائلي، اقتصادي او زراعي. تهمل بقية المساحات التي لا تحقق هذه الغايات.

تبرز العائلات سلوكها هذا حاجاتها الى الفسحات، المنزلية التي كانت جزءا معماريا في هندسة المساكن الريفية والحضرية السابقة. تعبر بوضوح عن فقدانها للحوش أو لوسط الدار بواسطة حيازتها للفسحات الحرة بين العمارات الحديثة. يحدد هذان المجالان التقليديان بفضل ابعادهما المعمارية والاجتماعية علاقة السكان بالنظام الاجتماعي وبالطبيعة على حدّ سواء. ينتقي السكان، كما يقول برارادي روبارتو: " قطعة من السماء ليدخلوا نورها الى المساكن عن طريق وسط الدار او الحوش"[1] لايصبح بالتالي المسكن عالما مغلقا على نفسه كما رآه الكثير من الكتاب الغربيين.

اذا كان سكان الحضر في النظام الاجتماعي السابق يعرفون الى جانب وسط الدار مساحات السطوح فوق البنايات، فان سكان الريف تمتد اغلب احواشهم الى المزارع المجاورة بواسطة ممرات خاصة. تزيد هذه المساحات فرص التنقل الحر والاستعمال العائلي الواسع للمجال.

تقدم المساحات بين البنايات في الحيين القديم والجديد بمدينة بومرداس ابعادا معمارية ووظائف اجتماعية جديدة. تتمحور هذه الاخيرة على التنقل المريح.

I) **BERARDI (R.)**: **Espace et ville en pays d'islam** , in l'éspace social de la ville arabe . éd . Maisonneuve et larose, Paris

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بواسطة ممرات الراجلين والسيارات واثارة الانطباع بالمساحات المغروسة وتنظيم تجمع السكان وفق فئات الاعمار الى جانب امكانية النزهة والسير على الاقدام فماذا يأخذ السكان من هذه الابعاد وماذا يرفضون .

نلاحظ أن الفئات الشعبية تؤكد اهمالها للفسحات العامة بين المباني السكنية . يتضح ذلك عندما يتدخل في كل مرة التعارض بين الحيزين الداخلي والخارجي ليوجه نمط تملك هذه الفئات للمساحات خارج المساكن وداخل الاحياء. تشير ملاحظاتنا التالية الى أي حدّ يمكن ان يصل هذا التعارض من اهمال لهذه المساحات:

ملاحظة 1: اشار لنا أحد المستخدمين من مؤسسة ديوان الترقية والتسيير العقارى لمدينة بومرداس بما يلي "هل تعرف اين يرمي السكان - مشيرا لى بناية بالحي القديم - فضلاتهم عندما تنسد المجارى داخل المساكن ؟ أجبت بلا. فقال: " يقذفون بها في أوراق من الشرفات والنوافذ خارج المساكن ! ".واصل نفس المستخدم حديثه :" هل تعرف كيف يجد هؤلاء السكان حلاّ لانسداد مجاريهم ؟ قلت:لا. فقال - مشيرا الى نفس البناية :" ينزل بعضهم اسفل العمارة ويكسر القنوات المنسدة، تنزل المياه القذرة لتغطيّ المكان. يزول بعد ذلك الانسداد على مستوى المسكن ويتلوث المحيط ".

ملاحظة 2: يقوم بعض سكان الحي القديم باصلاح سياراتهم وغسلها بالفسحات الحرة بين العمارات: فوق الفسحات المغروسة وعلى الارضية . تخلف تلك العمليات الكثير من الأوساخ وتساعد على تلوث المحيط السكني.

ملاحظة 3: تحولت الكثير من المساحات الخضراء بالحي السكني القديم الى ملاهي للاطفال ومواقف للسيارات وممرات للراجلين.تمّ بذلك اتلاف جلّ تلك المساحات. تثير الاماكن العارية الاتربة والطين فينقلها الافراد داخل المساكن والبنايات عند الدخول والخروج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشير هذه الملاحظات الى أي حد وصل اليه اهمال المساحات الحرة بين البنايات المخصصة للفئات الشعبية وهذا رغم مدة الاقامة للعديد من العائلات في هذه البنايات. تجعلنا هذه الوضعية نستبعد حدوث اي تغيير في سلوك الاقامة، أي غياب الخبرة في الاقامة الحضرية. نقصد بالخبرة وفق نظرية التعلّم : التحول في السلوك او في أي نشاط معين من انشطة الافراد والجماعات. نكتسب الخبرات عن طريق التعلم الذي لا يعني تعلّم المواضيع المدرسية فحسب، بل يقصد به، كما كتب فاخر عاقل، كل ما يكوّن سلوك الفرد الذي يشمل - الى جانب ما هو موروث - ما اكتسبه المتعلم من اتصاله بالبيئة (1). يؤكد علماء النفس والمحيط أن الاشخاص يكتسبون خبرات حول محيطهم لمجرد وضعهم بمكان معين، يدخلون في تلك العملية ادراكاتهم وتصوراتهم وبذلك يعطون لعلاقاتهم بالمحيط طابعا ذاتيا (2).

رأينا الى حد الآن كيف يدخل سكان الحيين بدرجات مختلفة تصورات اجتماعية لحيازة اقرب المساحات السكنية اليهم كانعدام الامن ومحاولة المراقبة والتباين بينها وبين الحيز الداخلي... تعرقل هذه العوامل من احداث تحول في سلوك الاقامة والحصول على الخبرات في الاقامة الحضرية الحالية .

نعني بهذه الخبرة التحول في اتجاه الانسجام التدريجي مع المتطلبات التي يفرضها التجمع والعمران. فلا يتصف الافراد والعائلات بالتحضر لمجرد اقامتهم في التجمعات السكنية الحضرية فحسب، بل لما يكتسبون من خبرات وتقاليد مدينية نتيجة تلك الاقامة.

كثيرا ما يتم استعمال مفهوم الخبرة كوسيلة لتفسير بعض مظاهر الاضطراب او عدم الانسجام الذي يميّز السكان الحديثي الاقامة في التجمعات السكنية الحالية، عندما يتم نقلهم الى هذه التجمعات بعيدا عن أدنى شروط الاقامة الأصلية : الريفية او الحضرية القديمة.

---

1) د/فاخر عاقل: التعلم ونظرياته : دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان 1967

2) FORVAL (J.); **Introduction à la psychologie de l'environnement.** P. MARADAGA , Bruxelle, 1988, p56 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستبعد من جهتنا استعمال نفس المفهوم لتوضيح ما آلت اليه أوضـــاع المساحات بين البنايات في الاحياء السكنية بمدينة بومرداس. توضح ملاحظاتنـــا الميدانية كيف تعم ظاهرة اهمال هذه المساحات على مختلف الاحياء وعلى مختلف الفئات الاجتماعية. يساهم الافراد باختلاف سنهم وجنسهم ومدة اقامتهم في تجسيد هذه الوضعية

فاذا انتقلنا من حي سكني الى آخر فاننا نلاحظ نفس الاضطراب والفوضى يعم جوانب هذه المساحات بين العمارات. فلا يتبع مدّة الاقامة بهذه الاحياء أي خبرات متعلقة باستعمال الممرات والفسحات المغروسة وملاهي الاطفال ومواقف السيـارات يخضع استهلاك الافراد والعائلات لهذه المساحات الى مبدا الاخذ دون العطاء، يأخذ السكان من التجمعات السكنية ولا يقدمون ما تتطلبه الحياة الجماعية في هذه الاحياء من شروط مدينية .

تنتهز النساء من الفئات الاجتماعية الشعبية عوامل حرارة الشمس وسعــة المساحات الحرة وامكانية المراقبة من الشرفات لكي تقوم ببعض الاشغال المنزلية بهذه المساحات. تعتبر هذه العوامل هي العناصر الاساسية لحيازة المجال في النظام الاجتماعي السابق.

لا يمكّن مفهوم الخبرة من تفسير الاضطراب الذي يحدثه نمط حيازة السكان وفق العوامل النفسية الاجتماعية التابعة للنظام السابق. تعمل هذه العوامل بطريقة لا شعورية وتوجه سلوكات الافراد والعائلات بغضّ النظر عن الابعاد المعمارية للمباني السكنية التي يقيمون بها ولا بمستواهم الاجتماعي الاقتصادي ولا التعليمي. نوضح هذه الفكرة بالملاحظات التابعة لحيازة سكان الحي الجديد المخصص للاطارات لنفـــس الفسحات بين العمارات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.3 - استعمال الفسحات الحرة بين البنايات في الحي السكني الجديد المخصص للاطارات

ملاحظة 1: يفضّل سكان الحي الجديد التوقف بسياراتهم بالأماكن القريبة من المساكن والبنايات. يتمّ ذلك في الكثير من الاحيان على حساب الفسحات المفروسة وممرات الراجلين. يبرّر سكان الحي هذه العملية بانعدام الامن اذ يمكنهم هـذا السلوك من مراقبة سياراتهم بسهولة من الشرفات والنوافذ. تبقى اغلب مواقف السيارات المحيطة بالبنايات فارغة (حالات مواقف السيارات المحاذية للعمارات 49، 50، 51 52..) يخصصها الاطفال للعب .

ملاحظة 2: شاع خبر تقديم مبالغ مالية للمساهمة في مشروع تبليط المساحات العارية بين البنايات في الحي الجديد. تدفع كل عائلة مقدارا ماليا يناسب عدد الغرف في المسكن. سجلنا بهذه المناسبة ردود الفعل التالية :" كيف تريد أن ادفع مبلغا من المال لصالح مشروع لم يتم استشارتي فيه." ."لا ادفع أي سنتيما واحـدا لصالح هذا المشروع لأن هناك اموالا مخصصة لهذا الغرض هذا الى جانب انني ادفـع الضرائـب.

ملاحظة 3: تمّ الشروع في تبليط الفسحات الحرة بين العمارات بالحي السكني الجديد بعد ان اتلف جلّ المساحات المفروسة به . فضّل بعض السكان ان تبقى بعض المساحات المحيطة ببناياتهم عارية ليتمكنوا من غرس بعض الشجيرات والازهار بها. وافق المنجزون على ذلك. بقيت تلك الفسحات اماكن تتجمع فيها الاتربة والطين ولم يستعملها السكان لأي غرض معين. (حالات الفسحات القريبة من العمارات 52، 53،62)

تبرز الملاحظات الميدانية كيف آلت أوضاع المساحات بين البنايات في الحي الجديد المخصص للاطارات الى نفس الاوضاع التي تعرفها المساحات الحرة في الاحياء السكنية الشعبية . يتم ذلك رغم الطموحات المعلنة من قبل بعض الشرائح الاجتماعية المقيمة بهذا الحـي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدرك الاطارات بالحي السكني الجّديد اهمية المحيط السكني في استقرارهم وتجديد نشاطهم وراحتهم لأنهم اكثر الافراد حاجة الى الشروط البيئية والنفسية الاجتماعية المناسبة لطبيعة اعمالهم ومجهودهم الفكري. يوجد من بينهم العديد من الاساتذة والمسيرين والباحثين، ورغم ذلك بقي نمط حيّازتهم للفسحات العامة خارج المساكن وداخل الاحياء لا يحقق هذه الغايات .

تضهر عملية اتلاف المرافق المعمارية العامة خارج المساكن وداخل مختلف الاحياء بمدينة بومرداس كظاهرة بيئية واجتماعية قاهرة شأنها في ذلك شأن الفعل الاجتماعي كما يميزه ا. دوركايم عندما يبعد الخاصيات النفسية في تفسير الظواهر الاجتماعية (1). يفضل بعض الباحثين استعمال مفاهيم الاندماج والتوافق لتفسير مظاهر الاضطراب في الحياة السكنية بالاحياء الحديثة. يعيدون ذلك الى صعوبة اندماج السكان بالتجمعات المدينية اما لنقص خبراتهم او لحداثة اقامتهم ويهملون فعالية الابعاد النفسية الاجتماعية والثقافية التابعة للنظام السكني السابق.

نستعمل من جهتنا مفهوم الامتثال لتفسير نمط حيازة السكان للمساحات السكنية خارج المساكن وداخل الاحياء. نعني بهذا المفهوم تنظيم سلوكات الافراد والعائلات وفق سلسلة من العناصر النفسية الاجتماعية التابعة لنظام السكن الريفي او الحضري التاريخي. يتضمن هذا المفهوم جانبا لا شعوريا تتميز به فعالية هذه العناصر عند استعمالها من قبل السكان في علاقتهم بمحيطهم السكني. بيّنا الى حدّ الآن أهمية هذا الجانب واهمية انعدام الامن والتعارض بين الحيز الخاص والحيز العام في تشويه واجهات المساكن والبنايات. اشرنا كذلك الى مراقبة المكان وحيازته من الداخل وتأثير ذلك على استعمال سلاليم ومداخل العمارات واهمال الفسحات الحرة بين العمارات.

يمكن ان نميّز بين امتثال تفرضه عناصر نفسية اجتماعية تابعة للنظام الاجتماعي السابق وامتثال تتطلبه الابعاد المعمارية للبنايات السكنية الجديدة. يقيّد الامتثال الأول الفكر والسلوك ويفرض لا شعوريا على الافراد والعائلات نمطا معينا لحيازة المساحات السكنية. يتمّ ذلك بغضّ النظر عن الخاصيات الفردية والمستوى الاقتصادي

1) DURKHIEME (E.): Les régles de la méthode sociologique. PUF, Paris 1968, p.17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعليمي للسكان. يفرض الامتثال الثاني حدا معينا من المشاركة العامة وشروط التجمع والسكن لتحقيق التحضر. لاحظنا ميدانيا كيف يعمل الافراد والعائلات وفق ما يمليه الامتثال الأول على حساب الامتثال الثاني. يعبّر السكان بذلك عن رفض عميق للرموز والمعاني التي تحملها الابعاد المعمارية للبنايات السكنية الجديدة، أي رفض لكل جديد يمكن ان يحدث تغييرات في النظام الاجتماعي وامتثال لكل قديم من شأنه ان يحقق شعوريا أولا شعوريا حدّا من الامن والاستقرار.

يعتبر سليمان مظهر هذه الخاصية كميزة اساسية في النظام الاجتماعيالتقليدي ويضيف قانونين اجتماعيين متعلقين بالعلاقة بين هذاالنظام والمحيط الطبيعي. يشير الكاتب الى ذلك بقوله: "يتجنب كل عمل موجه نحو المحيط اثارة اي اضطراب من شأنه ان يؤثر في السير العادي للمجتمع ويتطلب الموافقة المسبقة لتحديد انعكاساته." يفسر سليمان مظهر هذاالقانون بالاخطار التي تنجر باستمرار من هذاالمحيط. تؤدي من جهة أخرى: " المراقبة الوحيدة التي يفرضها النظام الاجتماعي على النشاط العائلي الى اعادة الافراد لنفس السلوكات التي تحقق لهم اكبر قدر من الامن وعليه فهميعيدون في كل مرة نفس النظام الاجتماعي"[1]. نصف الاستعمال الجماعي للمساحات السكنية الجديدة انطلاقا من هذه المباديء بالامتثال الجامد نعيد فعاليته الى العائلات.

تشكل هذه الاخيرة المستفيدة الأولى والمستعملة الرئيسية للابعاد المعمارية للبنايات السكنية في الاحياء الجماعية. تعتبر في نفس الوقت المخبر الاساسي أين تحدّد السلوكات وتوجه المواقف والافكار الاكثر ارتباطا بالنظام الاجتماعي السابق. فالى جانب التعارض بين امتثال السكان للابعاد النفسية الاجتماعية التابعةللنظام الاجتماعي وامتثالهم لشروط التحضّر الجديد، تجسد العائلات نظاما تربويا مواجهاالنظام التربية الذي تسعى الهندسة المعمارية الحديثة اى تحقيقه. يتفق الكثيرمنالمعماريين الاجتماعيينعلى الفعل التربوي في المخططات الهندسية للبنايات والمساكن[2]. تعتبر هذه المخططات ابداعات فردية أو جماعية، تكون على شكل تصوّرات ثم تتحول تدريجيا لتصبح حقيقة موضوعية.

---

1) سليمان مظهر . نفس المرجع السابق، ص:32

(2

2) EPRON (J.P); Architecture et régle, éssaie d'une théorie des doctrines

اذا كانت التنمية في مجال السكن قد جاءت بنماذج سكنية جديدة فانها تهدف الى تحقيق تحوّلات عميقة في بنية العائلات وفي نمط تفكير افرادهـــا وفي تصوراتهم الاجتماعية . فضلنا اعتبار كل التحويلات التي يدخلها السكان على الابعاد المعمارية للمساحات السكنية بالهندسة المعمارية المضادة (**Contre architecture**) تهدف هذه الاخيرة كما رأينا تحقيق أمن وهمي او حقيقي واستقلالية عائلية خادعــة بوضع حواجز مختلفة بين الحيزين الداخلي والخارجي بين الحيز الخاص والحيز العام. حاولنا أن نوضح ا كيف تشوه تلك الحواجز التناسق المعماري العــام.

يعــبر قيام هذه الهندسة المضادة على مدى فشل العمران الحديث على الاقل في تطبيقاته على السكن في المجتمع الجزائري. تعمل العائلات بواسطة الآليات النفسية الاجتماعية على عرقلة انتقال الفرد الجزائري من الحيز الداخلي الى الحيز الخارجـي ومن الحيز الخاص الى الحيز العام. يتم ذلك بواسطة فرض امتثال على حساب امتثـال آخر واقامة هندسة معمارية مضادة على حساب ابعاد معمارية حديثة. تعرقل العائلات من جراء ذلك انتقال الفرد من فرد في مجال عائلي الى فرد في مجال عام اي - كمــا يقول سليمان مظهر - من فرد الى مواطن حر (1).

==========================

سليمان مظهر نفس المرجع السـابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

تحليل نفسي اجتماعي لصعوبات قيّام الجوار في الاحياء السكنية الحالية

وضّحنا في الفصل السابق جانبا من جوانب فشل الهندسية المعارية الحديثة في تغيير الافكار والسلوكات التابعة لحيازة المساحات السكنية العامة خارج المساكن وداخل الاحياء وفق متطلبات وشروط السكن الحالي: كرعاية المحيط الخاجي وتوجيه الاطفال... ارجعنا هذه الوضعية الى فعالية سلسلة من العناصر النفسية الاجتماعية التي تغرس جذورها في أعماق نظام السكن في المجتمع الجزائري والتي كانت تتخذ من المجال الخارجي للمساكن حيزا خطيرا وغير آمن ولا يخضع التحكم فيه لأي تنظيم معيّن . لاثبات هذه الفكرة ركزنا في تحليلينا على ثنائيتين اساسيتين في الحيتة السكنية : داخل المسكن / خارج المسكن، الأمن/ انعدام الأمن لما لهما من تأثير شعوري ولا شعوري على علاقة الافراد والعائلات بالمحيط البيئي. استخلصنا، بعد تحليل الملاحظات الميدانية، أنه لم تفلح الآليات النفسية الاجتماعية التابعة لتقاليد السكن في توجيه استعمال السكان للمساحات السكنية وفق ما تتطلبه الاقامة الحالية من شروط ولم تنجح العصرنة في تغيير الافكار والسلوكات المتعلقة بحيازة المحيط السكني.

لا تؤثر هذه الوضعية على علاقة السكان بأقرب المساحات السكنية اليهم فحسب، بل تنعكس كذلك على العلاقة بين الحياة الخاصة والحياة العامة وعلى ما يتبعها من تفاعل اجتماعي ضمن الاحياء السكنية الحالية . لاحظنا هذا التأثير بشكل جليّ في طبيعة التعديلات التي يدخلها السكان على المساحات المشتركة . فقبل ان تكون هذه التحويلات وسيلة لوقاية الحيز الداخلي من الاتربة والغباركانت تهدف في كل مرة حماية الحيز السكني العائلي من انظار الغير وفضوله ومن اعتداءاته المحتملة او الوهمية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يضمّ الحيز السكني الخارجي وفق هذا التصور كل مؤشرات انعدام الامن، الذي يشمل الى جانب التفاعل بالغير، الاتصال بالمحيط الخارجي واستعماله. فبالاضافة الى حيازة الابعاد المعمارية وما ترتب عنه من اهمال وتدهور عام، تعرف الحياة الاجتماعية بالاحياء الحالية العديد من الصراعات والاضطرابات. ترتبط هذه الاخيرة بصعوبة ارساء نظام للقيم يعوض المعايير الاجتماعية والتقليدية التي كانت تنظم روابط الجوار والتعامل بين السكان، الامر الذي جعلنا نتساءل عن العلاقة الموجودة بين ما يتحكم في نمط حيازة السكان للمساحات العامة وما يوجه الحيوية الاجتماعية بهذه الاحياء. هل ما يوجّه استعمال السكان للشرفات والسلاليم ومداخل العمارات والفسحات بين العمارات هو ما ينظم التفاعل بين الافراد والعائلات؟ وما علاقة ذلك بالنظام الاجتماعي للاقامة السابق ؟

تتطلب الحياة السكنية اتزانا عاما في علاقات الافراد والعائلات بالمحيطين البيئي والاجتماعي. من المفروض ان يرميّ انجاز التجمعات السكنية الحالية الى تحقيق هذين الهدفين في آن واحد. عبّرنا عن انعدام الاتزان في الجانب الاول بالهندسة المعمارية المضادة (1)، في حين تعبر حدة الصراعات وضعف المشاركة العامة في الحياة السكنية، كما سنرى، على انعدام الاتزان في الجانب الثاني.

بدأت مسألة الاضطراب في الحياة السكنية نتيجة التحول في احدى مقوماتها الاساسية: اطار السكن، أي عندما ادخلت مخططات التنمية في مجال الاقامة نماذج سكنية حديثة متباينة مع النماذج السكنية الاصلية وذات أبعاد معمارية وثقافية جديدة لا تمدّ بصلة بالتراث المعماري المحلي. رغم ان الهدف من ذلك هو بناء مجتمع جديد واسرة جديدة وتكوين فردي جديد الآ اننا نعيش حاليا صعوبات تمنع تحقيق هذه الاهداف. وضحنا الى حد الآن جانبا منها بتقديم ما آلت اليه أوضاع المحيط السكني بأغلب التجمعات السكنية نتيجة التدهور والاتلاف العام بمساحاته المشتركة. لتعميق هذه الفكرة فضلنا متابعة واقع التفاعل بين الافراد والعائلات بحيين سكنيين بمدينة بومرداس لتوضيح ما اذا كان هذا التفاعل يسير وفق ما تتطلبه الاقامة الجماعية الحالية

---

1) وضحنا هذا المصطلح في الفصل السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من حسّ مدني ومشاركة عامة في الحياة اسكنية ام في اتجاه آخر؟ ما هو هذا الاتجاه؟
وما هي العوامل النفسية الاجتماعية التي يمكن ان توضحه ؟.

تتجلى الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية بين السكان بمختلف المظاهر يتسع مجالها باتساع العلوم الاجتماعية. لا نتعرض في هذا المجال الا للتحولات في مفهوم الجوار نتيجة استعمال السكان للحيز المشترك. نقصد بذلك الآليات النفسية الاجتماعية التي تمنع اقامة الروابط الوجدانية الاجتماعية وفق الشروط السكنية الجديدة: كالعلاقات الترفيهية والرياضية والثقافية... لا يأخذ السكان بهذه الشروط، مما يفرغ مفهوم التفاعل الاجتماعي بالاحياء الحالية من محتواه. تتحول من جراء ذلك علاقات الجوار الى تعاملات لا تحقق الحيوية في الحياة السكنية ولا تتخذ من القضايا التابعة للمحيط الخارجي للمساكن وداخل الاحياء السكنية جوانب معمارية واجتماعية متكاملة.

نعني بانعدام الاتزان في هذه الحالة الاضطرابات في التفاعل بين الافراد والعائلات بحيث يتدحرج هؤلاء من الحالة التقليدية لعلاقة الجوار والتعامل مع المحيط السكني الخارجي الى حالة ينعدم فيها أيّ تنظيم اجتماعي للحياة السكنية الحالية. فماذا يمكن أن تمثله هذه الوضعية؟ هل هي انعكاس لمعطيات التنمية في مجال السكن؟ أم هي امتداد لحياة اجتماعية تقليدية؟ أم ليست لا هذه ولا تلك؟ بقدر ما هي حياة سكنية مضطربة وفوضوية؟ للاجابة عن هذه الاسئلة نحدد مضمون الجوار في الحياة الاجتماعية التقليدية ثم نتابع صعوبات اعادة احياء هذا المفهوم ضمن العلاقات الاجتماعية في الحياة السكنية الحالية بحيين من احياء مدينة بومرداس.

1 - عناصر الجوار في نظام السكن السابق

وجه النظام الاجتماعي التقليدي الحياة السكنية وفق مباديء وقوانين تداولها السكان من جيل الى جيل وامتثلوا لها، كما لقوا فيها الأمن والاستقرار. لم يكن هناك مكان ضمن الحيز السكني الريفي او الحضري القديم الا وكان له دورا اجتماعيا معينا ولم تقم هناك علاقة بين الافراد والجماعات الا وخضعت الى نظام محكم وثابت من القيم والمعايير: كالعلاقات بين الجنسين وبين الراشدين والاطفال وبين السكان الاصليين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجانب ... أعطت هذه الوضعية نظاما اجتماعيا شاملا تداخلت فيه الابعادالمعمارية للمباني والمساكن بالخصائص الاجتماعية والثقافية ، حتى أنه يصعب، كما يقـــول سليمان مظهر، ايجاد بداية لمعالجة القضايا المتعلقة بهذاالنظامدون ربطها بالنظام الاجتماعـي ككـل.[1]

يمكن اعتبار عملية المحافظة على هذاالنظام في شموليته العنصرالاساســي في الحياة الاجتماعية التابعة لنظام السكن السابق. يتجسد ذلك بواسطة الامتثـال اليومي لجميع معايير هذا النظام والعمل بها وترسيخها في الذهنيات والسلوكـات. تفسّر هذه الحالة سبب اعادة بناء المساكن في نظام السكن السابق بنفس المقايـيس والابعاد الهندسية وتفسر كذلك سبب تقديس المحيط الخارجي ونظام الجوار والتعامل بين السكّان. نبرز عنصرين من عناصره الاساسية : التعاون والمراقبة الاجتماعية .

1:1 ـ التّعـــاون:

في غيّاب السيطرة على الطبيعة وفي غيّاب تحقيق الحاجات الفردية بواسطة التقنيات الحديثة ، بقيت الندرة ظاهرة اقتصادية ميّزت النظام الاجتماعي السابـق. ادت الى استحالة العيش خارج الجماعة بحيث اصبحت كثرة السواعد وقوّتها العناصر الهامة في تأمين الحاجات الخاصة واصبح اي تجمّع سكني ـ قبيلة أو عشيرة أو حـــي سكني قديم ... يحقق الى جانب أمن الافراد تبادل المصالح الخاصة . اذن يشكل التقارب الفيزيقي للمساكن والبنايات في التجمعات السكنية التقليدية عنصرا معماريا ثريـا بالمعاني الاجتماعية والثقافية . يرى فيه الكثير من الباحثين انه تجسيد للتحالـــف والتعاون على المكان.

يتداخل كل من مفهومي الجوار والتعاون لكي يعبرا عن قانون اجتماعي واحــد. فمثلما يمكن للفرد ان يصل الى أدنى نقطة من الحي بواسطة انتقاله من مسكن الى آخر ومن حوش الى حوش ومن جدار الى جدار... فانه يمكن ان يصل ايضا الى تحقيـــق حاجاته الخاصة بواسطة التعاون واستعمال العلاقات العاطفية الاجتماعية أي بالانتقال

1) سليمان مظهر: نفس المرجع السابق، ص 49

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ساكن الى آخر ومن عائلة الى أخرى ومن قريب الى آخر.. تمكّن شبكة العلاقات العائلية والاجتماعية من تحقيق هذا الانتقال وتحقيق هذه الحاجات .

يجسد الجوار في الحياة التقليدية الى جانب العلاقة فرد/ جماعة. جماعة/ جماعة، درب / درب ، حي/ حي... منظما بذلك روابط السكان في نسيج من العلاقات الاجتماعية المتكاملة مع حاجاتهم من جهة ومع المقاييس الهندسية السكنية من جهة أخرى.

تتميز هذه الروابط بنظام من القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية التي تمكن الى جانب تماسك الجماعة تحقيق استقرارها الاجتماعي والبيئي. نذكر من ضمن الآليات النفسية الاجتماعية التي تؤدي هذه الوظائف: المراقبة الاجتماعية.

2.1 - المراقبة الاجتماعية :

يشكل انعدام الأمن ظاهرة بيئية واجتماعية في نظام السكن ... السابق. تدل مختلف الجدران والحواجز المحيطة بالمساكن على الاهمية الاجتماعية لهذه الظاهرة. لم يؤثر انعدام الامن على سلوك البناء فحسب، بل نجده عنصرا من عناصر توجيه التفاعل الاجتماعي خارج المساكن وداخل الاحياء. كان المجال الخارجي مصدرا للاخطار المختلفة ولم يتوفر للنظام الاجتماعي التقليدي وسائل لضبط والتحكم في هذه الاخطار. انحصرت مواجهته في استعمال آليات نفسية اجتماعية كالتعاون والمراقبة... يمكن ان نحدد هذه الأخيرة بأنها عملية اخفاء لكل ما هو حسّاس، اذا ما وقع في يد العدوّ المحتمل، فانه سيلحق اضرارا حقيقية ليس على الفرد فحسب، بل على كل المجتمع. فالمراقبة بهذا المعنى اتجاها جماعيا لا يقدم فيه الفرد على مواجهة المجال الخارجي بقدر ما يعاني من هذا الاخير ومن تبعيته له.

تنحصر الموضوعات الحساسة في الحيز الداخلي وفي الحياة الخاصة، في المرأة وفي الأماكن المخصصة لها. إذن ترتبط المراقبة الاجتماعية بالمرأة لما لهذه الاخيرة من علاقة بالشرف والمسكن والحياة الداخلية. تتدحرج المرأة من جراء ذلك بين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقديس وانعدامه . تتصف في البداية بالمراقبة والتحريم ولا تصل حالة التقديس الآ عند مرحلة متقدمة في السن وبعد ان تكون قد اصبحت أما تسيطر على الحياة العائلية بشكل واضح وعلى الحياة العامة بشكل أقل وضوحا .ان الأم في النظام الاجتماعي السابق مقدسة والزوجة محرّمة وكلاهما يجعلان من المسكن مكانا خاصا يخضع الى المراقبـــة الاجتماعية ويرتبط بالشرف الذي يدافع عنه كل عضو من اعضاء الجماعة التي تشتـــرك في حيازة المكـــان.

يتميّز موضوع التقديس بقوّة خارقة يصفها ج. شلهود بالطاقة الشبيهة بالتيـار الكهربائي الذي لا تبدو فعالية الاّ من خلال اثاره [1]. للاماكن السكنية علاقة بالجـوار وبالحرام وبالمرأة وبالمراقبة الاجتماعية . تعتبر المرأة المقيمة والمستعملة الرئيسيـة للحيز السكني، ممّا يجعل من الحياة العامة فحسب، بل تخضع العلاقة بين الحيزالداخلي والحيز الخارجي الى سلسلة من المعايير والقيم الاجتماعية . تمتد هذه الاخيرة لتشمل العلاقة بين الجنسين، فالمرأة ، كما يقول علي زيعور : " محرمة وهي حرم فلان أي بيته المحرم والحرام دخوله ..." [2]. نفس الارتباط اشار اليه كارمل كاملري عندما لاحـظ ارتباط المقدس بالمرأة وبالحيز الداخلي للمسكن. مما اعطى كما اضاف الكاتـــب : تعارضا بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي وانحصار المرأة على نفسها لحمايتهـــا من الغـــير ..." [3].

يصبح أي مكان محرما اذا تحوّل من حيّز يعتقد أنه تقيم به أرواح خفية الى حيّز عائلي لا مجال فيه الا للمرأة ، يخضع الدخول اليه والخروج منه الى المراقبة ونظام القيم . تحافظ اذن الاماكن السكنية عن طابعها المحرم ، يسود الاعتقاد بأن أرواحا تراقـــب مداخلها . يتفق هذا مع ما ذهب اليه ج. شلهود بأن عملية التقديس أساسية في المجتمعات العربية لأنها تشمل موضوعات عديدة [4].

I) **CHELHOUD (J.): Les structures du sacré chez les arabes . GP.Maisonneuve et larose. Paris 1964 P. 36 .**

2) علي زيعور: التحليل النفسي للذات العربية .دار الطليعة ، بيروت1977، ص 43

3) **CAMILLERI (C.): Jeunesse, famille et développement, essai sur le changement social. CNRS,73**

4) شلهود (ي): نفس المرجع السابق، ص 46

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتميّز التقديس بالغموض ويلجأ اليه الافراد والجماعات لتعويض ضعف تحكمهم في العديد من القضايا المتعلقة بالمحيط وبالانسان على حدّ سواء.

ان ما يجعل المكان محرّم هو وجود المرأة به وتحريم هذه الاخيرة عملية تابعة لقضايا جنسية واقتصادية واجتماعية اساسية في النظام الاجتماعي السابق، مما يجعلها محور المراقبة المستمرة. لا تنحصر هذه المراقبة وهذا التحريم على المرأة فحسب، بل تشمل الى جانب ذلك نظام التعامل والتفاعل معها. تخضع هذه الجوانب الى عملية التقديس وتتحكم فيها معايير الحلال والحرام ويجوز وما لا يجوز .

يتبع أي تقديس للأماكن المخصصة للمرأة وللسكن عمليات التجنيس والتحريم والمراقبة الاجتماعية. يفضل علي زيعور ان يتحدث عن الغيرة لتفسير سبب حصر المرأة ضمن الجدران الأربعة وضمن قواعد المراقبة الاجتماعينة. يعيد الكاتب هذه الخاصية الى طبيعة العلاقات الجنسية السائدة بين المرأة والرجل في النظام الاجتماعي.تتميز هذه العلاقات بمخاوف الخيانة وتزداد شدة لدى الرجال الى درجة، كما يقول الكاتب: " تجعل الباحث يقدمها على أنها اتجاه مألوف وشائع. يخفف الرجل العربي من غيرته هذه بأن يؤمن لزوجته الاشباع الجنسي. لذا يهتم بهذه الناحية الى حد غير معقول وعلى حساب نواحي أخرى وقد يصل الى عكس ما يرمي اليه والى متابعة النفور الجنسي... "(1).

تجنّس المرأة الى جانب الحيز المخصص لها كل العلاقات الجنسية الغيرية القائمة بينها وبين الآخرين، تؤهلها المراقبة الاجتماعية للقيام بالعلاقات الجنسية الشرعية والانجاب وتجديد الطاقة البشرية والمساهمة في اقتصاد الاسرة .تعد هذه العمليات أساسية في الحياة الاجتماعية السابقة مما جعل حياتها تحاط بالمراقبة والسرية والغموض.

---

1) علي زيعور: نفس المرجع السابق، ص 64

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت المراقبة الاجتماعية والتعاون آليتان تميّزان الحياة السكنية وتتجسدان بشكل فعال في علاقة الجوار حتى اصبحت هذه الاخيرة لبنة اجتماعية قوية تدعـــم الروابط بين الافراد والعائلات في التجمع السكني الواحد.

2 ـ صعوبات قيام الجوار في نظام السكن الحالي:

1.2 ـ تجربة علاقات الجوار بين سكان الحي الشعبي

تمكننا عن طريق اسرتين تربطنا بهما علاقات صداقة وأصل جغرافي مشـــترك من الدخول الى هذا الحي والخروج منه والاستماع الى أراء السكان وتسجيل ملاحظات ميدانية حول علاقات الجوار بين الافراد والعائلات. شملت هذه الملاحظات المحـاور التالية : ممارسة المراقبة الاجتماعية والتعاون .

1.1.2 ـ ضعف المراقبة الاجتماعية :

تشكل النوافذ والشرفات أماكن مناسبة لممارسة المراقبة على الحيّز الـذي تشرف عليه عمارات الحي السكني الشعبي. تكون هذه البنايات ثلاث مساحات تربط بينها ممرّات للراجلين وأخرى للسيارات. يتمكن سكان العمارتين 11 و 12 من مراقبة الساحة الممتدة على جانب الطريق الرئيسي، في حين يراقب سكان العمارات 8، 9 و 10 الساحة المركزية للحي، يراقب سكان العمارات 13، 14 و 15 المساحات الممتدة بينهـا.

لمجرّد الوقوف بجانب الشرفات والنوافذ يمكن رؤية ما يحدث بالساحـــات الممتدة أسفل العمارات والمساكن، كما يمكن اجراء نفس المراقبة من الشرفات والنوافذ ووراء الستائر. تقوم النساء بمهمة المراقبة وخاصة عندما يتـعلق الامر بمتابعة الحيوية الاجتماعية خارج المسكن وداخل الحي الشعبي، كمتابعة حركة الجيران في الدخــول والخروج وترقب قدوم الشاحنات لتوزيع بعض المواد الاستهلاكية :الحليب، المشروبات..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظة 1: سارع الاطفال الى شاحنة توقفت بالساحة المركزية للحي عندما لاحظوا أنها تحمل شعار احدى المؤسسات العامة. فلما وصلوا اليها وجدوا أنها تابعة لأحد الجيران جاء بها لقضاء حاجته بالحي. نفس السلوك قام به الاطفال عندما لاحظوا وصول شاحنة لتوزيع المواد الاستهلاكية النادرة.

ملاحظة 2: وصل الكثير من الاباء سن التقاعد واصبحوا لا يغادرون المساكن والمساحات القريبة للحيّ الآ نادرا، يتجمعون بالقرب من العمارات، يعرفون الأماكن التي تتميز بالرطوبة صيفا وبالدفء شتاء. يستقرون بهذه الاماكن وهم يراقبون الحيز السكني للحي.

ملاحظة 3: فضلنا أخذ بعض الصور من واقع اهمال المحيط السكني للحي الشعبي. اخترنا لانجاز هذه العملية اوقات العمل. التقطنا الصور الأولى تحت مشاهدة بعض النساء من الشرفات وعندما عدنا للمرة الثانية للقيام بنفس العملية لاحظنا أحد السكان ونحن نقوم بالتصوير. لم يواجهنا أو يطلب منّا استفسارا معينا، اتجه الى ادارة ديوان الترقية والتسيير العقاري ليتحقق. التقينا به هناك ووضّحنا له مهمتنا.

نستخلص من هذه الملاحظات كيف يمارس السكان المراقبة على المساحات السكنية خارج المسكن وداخل هذا الحي، فهي تلقائية لدى أغلب سكانه بحيث تنطلق من تصورهم بأن المحيط الخارجي مصدرا للاخطار والكوارث. لا تزال العناصر النفسية الاجتماعية التي كانت تقوم عليها المراقبة الاجتماعية في النظام الاجتماعي السابق حية في ذاتية الفرد في الحي السكني الشعبي وخاصة تلك التي تتعلق بأمن الافراد والعائلات. لا يزال انعدام الامن ومراقبة الحيز السكني من العناصر التي تميّز الحيوية الاجتماعية في الحي الشعبي. تسهل مهمة اكتشاف الغريب عن الحي وحتى مراقبة سلوكاته واتصالاته. يكمن الفارق بين المراقبة الاجتماعية في نظام السكن السابق وفي الاوضاع الحالية في شمولية هذه المراقبة في النظام الاجتماعي التقليدي في حين لا تتجاوز في الاحياء الحالية تحقيق بعض المظاهر الشكلية والمحدودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتمّ المراقبة الاجتماعية دون ان يتبعها أي تغيير في السلوكات وهذا يفسر عدم مواجهة القضايا المتعلقة بالعالم الخارجي المحيط بالحياة السكنية . تصبح المراقبة كآلية نفسية اجتماعية - شعورية أو لا شعورية - يوضفها الافراد لتحقيق أمن حقيقي أو وهمي يلازم السكان في تعاملهم مع الغير ومع المحيط الخارجي على حدّ سواء. فما هي دوافع احياء المراقبة الاجتماعية لدى بعض السكان في الحي الشعبي وفق هذا التصور وضمن اطار سكني حديث ؟

نعنيّ بالمراقبة دون المواجهة تلك السلوكات والمواقف التي يتخذها الافراد والعائلات في علاقاتهم بالمحيط البيئي والاجتماعي بما يتفق وحاجاتهم الخاصة دون احاث اي تغيير يؤدي الى المشاركة العامة في الحياة السكنية . نحاول ان نوضع هذا الاثبات بالملاحظتين التاليتين من الميدان .

ملاحظة 1: اختفت مصابيح الانارة الكهربائية من سلم احدى عمارات الحي السكني الشعبي بعد أن أعادها (م .) بمناسبة احيائه لحفل زفاف ابنته . استنكر هذه الظاهرة متجاهلا مصدر هذا التلف لأن الاطفال المقيمين بنفس البناية كانوا سببا في هذا الاتلاف ولا يمكن ذكر اسماءهم تقديرا للجوار والتقارب. مما جعل من الساكن (م .) يردد حول هذا الموضوع:" هاك تعرف، دائما نفس الاشخاص، نفس السلوك: الاتلاف، الاتلاف، الاتلاف..."، وعلى المستمع لهذا الحديث ان يفك الرموز والمعاني لكي يحصل على الحقيقة .

ملاحظة 2: عندما أراد أحد الجيزان ان يدعو الساكن الذي قام بتعديلات بمسكنه لكي يزيح الاتربة وبقايا الآجر والاسمنت من وسط ساحة الحي. لم يتصل به مباشرة فضل أن يحدّث اقرب السكان اليه . يعود سبب ذلك الى حداثة اقامة هذا الساكن الاخير في الحي، لممارسة الضغط عليه من خلال علاقة الجوار، الامر الذي دفعه فعلا الى التخلص من كومة القمامة من الساحة بعد أن أتلف الفساحات المجاورة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستخلص من الملاحظتين كيف تستطدم المعايير الاجتماعية والثقافية التقليدية بالواقع المعماري والسكني الحالي بحيث يسود التحفظ والغموض الروابط الاجتماعية بين السكان في حين كان الجوار علاقة واضحة يمتثل لها الافراد والعائلات ويحدون فيها راحتهم و استقرارهم . لا يمكن، في الاوضاع السكنية الحالية محاورة النساء بطريقة رسمية رغم اعتبارهما كطرفين أساسيين في تدهور الحياة السكنية . تمنع آلية المراقبة وتقديس الجوار من ابراز وتناول المواضيع المتعلقة بالحياة الخاصة او الداخليـة . يؤدي ذلك الى وقوع سلوكات فوضوية وهدامة للمحيط البيئي والاجتماعي. فبعد اكتشاف حالتين للمخدرات وضبط العديد من حالات السرقة في وسط شبان الحي لم يبق لمفهوم الشرف المعنى الاجتماعي التقليدي السابق. يحافظ السكان على الحد الادنى من التعامل يسمح لهم بتبادل المصالح الخاصة والتعاون في حدود ضيقة ليميزوا بذلك حياتهم السكنية بالحي بانعدام القيم والمعايير الاجتماعية وبالفوضى.تدعم هذا الاثبات بالملاحظات الميدانية المتعلقة بالتعاون بين السكان.

2.1.2 ـ حدود التعاون:

لا يهدف التعاون في النظام الاجتماعي السابق تحقيق انتاج الوفرة لأنه لا يمكن تحقيق هذا الاخير في ظروف اقتصادية متخلفة وبتقنيات ضعيفة . تسود في هذا النظام تصورات اجتماعية لا تكرس العمل لضمان المستقبل من الجوانب الاقتصادية ، بقدر ما تهدف الى ارساء قواعد اجتماعية ثقافية تحافظ على تماسك الجماعة واستقرارها وأمنها ، بتقديس الشرف والجوار والمساواة في تحقيق الحاجات الخاصة (1).

يحقق الفرد حاجاته الخاصة بانتمائه لجماعة معينة دون ان يكون للعمل المنتج ـ بالضرورة ـ هو الذي حقق له تلك الحاجات. لا تتظافر الجهود لتحدث تغييرات في المحيط او لتتجاوز المشاكل المطروحة أمام تحقيق انتاج الوفرة فحسب، بل تسعى وتتجه هذه المجهودات، كما يقول سليمان مظهر، نحو تحقيق توزيع سويّ لما تقدمه الندرة من موجودات ومراقبتها . تفسر هذه الوضعية لماذا يطغى الجانب الوجداني الاجتماعي على الجانب الاقتصادي اللذان بدورهما يسودهما ، كما يضيف الكاتب الجانب الثقافي. تتبع بالتالي ظاهرة الندرة التي تميّز هذا النظام عناصر نفسية اجتماعية تغطي وتعوض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضعف في ممارسة التحكم في المحيط كاستعمال التعاون والتحالف والصراعات...
تتصف الحياة الاجتماعية انطلاقا من هذه العوامل بالتبعية لأن تحقيق مثل هـــذه
الحاجات يفرض روابط وجدانية اجتماعية متميزة بالسيطرة والخضوع والولاء والتضحية
وذوبان الفرد ضمن الجماعة .

اذن فبقدر ضعف الاقتصاد وتخلف تقنيات العمل تتظافر الجهود وتـــزداد
الخلافات وتتقلّص الجماعات وتتصف العلاقة بالمحيط وبالغير بالعداء والخداع وانتهاز
الفـــرص

لا تزال الندرة مظرا من مظاهر التخلف في المجتمع الجزائري ولا تزال تحدث
اضطرابات في سلوكات الافراد والجماعات.تفتك الندرة بالاتزان العام للحياة الاجتماعية.
اذا كانت الندرة سببها في النظام الاجتماعي التقليدي ضعف الاقتصاد وتخلّف التقنيات
فان عصاب الندرة في المرحلة الحالية من تطور المجتمع أساسه الاعتماد على الانتاج
الاجنبي بحيث يصعب التحكم في تدفقه المستمر وتوزيعه المنظم .ان العلاقـــات
الاجتماعية بين السكان وتعاونهم تابع لهذه العوامل وتابع لآليات التخلف بصفة عـامة .
نوضّح ذلك بالملاحظات الميدانية التالية :

ملاحظة 1: بدأ الشاب(غ.) يشتغل حديثا بالمركز التجاري القريب من الحي
السكني الشعبي. ابتهج والداه كثيرا بهذا المنصب وبالخدمات التي سوف يقدّمهـا
من حين لآخر الى الجيران.لكن عندما تكون البضاعة مفقودة ويكون توزيعها محدودا،
فانه يفضل ان يقدمها لوالدته التي تبيعها من جهتها مثلما تشاء ووفق المصالح والخدمات
التي تقدمها المستفيدة . فمقابل مدفأة للتسخين جاء بها لأحد الجيران تحصل الشّاب
على العملة الصعبة بتحويل موازي مقبول وسافر الى الخارج في الصائفة الماضية .

ملاحظة 2: دخلت دكان الحي برفقة أحد الجيران وهو موظّف بمؤسسة الجمارك
وكان يرتدي البذلة الرسمية .اقتنينا مثلجات وعند تقديم ثمنها رفض صاحب الدكـــان
استلام المبلغ عدّة مرّات امام الحاحنا . عندما غادرنا الدكان اخبرني الموظـــف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الجمارك بأن صاحب الدكان قد حدثه عن ملف استيراد معدّات التبريد ويـــودّ مساعدته، لأنه جاره من جهة وقدّم لنا مثلجات مجانا مـــن جهة اخـرى.

يمكن ان نضيف العديد من الملاحظات من واقع التفاعل بين السكان في الحي الشعبي. لا تقدم هذه الملاحظات كيف يحقق الافراد والعائلات مصالحهم الخاصة فحسب، بل توضح كذلك جانبين رئيسيين في توجيه الحياة السكنية :يتمثل الجانب الأولفي استعمال المعايير النفسية الاجتماعية التابعة للنظام الاجتماعي السابق. يتخذ هذاالاستعمـال طابعا خادعا وشكليا وهذا هو الجانب الثاني بحيث يهدف السكان من وراء استعمـال هذه الآليات النفسية الاجتماعية تحقيق أغراض خاصة على حساب الحيوية الجماعيـــة.

ان الفئات الاجتماعية الشعبية اكثر الفئات حساسية للقضايا الاقتصادية عند ندرتها لأنها تبدي، كالفئة المتوسطة والعليا زيادة في الاستهلاك وفي الطلب رغـــم ضعف امكانياتها المادية. تعوّض هذه الفئة النقص بتوظيف العلاقات الوجدانيـــة الاجتماعية والجوار لتحقيق حاجاتها الى الاستهلاك، ممّا يجعل من ظاهرة التبعيةلديها قوية وظاهرة التعاون بين أفرادها وبين عائلاتها مطلبا مستمرا.

تتضح هذه الظاهرة في عملية تبادل بعض السلع والمواد المنزلية بينالعائلات فلمجرد ندرة بعض المواد الاستهلاكية تلجأ النساء الى الجيران لاقتنائها وكأن ذلـك حق مشـــروع.

لا تفرّق العديد من الاسر الحالية بين السلع التي يجوز طلبها من الجـــيران والتي لا يجوز. الى جانب ذلك يمكن ان نشير ان اغلب العائلات لا تلجأ الى طلـــب المساعدة من الجيران لأن ليست لها امكانيات اقتناء الحاجات فحسب، بل لأنالعديد من هذه السلع التي تطلبها مفقودة ولا تعرف تدفقا منتظما في السوق. نكون بذلـك امام احتمالين اما أمام عائلات تختزن السلع وأخرى تطلبها منها، وامّا امام ندرةعامة للسلع تخشى العائلات من ان يؤدي تقديم جزء منها الى الجيران الى اضطـــراب في استهلاكها. يصعب في الحالة الأولى معرفة الاسر التي تختزن السلع من الـــتي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تختزن والتي تحتاج حقا مساعدة ويصعب في الحالة الثانية تقديم المساعدة وتبادل السلع والحاجات، لأن أغلب الاسر تميل في هذه الحالة الى اخفاء السلع وعدم تقديمها عندما يطلبها منها غيرها . يكون التعامل بالنفي سلوكا غامضا وسلبيا ولا يؤدي الجوار من خلاله وظيفته الاجتماعية .

يفقد الجوار في هذه الحالة الدعم الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يؤديه في النظام السابق ليصبح في الواقع المعاش الحالي مجرّد مظهر اجتماعي يصعب تمييزه عن التحايل والخداع .

يلجأ الافراد الى العلاقات الغير الرسمية حتى في أبسط قضاياهم، يستعينون بالجيران لتحقيق حاجاتهم الخاصة والتي تنظمها القوانين العامة كالحصول على الوثائق الادارية أو على الأدوية او مواد استهلاكية ... يصبح الهدف من استعمال الروابط بين الجيران هو مواجهة العالم الخارجي الرسمي والبيئي لتحقيق الحاجات المتزايدة للفئات الشعبية حتى ولو كان ذلك على حساب الحياة العامة

يكفي، كما يقول بعض السكان، معرفة اسم الموظف وانتمائه الجغرافي للوصول الى " استغلاله " لقضاء الحاجات الفردية على حساب القوانين العامة . تساعد الاقامة المشتركة بالحي مدّة مناسبة، من بناء العلاقات الوجدانية الاجتماعية التي تمكن من أداء هذه الادوار .فلا يوجد أحد بالحي الشعبي " بدون خيوط " اى بدون روابط تتحكم في اتجاهاته وسلوكاته : كالانتماء للاصل العائلي أو الجغرافي المشترك أو ينتمي للاتجاه الحزبي واللغوي او للجوار... المهم هو تحقيق الاغراض الخاصة بتنشيط هذه العناصر على حساب الضوابط الرسمية والعامة .

لقد تصل شبكة العلاقات الاجتماعية بين السكان في الحي الشعبي الى مستوى من التداخل والترابط تجعل من تعاون الجيران أمرا متعارضا مع متطلبات تنظيم المجال الخارجي. يساهم في تجسيد هذا الاتجاه الأولياء ثمّ يأتي دور الفئات الشابة لمتابعة نفس الاسلوب، يتم ذلك تحت الحاح الامهات اللائي يقضين اوقاتا طويلة في اعلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضهن عن قضايا الحياة المهنية والاجتماعية لأفراد عائلاتهن. يحدد الجيران انطلاقا من هذه المعطيات مصادر جديدة لبناء العلاقات الاجتماعية داخل الحي وخارجه واستعمال مفهوم " التعاون بين الجيران " لتحقيق اغراض تتجاوز الحياة السكنية الى الاحياء الأخرى.

2.2 - تجربة علاقات الجوار بين سكان الحي الجديد المخصص للاطارات

تشير ملاحظاتنا الميدانية ان اكثر الابعاد المعمارية للمساكن والبنايات اثارة للاضطراب واكثرها تعرضا للتحويل والتعديل هي المساحات السكنية المشتركة : كالشرفات والنوافذ وسلاليم ومداخل العمارات. اي بعبارة أخرى الأماكن المخصصة للاتصال والتقارب بين الافراد والعائلات .

لاحظنا في الفصل السابق كيف تتجه تحويلات لهذه المساحات نحو قطع كلّ اتصال ممكن بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي، بين الحياة الخاصة والحياة العامة محدثين بذلك تشويها بواجهات المساكن والبنايات.يجسد سكان هذا الحي، من خلال هذه التعديلات، لغة معمارية مضادة للمعاني والاهداف التي تسعى مخططات السكن الوصول اليها.

لم تقتصر عملية الاضطراب على المباني وواجهات المساكن، فالاهمال أصبح يعمّ جل المساحات السكنية للحي. وما يزيد للأوضاع تعقيدا واضطرابا هو حالة العلاقات الاجتماعية بين السكان. من المفروض ان تؤدي العوامل الاقتصادية ومستوى التعليم للفئات الاجتماعية المقيمة بهذا الحي من بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية المتميزة التي تسمح لهم بالازدهار والاندماج وحلّ العديد من الصعوبات البيئية والاجتماعية التي يعرفها حيهم. نوضح من خلال الملاحظات الميدانية التالية صعوبات قيام هذه العلاقات :

ملاحظة 1 : رغم وجود مجاري مخصصة لصرف مياه الغسيل، تفضل العديد من النساء المقيمات بالحي الجديد وخاصة اللائي يسكنّ بالطوابق الارضية ، التخلص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ماء الغسيل في اتجاه خارج المسكن وداخل الحي. تستعمل النساء في ذلك الشرفات والنوافذ. لتفادي اي خلاف بين الجيران، ينجز بعض السكان أشرطة من الاسمنت أو صفائح معدنية على امتداد الشرفات. تمنع هذه الحواجز تسرب الماء في اتجاه المساكن القريبة. يخلّف مجرى الماء المتسرب، بفعل الاستعمال المستمر آثارا على الجدران ويشوه بذلك واجهات المساكن والعمارات دون ان يلحق أضرارا مباشرة بالسكان.

ملاحظة 2: عندما أراد (ح.) ان يعبر عن استنكاره للاتلاف الذي أحدثه أحد ابناء الجيران بالمدخل الرئيسي للعمارة، لجأ الى حديث مطول وغير مباشر للتعبير عن ذلك. يمكن الحديث في شكلة ومضمونه من الاشارة الى اسم الشاب الذي قام بالاتلاف دون ان يثير ذلك اي اضطراب في علاقاته بوالد الشاب. نوضح هذه الفكرة بمضمون حديثه التالي:" انظروا الى هذه الكتابة كيف شوهت مدخل العمارة !". قال (ح.) ذلك متجها الى ساكنين كانا بجواره ومشيرا الى الكتابة بالفحم بأعلى مدخل العمارة السكنية التي يقيمون بها. تحمل تلك الكتابة شعار فريق رياضي.

أبدا الجاران اللذان كانا بجانب (ح.) دهشتهما وأثبت أحدهما أنه لم يلاحظ ذلك من قبل مضيفا ان هذه الكتابة ليست من فعل أطفال صغار السنّ. واصل (ح.) حديثه بكل تأكيد:" لقد عرفت منذ الوهلة الأولى صاحب الكتابة، ليس هناك شاب يقيم بالعمارة أشد مناصرة للرياضة من الشاب (أحمد. ابن ي) ! لقد واجهت والده بقولي: هل تعرف من كتب بمدخل العمارة بهذا الشكل؟ عندما اجابني بالنفي أخبرته بأن هذا العمل لا يصدر إلاّ من شاب مناصر لفريق مدينة الحراش، فهم الوالد ما اقصده وراح يبتسم دون أي تعليق". ضحك الساكنان اللذان كانا بجوار (ح.) وانصرفا من جهتهما دون أي تعليق.

تشير الملاحظات الى وجود رغبة لدى بعض السكان في الحي الجديد المخصص للاطارات لتفادي كل ما من شأنه أن يثير الاضطراب في علاقات الجوار بين السكان حتى ولو كان ذلك على حساب نواحي أخرى من الحياة السكنية كالمحيط البيئي. لتحقيق هذا الغرض، تشوّه التعديلات التي يحدثها الافراد والعائلات التناسق المعماري العام، حيث تعطي الصفائح المعدنية المستعملة منظرا قصديريا لواجهات المساكن والعمارات الحديثة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يتعرض السكان من جهة اخرى في لقاءاتهم الى الموضوعات التي يمكن أن تثير الاضطراب في عـلاقاتـهم اليوميـة . عندما يتعلق الامر باهمال المحيط السكـني فان الجيران يعيدون ذلك الى " الغير "، يكون هذاالاخير اما انسانا غريباعن الجماعة أو شخصا معنويا مجسدا في المؤسسات العمومية . لا يتطرق الحديث المتبادل بـين السكان الى دور الاطفال أو النساء، يبتعد بذلك السكان عن الاسباب الرئيسية لتدهـور محيطهم السكني ، يكتفون، كما رأينا ، بالمسائل الفرعية أو الثانوية . فتحريم المـرأة يجعلها بعيدة عن المناقشات بين السكان. تتخذ اجتماعات الجيران طابعا رسميـا يستحيل فيه التطرق الى المسائل المتعلقة بالحياة العائلية والخاصة . يعرقل هـذا الاتجاه معالجة القضايا المتعلقة بالمحيط السكني وبالتفاعل الاجتماعي.

يشكل الابتعاد عن اثارة الصراع بين الجيران الهدف الرئيسي لأغلب الافـراد والعائلات المقيمة بالحي الجديد المخصص للاطارات، تبقى العلاقات بين السكان شكلية ولا يشوبها أي تغيير حتى ولو كان ذلك على حساب المجال الخارجي والبيئي لأن الحذر كما يقال مطلوب والحاجة الى الجار محتملة في كل وقت.قد تضطرب العلاقات بـين الجيران بهذا الحي لمجرد تسرّب الماء أو ازعاج أو خلاف بين الاطفال ويستمرّ ذلـك الاضطراب فترة طويلة مما يجمد العلاقات بين السكان. اذن ففي كلا الحالتين لا تؤدي علاقات الجوار الى ارساء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تُحوّل الحي الى اطار سكنـي اجتماعـي متكامـل.

نستخلص انه عندما يتعلق الامر بالاختيار بين العلاقة بالمحيط السكنـي أو العلاقة الاجتماعية فان السكان يتجهون نحو تفضيل هذه الاخيرة دون اعطائها مضمونا اجتماعيا وسكنيا مناسبا مع شروط السكن الحديث .

فالى جانب حداثة البناء والاقامة تمنع عدة عناصر نفسية اجتماعية قيام الروابط الوجدانية بين الافراد في الحي الجديد، تخضع هذه العلاقات الى ضوابط تغرس جذورها في النظام العائلي أو العشائري السابق. لا يكفي التقارب الفيزيقي والاستعمال المشترك لاندماج الافراد والعائلات ضمن روابط اجتماعية جديدية . فلا التعاون ولا المراقبـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعية تدفعهم للقيام ببناء شبكة من العلاقات الاجتماعية . تساعد الامكانيـــات المادية والمستوى التعليمي من تجاوز هذه الحالة والاتجاه نحو تكريس الاستقلاليـــة الفردية والعائلية .

لا تعني هذه الاستقلالية مستوى ازدهار الفرد والعائلة في الحي الجديـــد المخصص للاطارات لأن ذلك لم ينعكس على مستوى حيازة المساحات السكنية وعلى نمط تملّك المحيط السكني. فالاستقلالية -في الواقع السكني بهذا الحي تعني العزلة والتهميش يجسد السكان من جرّاء ممارستهم للسكن المبدأ القائل " المهم تخطي راسي" وبذلـــك تزداد تبعيتهم للمحيط السكني والاجتماعي ويزداد عناؤهم من حالة تدهور المجال الخارجي. توضح ذلك بالملاحظات الميدانية التالية :

ملاحظة 1: عاد طفل صغير الى منزله يشكو من وجع بدبره . عندما فحصته أمه وجدت بمؤخرته التهابات وبسرواله بقايا مـني.

ملاحظة 2: لم تجد احدى النساء (عاهرة سابقة.) جارتها بالبيت عندما قامت بزيارتها من غير موعد مسبق. طلب الزوج الذي التقى بها بسلم العمارة ان تدخل المسكن رغم غياب زوجته وابنائه . فهمت المرأة غرضا جنسيا من دعوة الرجل، وردت عليه أن ذلك ليس بالامر السهل. سمعت امرأة أخرى هذا الحوار وروته لنا كما وردناه في هذه الملاحظـة .

ملاحظة 3: جاء في حديث احدى المقيمات بالحي الجديد أنها انسحبـــت، من طابور باحدى المراكز التجارية بالمدينة عندما أحست ان أحدا من الواقفين خلفها كان يلاحقها ويحتك بها اينما تحركت وفي أي اتجاه ذهبت. مما جعلها تنسحب من المركز التجاري مكرهـة .

ملاحظة 4: لاحظ العديد من السكان سيرة احدى النساء المقيمات بالحي عندما اصبح يتداول على مسكنها اشخاص مشبوهين وغرباء عن الحي. رغم كثرة القيل والقال حول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه المسألة فلا أحد من السكان تجرأ وطرح هذه المسألة في أي لقاء بين السكان وخاصة عندما يتناقشون في موضوعات المراقبة الاجتماعية والجوار والتعاون...

ملاحظة 5: رفضت امرأة الركوب بسيارة توقفت بجانبها عندما كانت متجهة نحو مقر عملها. دعاها صاحب السيارة الى ذلك لأنه أحد اصدقاء زوجها بعدما لاحظ معاناة المرأة تحت الامطار القوية. فضلت هذه الاخيرة السير على الاقدام بحجة انها قريبة من مقرّ عملها.

يمكن أن نضيف العديد من هذه الملاحظات المتعلقة بتجنيس المرأة للحيّز السكني والمجال الخارجي عندما تستعمله بحرية دون مراقبة. نستخلص من هذه الملاحظات ان العمران الحديث وسياسة السكن التي تابعته كانا السببين الرئيسيين في حلّ المراقبة الاجتماعية. كانت هذه الاخيرة قاعدة هامة في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الافراد والعائلات وبين الجنسين. تلاشت هذه المراقبة رغم عدم تلاشي تقديس موضوعاتها المتمثلين في المرأة والجنس. لا تزال هذه الاخيرة في نظر السكان وتصوراتهم موضوعا جنسيا محتملا عندما تكون خارج المسكن وتحت مراقبة ضعيفة أو منعدمة.

حاول الكثير من السكان مراقبة بعض الجوانب المعمارية للبنايات والمساكن، التي أراد المعماري أن يجعل منها مناطق ازدهار واتصال حرّة بين الحيّز الداخلي والحيز الخارجي بين الحياة الخاصة والحياة العامة: كالشرفات ومداخل المساكن والبنايات... بقيت تلك المحاولات، كما رأينا، محدودة في الزمان والمكان،لم تحقق هدفها الاجتماعي من جهة وشوّهت واجهات العمارات والمساكن من جهة أخرى. يفضل الاطارات ضبط علاقاتهم الاجتماعية وتحديدها ضمن روابط رسمية خالية من التفاعل الوجداني الاجتماعي الذي كان يميز علاقات الجوار بين السكان في النظام الاجتماعي السابق. نفهم من هذا أن المراقبة الذاتية الي يعرفها الفرد من جرّاء تأثره بهذا قد تتزعزع هي الأخرى في غياب المراقبة الاجتماعية وهذا ما يزيد من ظاهرة التخوف من المجال الخارجي واعتباره حيزا خطيرا وعدائيا لا يخضع الى أيّ تنظيم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشرنا ان للعمران الحديث دورا في فك المراقبة الاجتماعية من معناها التقليدي وكيف يعاني السكان من هذه العملية دون القيام بتفاعل اجتماعي يعوض ما فقدوه من قيم ومعايير تابعة للمراقبة الاجتماعية. فلا تقوم علاقات الجوار والتعاون بالنسبة اليهم خارج العلاقات العائلية وممارستها اليومية وطقوسها. تحي العائلات هذه الممارسات والطقوس خارج الحياة السكنية بالحي الجديد. تمنع هذه الوضعة قيام فرص للتعاون واللقاء بين الافراد والعائلات وبالتالي تفاعلهم الاجتماعي.

لا يتخذ التعاون بين سكان الحي الجديد الا مظاهر محدودة وخادعة نوضّح هذه الفكرة بالملاحظات الميدانية التالية :

ملاحظة 1: اجتمع سكان احدى البنايات بالحي السكني الجديد لمناقشة الوضعية التي آلت اليها أقرب المساحات العامة الى العائلات. اتفق الحاضرون على ضرورة ادخال سلسلة من التعديلات والاصلاحات بهذه المساحات: كاعادة اصلاح الانارة ومدخل البناية... تؤمّن هذه الاعمال الحيز السكني المشترك وتمنع من تداول الاجانب اليها.

تمّ في هذه المناسبة التعريف بالمهن المختلفة للحاضرين رغم أنّه لا علاقة لذلك بموضوع اللقاء. اشار أحد السكان الى المهن المختلفة للمجتمعين بأسلوب هزلي كان غرضه توضيح فرص التعاون بين السكان خارج الحياة السكنية. يكفي، كما قال: أننا نمثل هنا أهمّ القطاعات الحيوية في المجتمع مشيرا الى الحاضرين، فالأخ (و.) مدير الشركة الوطنية ص ص والأخ منتخب بالمجلس ب والأخ مسؤول هام في مؤسسة ن والأخ ضابط في الجيش الوطني... مرت أسابيع على ذلك اللقاء ولم يتم ادخال أي تعديل على المساحات السكنية المشتركة ولم يتم انجاز الاعمال المتفق عليها في حين تبادل السكان أكثر من مصلحة خاصة واحدة !.

ملاحظة 2: حدث عطل في التيار الكهربائي بمسكنين بنفس العمارة بالحي السكني الجديد المخصص للاطارات. تمكن (ق) صاحب المسكن الأول من الاتصال بأحد أعوان الشركة الوطنية للكهرباء والغاز تربطه به علاقة الأصل الجغرافي المشترك ويقيم بنفس الحي. طلب منه التدخل لاصلاح العطل بمسكنه بعد نهاية أوقات العمل الرسمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندما تمّ اصلاح الانارة الكهربائية طلب العامل من(ق) معلومات عن الساكن الثاني الذي تعطل عنده التيار الكهربائي، فلما رأى انه لا توجد أية مصلحة خاصة يمكن الحصول عليها فضل الانسحاب تاركا الساكن الثاني يترقب قدومه في الظلام .

ملاحظة 3: طلب أحد السكان من شاب مقيم معه بنفس البناية ان كان لديه زيت مخصص لمحرك السيارات. لم يحدد له ما اذا كان يريد ان يطلب منه اعارة هذا الزيت او مساعدته بها ولا الكمية التي يطلبها منه بالتحديد وخاصة وان هذه المادة كانت مفقودة في السوق وان سيارته تستهلك كميات كبيرة منها. قدّم له الشاب الزيت المطلوب دون ان يحدد له من جهته ما اذا كان قد أعطاه أياها او اعارها له ولا الكمية التي يسمح له باستعمالها. انتهز الساكن هذا الغموض ليحقق عن طريق علاقة الجوار حاجته الخاصة ويستعمل اقصى حدّ من كمية الزيت.

يمكن ان نضيف العديد من هذه الملاحظات لنبين بأن التحول في مفهوم التعاون لا يساير شروط التجمع السكني الجديد. فلا تتشابك الجهود نحو تحقيق حياة سكنية متكاملة يجد فيها الافراد راحتهم واستقرارهم وأمنهم. يحمل مفهوم التعاون بالمعنى الحالي تشويها في مضمونه وفعاليته، فلا هو محافظ على نفس التعامل الوجداني الاجتماعي، مثلما كان معاشا في نظامي الاقامة الريفية والحضرية القديمة ولا هو ذو فعالية جديدة يتجاوب مع شروط الاقامة الحضرية الحالية. يستعمل التعاون لتحقيق اغراض خاصة ومختلفة وبأساليب غامضة وخادعة.

مهما بلغ المستوى الاقتصادي الاجتماعي للفئات السكانية المقيمة بالحي الجديد المخصص للاطارات فانه يلاحظ ان تعاونهم يميزه باستمرار طابع الاستقلالية الفردية على حساب نواحي اجتماعية وبيئية هامة في الحياة السكنية كعلاقة الجوار ورعاية المحيط السكني. يفضل الافراد والعائلات التعامل مع السكان من جهات أخرى تربطهم علاقات مهنية أو أصل جغرافي مشترك. نادرا ما يشكل التقارب الفيزيقي بين السكان عاملا حاسما للتفاعل الاجتماعي. فعندما يتقاسم السكان حيزا مشتركا، يفرض التجمع السكني الجديد سلسلة من الاتصالات تكون اما على شكل روابط وجدانية اجتماعية يتميّز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افرادها بالتعاون والتحالف او الصراعات... واما تكون هذه الروابط رسمية جافة وعدائية، لا تشكل من جرّائها الاسر الآ سلسلة من الواحدات المتكررة الواحدة تلو الاخرى. يوضح نمط الاتصال عن طريق تبادل التحيات والزيارات الاتجاه الثاني في العلاقات الاجتماعية بين سكان الحي الجديد.

1.2.2 - نمط تبادل التحيات بين السكان

انجزت الاحياء السكنية الجديدة لبناء مساكن جديدة لتكوين فرد جديد واسر جديدة. اذا كان هذاالهدف واضحا ومطلوبا وشرعيا فان المميزات والخصائص النفسية الاجتماعية للفرد والعائلة تبقى مبهمة وغامضة لعلاقتها وجذورها بالنظام الاجتماعي السابق. يزداد الغموض عندما لا تتضمن المخططات السكنية الحالية مقابيس هندسية تتخذ من هذه الخصائص جانبا من جوانب قيامها، مما يجعلنا نشك في الاسر والفرد والمجتمع الذي تهدف برامج التنميخة في مجال السكن الوصول الى تكوينهم.

تتم عملية التغريب في الحياة السكنية اثناء الممارسة اليومية بشكل تتخلله اضطرابات في السلوكات والافكار بحيث تجعل من الروابط والاتصالات بين السكان في الحي الواحد والبناية الواحدةوحتى في الطابق الواحد مفردات لا يجمعها الآ التقارب الفيزيقي. تتقلص اتصالاتهم ولقاءاتهم ولا تتجاوز مجرد علاقات تحافظ على المظهر الخارجي على حساب العمقوالوجدان. نبين هذاالواقع في الحي الجديد المخصص للاطارات بالملاحظات الميدانية التالية:

ملاحظة 1: تفضل النساء تبادل الحديث بسلاليم العمارات رغم أن هذه الاماكن غير مخصصة لهذاالغرض ولا تمكن الا من لقاء جارتين او عدد محدود من النساء لا يتجاوز استعمالهن الطابق الواحد. لا يطول الحديث بينهنّ دون ان ينقطع عدة مرات نتيجة ذهاب وأياب الرجال. فالجارات مطالبات بانهاء الحديث والانصراف كلما ظهرالجيران وهم قادمون في اتجاههن. عندما لا تسمح الظروف بذلك فانهن يوقفن الحديثأو يختفين تماما بأقرب المساكن اليهن. لا يكون باستطاعة (ي.) ان تعود الى مسكنها بالطابق العلوي عندما يفاجئها أحدالسكان وهي تتبادل الحديث مع جارتها بالطابق الاسفل، فتدخل بمسكن هذه الاخيرة التي تستقبلها دون استعداد مسبّق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظة 2: تتبادل النساء الحديث عن طريق الشرفات من طابق الى آخر ومن عمارة الى أخرى. تعرف الجارات صعوبات " تقنية " واجتماعية عند الاتصال. تعرف (ف) المقيمة بالطابق الاسفل وضعية شاقة وهي تتبادل الحديث مع جارتها في الطابق العلوي، كأن تدير وجهها نحو جارتها وتستند على الشرفة بظهرها .تجبرها هذه الوضعية أن تغطي باستمرار جانبا من جوانب وجهها خوفا من سقوط أشياء عليها وان تغير من وضعيتها عدة مرات لصعوبة الوقوف في هذه الحالة المدة التي يتطلبها الحديث والذي يكون من جراء ذلك متقطعا .

تبين الملاحظتان أنه بالاضافة الى الموانع النفسية الاجتماعية والثقافية التي تحدد مجال اتصال المرأة وتفاعلها خارج المسكن، لا تساعد الابعاد المعمارية للمساحات السكنية الحالية القيام بالروابط الوجدانية الاجتماعية مثلما كان يحققها وسط الدار أو الحوش في نظامي الاقامة الريفية او الحضرية القديمة. تقلص الابعاد الهندسية للمباني والمساكن الحديثة من مجالات اللقاء بين النساء، ممّا يجعلهن اقل الفئات الاجتماعية اتصالا بالحياة العامة .الاّ أن هذا لا يعني انهن أقل تأثيرا وفعالية على الحياة الاجتماعية . تلجأ النساء الى وسائل اتصال أخرى لتجسيد دورهن في تحديد العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي.

تستحوذ من جهة أخرى الاشارات على أغلب التحيات بين سكان الحي الجديد المخصص للاطارات. يتبادلون التحيات برفع الايدي، بحركات الرأس، بمنبهات السيارات وبأنوارها الأمامية ... يزيد هذا النوع من الاتصال عندما تفصل بين السكان مسافات مختلفة عند اللقاء بالحي الجديد. اما عند الاتصال المباشر يكتفي السكان بالتصافح وتبادل عبارات التحية العادية" السلام عليكم " مرفوقة في بعض الاحيان بالاستفسارات العامة عن الاحوال الصحية والاجتماعية والمهنية .تُلقى التحية بشكل آليّ ويكون الرد بصفة عامة تلقائيا لا يحمل حقيقة الأوضاع التي يتصف بها المجيب. من المفروض أن يحمد اللهّ الناسُ في جميع الاحوال. لا يمكن للفرد أن يصل الى معرفة الأوضاع المعاشة للغير بمجرد القاء هذه التحيات، اذ لا تمكن من تجاوز الآليات الدفاعية للمجيبين. تكون الاجوبة بصفة عامة محدودة ولا يقدم منها السكان الاّ ما يخدم المظاهر الخارجية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرقل هذه التفاعلات قيام العلاقات الاجتماعية بين السكان في الحي الجديد وتزداد تعقيدا عندما لا تتوفر وسائل الاتصال والتلاقي بين الافراد داخل الحي، كالاندية الرياضية والثقافية والاجتماعية...

يكتفي سكان الحي بتبادل تحية" السلام عليكم "، فهي اكثر التحيات استعمالا وتداولا بين الافراد، لكنها ليست بالضرورة - رغم الطابع الديني الذى يميزها- اكثر تعبيرا عن الروابط الوجدانية الاجتماعية. يتبادلها الجيران ضمن حيّز سكني محدد ولا تتبع بتفاعل عميق. تهدف هذه التحيات تحقيق علاقات آمنة اكثر منها بناء تفاعل اجتماعي متواصل وثري. نجد هذه الخاصية بشكل بارز في النظام الاجتماعي السابق بحيث يعتبر الأمن وتحقيق الحاجات الفردية مهمتين اساسيتين في التفاعل بالغير. تكون التحيات والاتصالات بين الافراد والعائلات خاضعة الى سلسلة من المعايير والاحكام توجه استعمالاتها واهدافها. يلقي الفرد الراكب التحية على الماشي ويلقي هذا الاخير التحية على الفرد القاعد... كما تهدف البسطة تحقيق نفس الغرض عندما تلقى على الأماكن الخالية والمخيفة.

لم يبق السكان من التحيات التي كانت متداولة في النظام الاجتماعي الآ ما اصبح يحقق الاتصال الرسمي والآمن بين الافراد. فلا تساهم هذه التحيات في بناء العلاقات الاجتماعية عندما تكون خالية من أي بعد وجداني اجتماعي أو عندما تردّد تلقائيا وآليا على شكل اشارات او تمارس عن بعد ولا تسمح بالاتصال المباشر بين السكان. تؤدي هذه الوضعية الى تحديد مجال الاندماج الاجتماعي بين الافراد والى صعوبة تحقيق استقلالية فردية او عائلية متزنة في أبعادها النفسية الاجتماعية ضمن حياة سكنية جديدة.

2.1.2 - تبادل الزيارات بين السكان:

يخضع دخول وخروج الغير من المسكن الى معايير اجتماعية ثقافية لها علاقة بالنظام الاجتماعي: بنمط البناء وبالأوضاع الاقتصادية التي تؤثر على الروابط بين السكان تمثل الدعوة لتبادل الزيارات في الكثير من النظم الاجتماعية على نمط التضامن والتعاون ويعبر انقطاعها لسبب او لآخر عن الصراع والتناحر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يتحول التعامل بين فردين أو اكثر من مجرد الاتصال لتحقيق الحاجات الى علاقة وجدانية اجتماعية دون المرور بالعائلة. فهي الخلية الاساسية التي يتم فيها بناء العلاقات الاجتماعية لأنها توجه سلوكات وافكار الافراد في روابطهم بالغيروبالمحيط تتجسد هذه العلاقات بتبادل الزيارات وتناول الغذاء العائلي. تصبح الزيارة رمز التعهد من أجل التعاون والتحالف ويصبح الغذاء المستهلك مادة مقدسة ترفع من مستوى الروابط بين الافراد الذين يشاركون نفس الغذاء.

يدعي كل غذاء يتم استهلاكه بمناسبة تبادل الزيارات بين الافراد والعائلات بالملح والماء: مادتان اساسيتان في بناء العضوية يستمد الفرد منهما قوته وفعاليته. يهدف السكان من جراء ذلك الى بناء علاقات اجتماعية تتميز بنفس القوة والفعالية والطهارة. لا أحد يمكن ان يتناول الغذاء العائلي في مسكن ويتأخر بعد ذلك عن تقديم العون والمساندة لها أو لأحد أفرادها الآ واعتبر ذلك خيانة" للملح والماء " وسلوكا مذموما في النظام الاجتماعي السابق.

تمكن الابعاد المعمارية للمساكن والبنايات في التجمعات السكنية الريفية والحضرية القديمة من استقبال الضيوف. يخصص لهؤلاء حيزا يدعى ؟ بدار الضياف"يكون على امتداد المسكن الاصلي وله مدخل مستقل وممر يربطه بالحيز الداخلي. لا تستعمل دار الضياف الا لغرض الاستقبال عكس قاعة الجلوس التي تستقبل من جهتها الاشخاص الذين تربطهم بالعائلات علاقات متميزة وتمكنهم من الدخول الى المسكن والخروج منه ورؤية الحريم والاطلاع على جوانب من الحياة الخاصة.

تحقق المقاييس الهندسية للمساكن بالحي الجديد المخصص للاطارات امكانيات استقبال الضيوف التابعين للفئة الاجتماعية المتميزة بالروابط الوجدانية الاجتماعية. أي الآ الافراد من العائلة الممتدة، بعض الاصدقاء وعدد محدود من الجيران وتستبعد استقبال بقية الافراد. فلا يفصل بين قاعة الجلوس والمطبخ اي حاجز، مما جعل الكثير من سكان الحي امام اختيارين: يتضمّن الاول ادخال مجموعة من التعديلات على الحيّز الداخلي للمسكن وخاصة على الحيز المتعلق بالنشاط الاساسي للمرأة. تمكن تلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعديلات من استقبال السكان دون ضرورة رؤية المرأة والاطلاع على جوانب الحياة الخاصة . يتضمن الاختيار الثاني تحديدا وتقليصا لتبادل الزيارات. يتفق هذامع آليات التفاعل الاجتماعي في النظام السكني السابق. فالانسان كما يقال، كالمعدن فيه الثمين والرخيص وفيه النقي والمشوب ولا تدخل الى مسكنك الا القمح والشعير والفول اقربع.

نعيد اسباب تقليص تبادل الزيارات بين سكان الحي الجديد الى فعالية الآليات النفسية الاجتماعية التابعة لهذه التقاليد. فلا تتحول المعاملات بين الافراد والعائلات الى علاقات وجدانية اجتماعية خارج الروابط العائلية . لا يحقق التقارب الفيزيقي والاستعمال المشترك للحيز السكني الفعالية اللازمة ، التي يمكن ان تعوض غياب مثل هذه الروابط.

يتبادل السكان الزيارات مع ذويهم واقاربهم ويقلصون من جرّاء ذلك من مجال تبادلها مع الجيران، يحقق ذلك ارتباطا مستمرا بالحياة العائلية خارج الحي السكني ويقلص من الحيوية الاجتماعية داخل الحي.

نستخلص من ملاحظة وتحليل واقع العلاقات الاجتماعية بين سكان الحي الجديد المخصص للاطارات، أنه بالاضافة الى الصعوبات التى تفرضها المقاييس المعمارية للمباني والمساكن لاستقبال الضيوف والتفاعل بين الجيران، تؤثر عوامل نفسية اجتماعية تابعة للنظام الاجتماعي السابق في توجيه هذاالتفاعل وهذاالاتصال. يكتفي السكان بالحدّ الادنى من الترابط والتعامل قصد تجسيد استقلاليتهم الفردية والعائلية عاملين بمبدا " المهم تخطي راسي"، الاّ أن ذلك لا يزيد الاّ في تدهورمحيطهم السكني من جهة وتهميشهم اجتماعيا من جهة أخرى جاعلين من حيهم السكني مرقدا واسعا خاليا من أي حيوية اجتماعية متزنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثامن

تحليل نفس اجتماعي لواقع المشاركة الجماعية في الحياة السكنية

تمثل الاحياء السكنية الحالية اماكن مناسبة للمشاركة العامة بحيث يشترك الافراد والعائلات في حيازة أبعادها المعمارية. يتقاسم السكان مبانيها ويستعملون مساحاتها ومرافقها... من المفروض ان يستجيبوا لشروط الاقامة مثلما تفرضها التجمعات السكنية الحديثة بالتخلص من الضوضاء وبالدفاع عن المحيط وبتأسيس لجان الاحياء والجمعيات الثقافية والترفيهية... لا تتحقق هذه العمليات ميدانيا الا بمساهمة الجميع أي بالتعاون والجوار وبكلمة واحدة بالمشاركة العامة.

نعني بالمشاركة العامة الحيوية الاجتماعية النابعة عن تفاعل الافراد والعائلات بالمحيط البيئي والاجتماعي التابع للحي السكني. تتحول الابعاد المعمارية للتجمعات السكنية والمرافق التابعة لها من جرّاء هذا التفاعل الى أطر اجتماعية تحقق للسكان قدرا من الحرية والانتماء يجسد اندماجهم الاجتماعي.

نشير بواسطة استعمال مفهوم المشاركة الى الحيوية الاجتماعية القائمة خارج المساكن وداخل الاحياء. فمثلما يتميز الحيز الداخلي للمساكن بمشاركة عائلية بتوزيع الادوار والمكانات والامتثال للقيم الاجتماعية الاسرية، فأن استعمال المساحات الخارجية للمساكن وداخل الاحياء يتطلب تنظيما اجتماعيا وقيما مناسبة له. الا يعبر اهمال هذه المساحات عن غيّاب هذا التنظيم وعن غيّاب هذه القيم ؟

ليست المشاركة ضمن الجماعة غريبة عن تقاليد السكن في المجتمع الجزائري. رغم تواضع البناء في نظامي الاقامة الريفية والحضرية القديمة، كانت المشاركة الاجتماعية قاعدة أساسية وبواسطتها كانت تدعم الروابط الاجتماعية وتحقق الحاجات المادية للافراد والجماعات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت " اتويزا" تمثل ظاهرة اجتماعية تحوي على وظائف مختلفة ومتكاملة . كانت تشكل عنصرا اقتصاديا أساسيا في حياة الافراد والجماعات. كانت تعوض ضعف تقنيات التحكم في المجال الطبيعي وتدعم التلاحم الاجتماعي وتسهل دور الافراد في تحقيق حاجاتهم وحاجات ذويهم. تأخذ بذلك مشاركة الفرد في الحياة السكنية والاقتصادية بعدا نفسيا اجتماعيا يجعله شديد الارتباط بالجماعة التي ينتمي اليها. فما كان يصعب تحقيقه بواسطة الفرد، كانت الجماعة تتمكن من تحقيقه، يعيد الباحثين الاجتماعيين ذلك الى تحقيق الحاجات المادية للافراد بواسطة التعاون.

يمثل الجوار في النظام الاجتماعي التقليدي عنصرا حيويا في توجيه الحياة السكنية، يعتبر الجار الشخص الأول الذي يهتم بكل ما يقع في الحي السكني منحوادث وعمليات اجتماعية واقتصادية. يشارك في الصراعات والمراقبة الاجتماعية. فاذا كان الجوار مطلب من مطالب الحياة السكنية فما هي الموانع التي تحول دون قيامه في الحياة السكنية الحالية؟ وما علاقة الجوار كمفهوم اجتماعي عريق في تقاليدالسكن في المجتمع الجزائري بالمشاركة الجماعية في الحياة السكنية الحالية؟ ما هي علاقته بالدفاع عن المحيط السكني وبتأسيس الجمعيات ولجان الاحياء..؟

لتوضيح هذه الاسئلة نتابع بعض اشكال المشاركة في الحياة السكنية بحيين سكنيين بمدينة بومرداس. نحلل مضمون شكاوى السكان ثم نتطرق الى تكوين لجانالاحياء والى أراء السكان حول واقع المحيط السكني.

1 - الدفاع عن المحيط السكني: تحليل مضمون شكاوى السكان

تتضمن شكاوى السكان الموجهة الى ديوان الترقية والتسيير العقاري(O.P.G.I) عدة قضايا متعلقة بالمحيط السكني وبالعلاقات الاجتماعية بين الافراد والعائلات. يعكس مضمونها اتجاه السكان نحو اقرب المساحات السكنية اليهم وتبرزعناءهم من الصعوبات التي تتبع عملية استعمالهم لهذه المساحات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاحظنا منذ البداية ان موضوعا اهمال المساحات السكنية الجماعية واضطراب علاقات الجوار بين السكان كانا محوري هذه الشكاوي.فمن ضمن 200 شكوى استقيناها من ادارة ديوان الترقية والتسيير العقاري، يوجد 55 شكوى صادرة من مؤسسات عمومية يتعلق مضمونها باصلاح الحيز الخارجي ويغلب على نصها الطابع الاداري.تحمل بقية الشكاوي عناء السكان من تدهور الاوضاع المحيطة بالمساكن والبنايات والمرافق التابعة لها. تتوزع رسائل السكان على حيين سكنيين: 61٪ تابعة للحي الشعبي و 39٪ للحي السكني الجديد المخصص للاطارات.

1.1 ـ شكاوى سكان الحي الشعبي:

تضمنت الخطوة الاولى بالنسبة الينا البحث عن أهم العناصر التي تحتوي عليها رسائل السكان وتحديد الهدف من كتابتها والعبارات الرائجة بها... بعد قراءتها وتصنيفها تبين أن موضوعاتها تتمحور حول العناصر التالية : شكاوى صادرة من أفراد وأخرى من جماعات، شكاوى متعلقة بالحيز الداخلي وأخرى بالحيز الخارجي ويلاحظ كذلك وجود شكاوى خاصة وأخرى متعلقة بالحياة العامة.

فمن ضمن 89 شكوى تقدّم بها سكان الحي الشعبي الى الهيئات العمومية يوجد 34 شكوى خاصة بأوضاع الحيز الداخلي و 55 شكوى خاصة بأوضاع الحيز الخارجي[1]. توضح هذه الشكاوى مدى التدهور العام للمساحات السكنية ومدى استهلاك الفئات الشعبية للابعاد المعمارية بجوانبها الداخلية والخارجية. تلقى المساحات الأولى اهتماما وعناية، لأنها المكان المخصص للمرأة والعائلات.

في حين لا تلقى المساحات الثانية أية عناية الا عندما تصبح وضعيتها تشكل خطرا على الحيز الداخلي وعلى الحياة الخاصة.

1) لاحظ الجدول رقم 1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رقم البناية	عددالشكاوي حول الحيز الداخلي	عددالشكاوي حول الحيز الخارجي	المجموع	عدد الشكاوى الفردية	عدد الشكاوي الجماعية
1	4	3	7	7	0
2	4	1	5	5	0
3	0	3	3	3	0
5	0	1	1	1	0
6	0	1	1	1	0
8	10	7	17	16	* 1
9	0	5	5	5	0
10	0	1	1	1	0
11	1	2	3	2	1
12	0	2	2	2	0
15	4	2	6	5	1
16	1	0	1	1	1
17	3	4	7	7	0
18	1	3	4	3	1
19	3	2	5	4	1
21	0	3	3	3	0
22	0	8	8	6	2
23	3	7	10	8	2
المجموع 18	34	55	89	80	09

1) جدول توزيع مختلف شكاوى سكان الحي الشعبي (سنة 1989.)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتمحو مضمون شكاوي الحي السكني الشعبي حول ما يلحق بمرافق هذا الحي من اتلاف بفعل الاستعمال الجماعي: انسداد المجاري، تسرّب الماء، تصدّع الجدران.. رغم تعدد مظاهر الاهمال وتداخل اسبابها في عدة مساكن وبنايات من نفس الحي، الاّ أنها لا تثير ردود فعل جماعية. لا يقدم الاّ السكان الاكثر ضررا شكاويهم الى الهيئات العامة (80 شكوى) ولا يلجأون الى الشكاوي الجماعية الا نادرا (09 شكاوي). فمن ضمن 17 شكوى تقدم بها سكان العمارة رقم 08، الاكثر شعبية من غيرها من البنايات، لم يتقدم سكانها الا بشكوى جماعية واحدة الى مؤسسة ديوان الترقية والتسيير العقاري[1].

لا يستجاب لشكاوي السكان عندما يتعلق موضوعها بالحيز الداخلي، يعود سبب ذلك الى تملك السكان لهذا الحيز وتملك المؤسسات العامة للحيز الخارجي. لا يساهم هذا التقسيم الرسمي للحيز السكني في تطوير وازدهار المحيط امام فعالية العوامل الاجتماعية الثقافية التي يتخذ من خلالها السكان الحيز الخارجي مكانا خارجيا عن حياتهم السكنية. فالى جانب قلة الامكانيات المالية والتقنية لدى مؤسسات الاشراف على المساحات الخارجية للمساكن. يغيب أي تنظيم اجتماعي يوجه استعمال السكان لهذه المساحات استعمالا بيئيا واجتماعيا متكاملا.

يمكن أن يكون هذا التنظيم اما وليد تقاليد اجتماعية واما نتيجة امتثال السكان لقوانين مدينية تحدد شروط السكن ضمن الاحياء الحالية وتضبط التعاملات بين الافراد والعائلات.

لم تسمح مدة الاقامة في الحي السكني الشعبي من فرض مباديء جديدة أو قيم مناسبة للاستعمال الجماعي للمرافق التابعة للمساحات السكنية خارج المسكن وداخل الحي الشعبي. بقيت تقاليد الاقامة هي التي توجه علاقات السكان بأقرب المساحات الى المساكن وتوجه التعاملات بين الجيران. فالى جانب تدهور المحيط السكني الحالي، لا يتحدّث السكان الاّ عن المستوى الذي عاشوه سابقا في مجالي المحيط السكني والاجتماعي. يؤكد العديد منهم أنه باستثناء بعض حالات الاضطراب في علاقات الجوار

---

1) لاحظ الجدول رقم 1 بالصفحة : 145

فان الحي السكني كان يعرف استقرارا مقبولا في العلاقات الاجتماعية وهذا بفضل مراعـاة بعض المباديء الاساسية في التعامل بين الجنسين، بين الحياة الخاصة والحياة العامة بين الاطفال والراشدين." كنا كالاسرة الواحدة ! نتعاون ونتفاهم الى أن ازدحـم السكان وجاءت عائلات أخرى !".

يعود اهمال المحيط السكني بالنسبة للسكان الى عوامل خارجية عن الحيـاة السكنية بحيث وصلت أوضاع المساحات السكنية المشتركة حدا من الاتلاف تهـدّد العلاقات بين الجيران. مثلما تبرزه هذه الشكـوى .

الى السيد رئيس المصلحة التقنية لوحدة بومرداس

يشرفني ان اطلع سيادتك مرة أخرى عن الحالة التي توجد عليها الشقة التي اقطن بها وهذا باختصار شديد:

منذ عدة سنوات والمياه تتسرب الي من اسقف الجار (س.) بحيث أجد نفسي مع أولادي في حالة مزرية، زيادة على الامراض التي تصيب ابنائي على الخصوص من جراء الرطوبة التي تتسبب فيها هذه المياه المتدفقة من الأعلى واكثر من هذا فان هذا الجار قد حطم الانبوب الرئيسي للمراحيض، حيث مياهه العفنة تتدفق في شقتي كلما وقـع انسداد في مراحيضه .

لقد نبهت هذا الجار عدة مرات لأجل الاصلاح ولكن لا حياة لمن تنادي - كما يقال - واكثر من هذا فانه يقول لي كلما اكلمه :ان الماء وغير ذلك هو من عندك وليس من عندي. لقد أرسلتم لي من قبل احد افراد العائلة التقنية من عندكم وحرر تقريرا ولكن لحد الآن، لا تزال الامور كما كانت. لذا أرجو منكم ان تتخذوا الاجراءات اللازمة في اقرب وقت ممكن. انـني استغيث منذ عدة سنوات، انقذوني من هذا الخطر الذي يحدق بي في كل وقـت .

وشكـرا . التوقيع

(ت.ع)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت الخلافات بين السكان في نظام الاقامة التقليدي تخضع الى تدخل الجيران لفك النزاعات بين الافراد والجماعات. توجهها سلسلة من المعايير الاجتماعية والدينية حيث تعتبر الصراعات اليومية ومحاولات السكان لتجاوز هذه الصراعات نشاطا أساسيا في اتزان الجماعة ونظام السكن. رغم محاولة اعادة احياء هذه التقاليد، فان هناك جوانب من الحياة السكنية في الحي السكني الشعبي غير مضبوطة كالقضايا المتعلقة بأقرب المساحات السكنية الى الافراد والعائلات. تعرف هذه الاخيرة اهمالا مستمرا في الحي السكني الشعبي تحت نظر وادراك الجيران: كانعدام توجيه الاطفال و الضوضاء.

نفسر بذلك لماذا لم تتضمن شكاوى السكان من الفئات الشعبية قضايا الضوضاء وتلوث المحيط واتلاف المرافق الجماعية ... تغيب هذه العناصر السكنية من أي تصور اجتماعي للاقامة ولا يتعدى معنى المشاركة العامة الجوانب الخاصة بالتعامل والتعاون لتحقيق أغراض منفعية محدودة . فلا مجال للحديث عن تنظيم السكان في لجان جديدة أو جمعيات تتخذ من المصلحة العامة ومن المحيط السكني جانبا من جوانب انشطتها . فللفئات الشعبية قضايا أخرى تشد اهتماماتها: كالشغل والتوظيف والصحة والبيع والشراء...

ان الفئات الشعبية أكثر الشرائح الاجتماعية استعمالا للمكان واكثرها استقرارا به ولكنها أقل انشغالا بالقضايا المتعلقة بأوضاع السكن. يعيد الكثير من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين هذه الظاهرة الى طبيعة الأوضاع المادية والاجتماعية للافراد والعائلات دون التركيز على العوامل النفسية الاجتماعية والثقافية التابعة لنظام السكن الريفي او الحضري السابق. تعود اغلب الفئات الشعبية الى هذا النظام ولا يزال الافراد والعائلات التابعة الى هذه الفئة تعيد احياء تقاليد السكن السابقة، تستعملها في مجال التعامل بالطبيعة وبالناس ولا يمكن تجاوزها لمجرد التغيير في نماذج السكن والبناء.

ان المتتبع للاستعمال الجماعي لهذه المساحات من قبل الفئات الاجتماعية المختلفة يلاحظ فعالية القيم التقليدية على حساب العوامل الاقتصادية او التعليمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التابعة لتأثير التضمية على حياة الافراد والجماعات . لقد كان الجانب الاجتماعي والثقافي كما لاحظ سليمان مظهر، عاملا فعالا في توجيه العلاقات الاجتماعية والتعامل بالمحيط الخارجي في النظام الاجتماعي السابق. نحاول أن نوضح هذا التأثير في نمط حيـــازة السكان للمحيط السكني في الاحياة السكنية المختلفة الحالية .

2.1 ـ شكاوي سكان الحي الجديد المخصص للاطارات :

من ضمن 56 شكوى تقدم بها سكان هذا الحي الجديد، يوجد 49 شكوى خاصة بالمحيط السكني وهذا تعبيرا عن التلف العام الذي يعرفه هذا الحيز وتعبيرا عن اهتمام هذه الفئة الاجتماعية بأقرب المساحات السكنية خارج المسكن وداخل الحي. يبقى هذا الاهتمام محدودا أمام ضعف المشاركة الجماعية في الحياة السكنية . نوضح هذه الفكرة بتحليل شكاوى سكان هذا الحي.

لا تتجاوز ردود فعل المقيمين بالحي الجديد لاهمال محيطهم السكني تحريـــر رسائل فردية الى الهيئات الرسمية بحيث لم يتقدم السكان الا ب 16 شكوى جماعية مقابل 40 شكوى فردية متعلقة بمختلف جوانب تدهور المحيط السكني: كتلوث المحيط،انتشار القاذورات، تسرب المياه، انعدام الانارة ...

صدرت اغلب الشكاوي الفردية او الجماعية من سكان الطوابق الارضية . تـقدّم هؤلاء برسائل خاصة ذات صياغة جماعية الى الهيئات الرسمية، من النادر ما كانـــت تحمل توقيعات السكان يلجأ بعض الافراد الى هذه الطريقةـ أو الحيلة ـ لاستعجـــال السلطات المحلية للتدخل قصد اصلاح المرافق السكنية . لا يشاطر بقية السكان معاناة هؤلاء الافراد لاعتقادهم أنهم اقل تعرضا لا نعكاسات تلوث المحيط [1].

لم تساعد حداثة البناء واختلاف الاصل الجغرافي للسكان وطبيعة وظائفهم ... من بناء شبكة العلاقات الاجتماعية بين الافراد والعائلات. لا تزال هذه الأخيرة تعرف ضغوطا وقيما اجتماعية أمام امكانية بناء روابط وجدانية اجتماعية خارج العلاقـــات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العائليـة . تعقد هذه الوضعية مهمة توحيد الجهود لتقديم شكاوي جماعية يكون موضوعها تحسين المحيط السكني والعلاقات الاجتماعية بين السكان.

رقـــم البنايـة	عدد شكاوي حول الحيز الداخلي	عدد شكاوي حول الحيزالخارجي	المجموع	عددالشكاوي الفرديـة	عدد الشكـاوي الجماعيــة
24	1	2	3	3	0
26	0	1	1	1	0
28	0	3	3	2	1
31	1	0	1	1	0
32	0	2	2	0	2
34	0	2	2	1	1
36	0	1	1	1	0
37	0	2	2	0	2
38	0	3	3	3	0
40	0	1	1	1	0
41	1	1	2	2	0
44	0	3	3	2	1
46	0	2	2	2	0
47	0	1	1	1	0
48	1	3	4	3	1
52	0	1	1	0	1
53	0	1	1	1	[illegible]
54	0	1	1	0	1
56	0	3	3	3	0
59	0	3	3	3	0
60	0	1	1	0	1

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رقم النباية	عددشكاوى حول الحيزالداخلي	عددشكاوي حول الحيزالخارجي	المجموع	عددالشكاوي الفردية	عددالشكاوي الجماعية
61	0	1	1	1	0
63	1	3	4	4	0
71	0	1	1	0	1
78	1	0	1	1	0
79	0	1	1	0	1
80	0	7	7	4	3
المجموع	7	49	56	40	16

لم تتمكن الا بعض الجماعات من اللقاء نتيجة ارتباطهم المهني المشترك والقيام ببعض الاجراءات العملية الجماعية لتنظيم يوم تطوعي او تحرير شكوى تحمل توقيعات السكان المشاركين .

رغم أنها محدودة وعلى شكل مبادرات منعزلة، تنعدم مثل هذه الانشطة في الحي السكني الشعبي، في حين يرى فيها بعض الاطارات أسلوبا ناجعا للمشاركة الجماعية وحل بعض المشاكل البيئية والاجتماعية التي يعرفها الحي دون اللجوء الى الهيئات الرسمية . يستطدم هؤلاء بواقع اجتماعي مناقض لهذه الارادة نتيجة غياب وانعدام الاقبال من قبل بقية السكان.

تعبّر شكاوي السكان عن تعلقهم بالهيئات الرسمية كطرف اساسي ووحيد في عملية الاشراف ورعاية المحيط. توضح هذه الرسالة سلسلة المطالب التي يقدمها المقيمون بالاحياء من الجهات الرسمية دون الاشارة الى ادنى مساهمة منهم في تحقيق وتجسيد هذه المطالب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى السيد المشرف على ديوان الترقية والتسيير العقاري. بومرداس

سيدي

يشرفنا نحن سكان العمارات 56، 57، 58. أن نطلب منكم التدخـــل عن طريق مصالحكم التقنية لاصلاح مجاري المياه اسفل العمارات المذكورة. نحيطكم علما أن قنوات المياه قد انفجرت والحقت بالاماكن السكنيـــة أضرارا كثيرة. تزداد خطورة هذه المياه يوما بعد يوم وخاصة بعد قـــدوم فصل الصيف من جهة وعلى صحة الاطفال من جهة أخرى.

نعلمكم كذلك ان ابواب الحجر الارضية موصدة ولا توجد مفاتيحها الآ عندكم.

نتمنى من جهة أخرى ان تركّبوا اجهزة انارة سلـــم العمارات وتصلحـــوا مداخلها وسلاليمها لأنها اصبحت اماكن لتجمع القمامة.

نشكركم مسبقا عن كل الاعمال التي تقومون بها في مجال التخلص واصلاح المجارى وكذلك اعادة الانارة...

تقبلوا منا التحيات والاحترام.

ملاحظة: الرسالة مصحوبة بتوقيعات السكان.

مهما كانت شكاوي السكان فردية أو جماعية خاصة بالفئات الشعبية أوبالاطارات فانها تنحصر في اثارة مسألة تدهور اقرب المساحات السكنية للافراد والعائلات. لأن ذلك يتبعه اضرارا مباشرة على الحياة الخاصة. لا يرى السكان في ذلك ضرورة للمشاركة الجماعية خارج تحرير شكاوي فردية او ذات صياغة جماعية. فماذا يمكن ان تتطلبه كتابة رسائل الى الهيئات الرسمية ؟ لا شيء.

يتفق سكان الحي الشعبي وسكان الحي المخصص للاطارات على اهمال المحيط السكني وعلى ابراز الانعكاسات الناجمة من تدهور هذا الحيز على الحياة العائليـة وعلى الاطفال. توضح رسائل السكان ان مسألة اتلاف للمرافق السكنية ليست مسألـــة " نقص الوعي" أو مسألة متعلقة بالاوضاع الاقتصادية للسكان فحسب، بل هي مسألـــة معقدة تغرس جذورها في اعماق تقاليد السكن وحيازة المكان وبناء العلاقات الاجتماعية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجعل هذه التقاليد من الحيز الخارجي مصدرا لكل الاخطار والأوبئة . نلاحظ هذا التصور في مضمون رسائل السكان عندما يستعملون سلسلة من العبارات التي تميز الحيز الخارجي للمساكن وداخل الحيين بكل انواع الاخطار والأوبئة [1].

رقم البناية الحي الشعبي	رقم البناية الحي الجديد	أهم العبارات الرائجة في مضمون الرسائل	ملاحظات
18		تدهور الاوضاع وخطورة ذلك على الحياة العائلية وعلى الاطفال.	نسخة موجهة الى المديرية الولائية للصحة
22		انتشار الحشرات، تجمع المياه القذرة، أثر ذلك على الصحة العامة وعلى الاطفال	
	32	اهمال المحيط السكني واثر ذلك على الصحة العامة	نسخة موجهة الى البلدية
	83	اثر تجمع المياه القذرة اسفل العمارات على صحة افراد العائلة وخاصة الاطفال : التركيز على انتشار الامراض المعدية	نسخة موجهة الى مديرية الصحة
15		انتشار الامراض بفعل انكسار قنوات المجارى	
	60	انتشار القمامة المنزلية وبرك الماء على الفسحات العامة - انعكاساتها على صحة الافراد والعائلات وخاصة منهم على الاطفال	نسخة موجهة الى الولاية الى البلدية
23	52 53	انبعاث الروائح الكريهة اسفل العمارات، التركيز على الاثر الناجم من ذلك كانتشار الحشرات والامراض .	
	71	اقتراح برنامج لاصلاح مدخل العمارة والانارة والمطالبة بالمساعدة من قبل الهيئات الرسمية (O.P.G.I.	
12		تصدع جدار البناية - سلامة السكان في خطر	
08		المصيبة الكبرى نتيجة تجمع مياه المجاري اسفل العمارة .	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتجسد من العبارات الرائجة في مضمون شكاوي السكان كيف ينظرون الى اهمال الحيّز الخارجي والى اتلاف المرافق السكنية التابعة له. تعتبر هذه الاخيرة حيّزا خطيرا وعدائيا ومصدرا للامراض المختلفة تهدد مباشرة الحياة العائلية. نجد في مقدمة هذه التهديدات انعكاسات اهمال المحيط السكني على الاطفال.

لا يعاش المحيط السكني من جراء هذه الوضعية كحيز خارجي ذو امتدادات معمارية بالحيز الداخلي، بل كمكان منفصل وغريب عنه. اذا كان الحيز الأول يعرف سلوكات تنظم ابعاده وتستعمله فان الحيز الثاني يبقى مهملا باستمرار.

يعيد الأفراد والعائلات التحكم في الحيز الخارجي في النظام الاجتماعي السابق الى قوى غيبية ويعيدون هذا التحكم في النظام الاجتماعي الحالي الى سلطة عمومية. يستسلم السكان الى القوة الأولى ويتعاملون معها باستعمال الحيلة والخداع وانتهاز الفرص. نلاحظ نفس الاتجاه في شكاوي السكان الى الهيئات الرسمية. يعتبر السكان هذه الهيئات المسؤولة الرئيسية والوحيدة على الأوضاع الخارجية للمساكن والبنايات والقادرة على التدخل في كل زمان ومكان وفي جميع الظروف وبأدنى مساهمة من قبلهم أي أنها سلطات لا تبتعد كثيرا عن القوة الخفية التي كانت تتحكم في المحيط الخارجي بحيث تتميز بنفس القوة. تملك كل سلطة من هاتين السلطتين قوة خفية خارج ارادة الافراد.

يمكن ان نستخلص من تحليلنا لشكاوي السكان ان هذه الاخيرة لا تهدف معالجة القضايا المتعلقة بالمحيط السكني او تنظيم الحيز الخارجي للمساكن والعمارات، بل هو تعبير نفسي اجتماعي واضح عن استقلالية هذه الاماكن وهذه المساحات عن الحياة الاجتماعية وعن المشاركة الجماعية. فلا يتخذ السكان من الهيئات الرسمية الا مبررا لتجسيد هذه الاستقلالية وهذا ما يفسر انعدام مساهمتهم في أي اصلاح تتخذه الهيئات العمومية لفائدة الاحياء السكنية ويفسر كذلك غياب المشاركة الجماعية التي تتخذ من المحيط السكني شرطا من شروط قيامها. ندعم هذا الاثبات بتحليل صعوبات قيام الجماعات في احياء مدينة بومرداس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 ـ صعوبات تكوين الجماعات

يمثل الفرد العنصر الاساسي في تكوين مختلف الجمعيات، من المفروض أن يحقق بانتمائه لها حريته وازدهاره، كما يجسد طموحاته وابداعاته وتعاليه الى جانب تحقيق اهداف الجماعة التي ينتمي لها, يعرف المجتمع الجزائري في المرحلة الحالية من مسيرته زيادة في المجالات التي يمكن للفرد أن يؤسس او ينتمي الى العديـــــد من الجماعات فى حين انحصر تفاعله في المرحلة السابقة في الجماعات الأولية كالأسرة والقبيلة والعشيرة.

نعيد هذا الانتقال الى زيادة حاجات الافراد الى التجمع بفعل التنميـــة والى تقليص قدرات الاسر في تحقيق هذه الحاجات خارج التفاعل الاجتماعي العـام. فما هي الصعوبات التي تمنع الافراد من تأسيس لجان الاحياء والانتماء اليها وما هي الموانع التي تحول دون أداء هذه اللجان لمهامها اذا ما تمّ انشاءها ميدانيا.

كان الهدف من انتماء الفرد الى الجماعة في نظام السكن السابق هو تحقيـق الامن والحاجات المادية. تعتبر العلاقة فرد/جماعة في هذا النظام علاقة مزدوجـــة اقتصادية ووجدانية اجتماعية شبيهة بالعلاقة الوالدية. يتصف الفرد بالتبعية وبالضعف في علاقته بالمحيط الخارجي. تصبح الجماعة الاولية من جراء ذلك الوسيلة المفضلـــة لتجاوز هذا الضعف وتحقيق الحاجات الفردية. يعيد الشخص نفس الرابطة الوجدانية التي تحكمه بالأم وبالعائلة عند تفاعله ببقية أفراد الجماعية التي ينتمي اليها.

اذا كانت الأم محاطة بتقديس فلأنها مصدر أساسي للحياة والامن والراحـة . نجد نفس هذه المطالب عند الفرد في علاقته بالجماعة، مما جعل التفاعل الاجتماعـي محدودا بين أفراد الاسرة الواحدة والعشيرة الواحدة أو بين الجيران. فمهما تمـيّز بالصراع أو بالترابط العميق يبقى التعامل بين السكان لا يتجاوز تحقيق اغراض أمنية ومادية محدودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقلّص هذه الوضعية فرص انتماء الفرد الى جماعات أخرى لأغراض غير اغراض تحقيق المصالح الفردية، كما تحدد من نشاط اية جماعة انتظم افراد هامن أجل هدف غير هدف تحقيق الحاجات العائلية أو العشيرية. تصبح الجماعات الوحيدة التي يمكن ان ينتمي اليها الأفراد هي الجماعات الأولية.

اذا كانت هذه الوضعية مقبولة ومعاشة في نظام بيئي عدائي وبنمط سكني تقليدي فان ذلك كان نتيجة انحصار حاجات الافراد والعائلات في مجات محدودة، تستطيع الجماعات الأولية عبر آليات نفسية اجتماعية تحقيقها: كالتعاون والامتثال والمراقبة... ان هذه الوضعية مطالبة الآن بالتحول نتيجة متغيرات عمرانية وصناعية وتنموية مست جوانب عديدة من حياة الافراد والجماعات. من المفروض ان يعاد بناء العلاقات الاجتماعية وفق هذه الشروط الجديدة.

تمكن هذه الشروط من انتماء الافراد الى اكثر من جماعة واحدة محققة بذلك استقلاليته وابداعاته وحريته. يجسد الفرد هذه العمليات ميدانيا عن طريق انشطته الاجتماعية والعلمية والثقافية والترفيهية... يمكن ان يكون الفرد، من خلالها، عضوا في جماعة واحدة او اكثر: كالجماعة السياسية والخيرية والعلمية والسكنية...

يتخذ التفاعل الاجتماعي في الحي السكني عن طريق هذه الانشطة حيوية تؤدي من جهة بالفرد الى ازدهار شخصيته وتنمية دوره الاجتماعي وتصبح التجمعات السكنية من جهة أخرى تجمعات متميزة بالحيوية الاجتماعية واطارا مناسبا للتطور والازدهار. من المفروض ان لا تصبح الاحياء السكنية اماكن معرقلة للتنمية ومصدرا من مصادر المعاناة اليومية والامراض الاجتماعية والعقلية .

لتشخيص واقع تنظيم الجماعات بأحياء مدينة بومرداس فضلنا متابعة جماعتين ضمن الحياة السكنية: تكوين لجان الاحياء وجماعة الهوائيات المقعرة. نوضح لماذا فشلت الجماعة الأولى في مهامها وحققت الجماعة الثانية هدفها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1.2 ـ تكوين لجان الاحياء السكنية الحالية : محاولات فاشلة :

من الطبيعي ان تزيد حاجات السكان بفعل التنمية الشاملة، لكن من المفروض ان تتبع هذه الحاجات مجهودات تضمن تحقيقها ميدانيا والا اصبحت التنمية في حدّ ذاتها شركا خطيرا ينزلق بالافراد والجماعات نحو الاضطراب والفوضى. يعيد سليمان مظهر اسباب المشاكل التي يعيشها مجتمعنا الى تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية تكبل هذه الاخيرة نشاطات الافراد والجماعات وتفرغ عناصر التنمية من مضمونها الاساسي: التطور والحداثة وتتجه بالمجتمع الى الفقر [1].

تمثل الاحياء السكنية الحالية صورة حقيقية لهذا الفقر بتدهور محيطها واضطراب العلاقات الاجتماعية بين السكان. يمثل ميدان السكن مجالا حيويا لبروز فعالية العوامل الاجتماعية الثقافية لأنه أقرب الاماكن الفيزيقية للعائلات وللمرأة وللعالم الخاص. رغم فعالية العوامل التقليدية للسكن، فان المهندس المعماري يقدم نماذج سكنية لامكانة فيها للعوامل المحلية. أدت هذه الوضعية الى بروز عدة تناقضات في الحياة السكنية من ضمنها اهمال المحيط السكني وانعدام المشاركة العامة التي تتخذ من هذا الحيز جانبا من جوانبها الاساسية.

ان مساهمة السكان في تخطيط المباني الحالية غائبة بحيث لم تتضمن مقاييس البناء و اشغال العمارات عناصر من هذه المشاركة. يتم الاكتفاء بالجوانب التقنية و المالية على حساب المعطيات الاجتماعية و الثقافية المحلية. و رغم ذلك فان رعاية الا حياء السكنية و محيطها تبقى ممكنة. تعترض هذه العملية سلسلة من الصعوبات، يعود بضها الى نمط البناء و يعود البعض الاخر الى الاليات النفسية الاجتماعية الموجهة للسلوك الاجتماعي للاقامة. يمثل فشل قيام لجان الاحياء جانبا من هذه الصعوبات.

1.1.2 ـ تجربة العم (ا.) ممثل الحي السكني الشعبي:

تجاوز العم (ا.) الخمسين من عمره قضى منها 30 سنة بالحي السكني الشعبي بمدينة بومرداس. أب لـ 6 أطفال يشتغل طباخا بأحد المعاهد العلمية في المدينة. يمتلك شقة بثلاث غرف وحمام ومطبخ، رفض تغيير مسكنه الواقع بالطابق الثاني والانتقال

I) MEDHAR (S) : Algerie terre promise à la misère? in L'évenement No 41- 12 octobre 1991.p 23 .

2) Arrétéinterministeriél pourtant modalités d'éxercice et de rémnération de la maitrise d'ouvre en batiment. in bultin officiel des marchés de l'opératéum publio? ENEP Anneé; 1988.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى مسكن بخمس غرف في حي مجاور تحت عذر حسن التعامل بين السكان في البناية التي يقيم بها .يخشى ان يفقد هذه الخاصية اذا ما تحول من مسكنه الحالي.

يزاول ثلاثة من أبنائه الدراسة ويشرف ابنه الرابع على انهاء الخدمة الوطنية ويستعد ابنه الخامس للالتحاق بها في حين امتنع ابنه الأكبر القيام بهذا الواجب الوطني ويعاني الآن من البطالة . تقوم الأم بالاعمال المنزلية وترعى الى جانب ذلك طفلين لأحد الجيران مقابل اجرة معتبرة .

كيف ولماذا تم اختيار العم (ا.) ممثلا دائما لسكان الحي؟ اجتمعت عدة ظروف وعوامل من أجل تحديد هذا الدور للعم (ا.):لأنه من اقدم السكان في الحي ويمتاز بعلاقات غير رسمية مع هيئات عمومية محلية . استعمل العم (ا.) في بناء هذا النوع من العلاقات سلسلة من المقاييس:الاصل الجغرافي المشترك، تقديم بعض الخدمات الخاصة ... ودعم ذلك بالاتصال الدائم والمثابرة ...

لا يتدخل العم (ا.) في جميع الحالات عند وقوع الخلاف بين الجيران. يتخذ في أول الامر موقف المتفرج وكأن الامر لا يعنيه . لا يتدخل الا بطلب من أحد الطرفين وبالحاح منهم . ليس من الضروري ان يؤدي تدخله الى اصلاح العلاقات بين الافراد او العائلات . يكون غرضه في كل نزاع قول " الحق" ويدعو الطرفين الى التعقل. اصبح هذا المجهود الذي يبذله العم (ا.) غير كافي لازالة اغلب الخلافات بين السكان، تبقى هذه الاخيرة مزمنة عكس ما كانت عليه في النظام الاجتماعي السابق .

قلّت النزاعات بين السكان في الحي الشعبي كالخلّافات حول الاطفال، حول الضوضاء والنظافة ... اصبحت هذه القضايا ميزات ارتبطت بالحياة السكنية في هذا الحي. ينحصر تدخل العم (ا.) تدريجيا في القضايا المتعلقة بالحياة خارج الحي. ترهق هذه الوضعية العم (ا.) الأمر الذي جعله يشكو من نفاق بعض الافراد عند لجوئهم اليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يصبح تدخل العم (ا.) ضروريا الا عندما يكون السكان في حاجة الى وسيط بينهم وبين الهيئات الرسمية المحلية. لا يزال هذا الاخير عضوا في حزب جبهة التحرير وله علاقات طيبة ببقية اعضاء الاحزاب الاخرى، اما لأصله الجغرافي او للغته المحلية او لعلاقاته المهنية ...

بدأ العم (ا.) يردد أنه سيمتنع من التدخل في قضايا الحياة السكنية، يرى ان ذلك لا يجدي نفعا، بل عليه أن ينشغل بقضاياه العائلية وخاصة مسألة البطالة التي اصبحت تهدد مستقبل ابنائه. رغم هذا التحول في اتجاه العم (ا.) الا أنه كان العنصر الاساسي في تحرير آخر شكوى جماعية، اتجه بها مع وفد من سكان العمارة رقم: 8 الى السلطات المحلية لاصلاح كسور في مجاري مياه العمارة.

لا يتدخل العم (ا.) في المسائل المتعلقة بالشباب رغم ما يبدون له من تقدير واحترام، يعيد بعض السلوكات الطائشة التي يقومون بها الى سوء التربية. هكذا يجد العم (ا.) دوره يتقلص تدريجيا او ينحرف عن مهمته كممثل للسكان وكمشرف على التعامل الحسن بين السكان. فلا يرى جدوى لتمثيل دور محدود لا يستفيد منه الا الجيران.

لا يعتبر العم (ا.) نموذجا لفرد تقليدي فحسب، بل ممثلا مناسبا لمرحلة سابقة معاشة باضطراب في واقع سكني حالي. يعبر فشله على فشل هذه المرحلة ويعود ذلك الى احيائه للآليات النفسية الاجتماعية التابعة للنظام الاجتماعي السابق. وجد العم (ا.) صعوبات لتجسيد هذه العمليات في ظرف فيزيقي واجتماعي مغاير للنظام السابق.

تتجاوز هذه الظاهرة العم (ا.) لانها خاصية بيئية واجتماعية عامة تشمل العديد من الفئات الاجتماعية. ان تدهور المحيط السكني واضطراب الحياة السكنية في الاحياء الحالية ظاهرة شاملة لا يختلف السكان الا في درجة وطريقة ممارستها ومعايشتها. نوضح هذا الاثبات بتتبع فشل لجنة الحي الجديد المخصص للاطارات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.1.2 ـ تجربة سكان الحي الجديد:

عرف سكان الحي الجديد المخصص للاطارات بعض المحاولات لتأسيس لجنة الحي. تعود هذه المحاولات الى العديد من المبادرات الفردية والجماعية التي سبق وأن تقدم بها السكان دون امكانية تجسيدها الآ نادرا. نذكر من ضمن هذه المبادرات محاولتين فاشلتين:

المحاولة الأولى: لم تكن الدعوة، في ذلك اليوم، موجهة للسكان لغرض تأسيس لجنة الحي. التقى هؤلاء بقاعة الاجتماعات التابعة للبلدية بهدف مناقشة مشروع تجهيز جزء من عمارات الحي بالهوائيات المقعرة. كان ذلك الاجتماع مناسبة لاثارة موضوع تكوين لجنة الحارة. تتضمن هذه الاخيرة العمارات التابعة للمشروع المذكور. انتهز بعض السكان " الحزبيين " المنتمين للحزب الواحد قبل التعددية، هذه الفرصة لاقتراح تكوين لجنة للحارة وتقديم ممثلين من كل بناية. لم تكن لهؤلاء الافراد القدرة على جمع السكان بهذا الحشد قبل هذا التاريخ.

صدر عن اعضاء اللجنة المؤقتة بعد اسابيع من تلك الجمعية عدة اعلانات يطالبون فيها مساهمة السكان في تأسيس لجنة الحارة واثراء برنامجها. تظهر هذه الاعلانات على شكل مناشير تثبت بمدخل البنايات:

منشور لسكان العمارات 48، 49، 50، 51.

من أجل تحظير لجنة الحارة ستقام جمعية عامة لسكان العمارات المذكورة يوم الاثنين 14 أوت 1989 على الساعة 8،30 بقاعة الاجتماعات التابعة للبلدية.
تكون محاور المناقشة كما يلي:

1 ـ رعاية المحيط السكني

2 ـ شروط الحياة السكنية

3 ـ اقتراحات حول مسألة الامن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناقش هذه الجمعية كذلك:

1 ـ تعيين اعضاء لجنة الحارة

2 ـ اهداف اللجنة

3 ـ انشاء موقف محروس للسيارات وسبل تسييره وتحديد المستفيدين منه.

تدعو اللجنة من السكان الحظور جماعيا لانجاح هذه المهام.

مع تحيات اعضاء اللجنة المؤقتة

بومرداس 13 أوت 1989.

واصلت اللجنة دعواتها منذ ذلك الوقت، للسكان عن طريق هذه المناشير والاعلانات مؤكدة تارة على المحيط السكني وتارة أخرى على المشاكل الامنية والبيئية وعلى الطموحات من أجل التحضر والرقي. أمام انعدام أية استجابة من طرف المقيمين بالحارة بدأ انسحاب اعضاء اللجنة الواحد تلوى الآخر وذلك تحت اعذار ومبررات مختلفة الى ان تلاشت وفشلت المحاولة .

لا يعيد السكان هذا الفشل الى انعدام مساهمتهم فحسب، بل لأسباب خارجية عن الحياة السكنية كالانتماء السياسي لبعض اعضاء اللجنة المؤقتة! يتحدث السكان عن طموحات بعض اعضاء اللجنة في الانتخابات القادمة.

نعتبر المقيمين بالحي السكني الجديد اكثر الفئات الاجتماعية ادراكا لأهمية المحيط السكني في عملية تجديد النشاط الاقتصادي والفكري للفرد... من المفروض ان يكونوا اكثر الافراد حرصا على اوضاع هذا الحيز وعلى المرافق التابعة له. لا يمكن أن نعتبر من جهة أخرى انعدام استجابتهم لدعوات ونداءات اللجنة ـ مهما كان هدف افرادها ـ رفضا لمحيط آمن ومتكامل، بل هو رفض لنمط حيازة المحيط السكني بأسلوب جديد ورفض للتفاعل الاجتماعي الذي يدمج المساحات السكنية ضمن تصور جديد للاقامة الجماعية وللجوار والعلاقات الاجتماعية والصحة العامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميزت العلاقات الاجتماعية بين اعضاء اللجنة بروابط وجدانية وعلاقات غير رسمية في حين كان اتصالهم بالسكان بأساليب رسمية أي عن طريق اعلانات واجتماعات وتحديد ممثلين وتنظيم انتخابات... تقترح اللجنة اسلوبا جديدا للتعامل والتفاعل مع المحيط البيئي والاجتماعي. يتطلب تجسيد هذاالأسلوب ميدانيا جهدا فرديا وجماعيا كالحضور الى الاجتماعات وتقديم الاقتراحات والمساهمة ببعض العمليات الاعلامية كالاتصال ببقية السكان والجيران او بالسلطات الرسمية المحلية والمشاركة في فرق بحث وتفكير... على ان تتم كل هذه العمليات خارج أوقات العمل وضمن علاقات جديدة مع الحيز وبقية سكان الحارة والحي.

تشكل هذه العناصر اسس المشاركة العامة في الحياة السكنية مثلما تفرضها التجمعات السكنية الحالية. يرفض المقيمين بها من الفئات الشعبية أو من الاطارات المشاركة الجماعية بهذا المعنى وبهذه الشروط. يبرز فشل تكوين لجان الاحياء فيالاحياء السكنية او تحديد مهامها هذا الاثبات.

المحاولة الثانية : يوجد على مستوى الحي السكني الجديد لجنة للحي، يجهل الكثير من السكان كيف تم تأسيسها وانتخاب ممثليها ويجهل البعض وجودها تماما. اذا فشلت لجنة الحارة- المتكونة من تجمع أربع 4 عمارات- في مهامها فكيف يمكن ان تنجح لجنة تم تأسيسها على مستوى الحي اي على حيز يضم 50 بناية ؟.

لا يبدو لهذه اللجنة وجودا الا من خلال بعض المناشير والاعلانات التي يتم تثبيتها بمدخل البنايات من حين لآخر وفي بعض المناسبات كالاعياد او الاحتفالات الرسمية... تدعو السكان في كل مرة الى مزيد من الدعم او القيام بيوم تطوعي...تتناول اعلانات اللجنة موضوعات بيئية وأمنية. تناشد السكان المساهمة في اعمالها وتوعد بالقيام باجراءات أخرى... وتطالب السلطات المحلية بتوفير الامكانيات المادية : مكتب وادوات خاصة ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امام انعدام اية استجابة من طرف السكان او من طرف الهيئات الرسمية يفضل اعضاء اللجنة الاختفاظ بالجانب الرسمي الذي يميز عضويتهم كممثلين لسكان الحي لأن ذلك يمكنهم على الاقل من تحقيق مصالح خاصة .

نستخلص من صعوبات تنظيم المشاركة الجماعية في الاحياء الحالية ان الاسس النفسية الاجتماعية الثقافية تحصر التفاعل الاجتماعي في بناء العلاقات الغير الرسمية وفي توفير الحاجات العائلية . فلا مكانة للحيز الخارجي. رغم امتداده المعماري للحيز الداخلي، الا اذا كان اطارا مناسبا لتحقيق هذه الحاجات. ندعم هذا الاثبات بالملاحظات الميدانية التابعة لانجاز الهوائيات المقعرة بالاحياء السكنية الحالية .

3.2 ـ لجنة انجاز الهوائيات المقعرة :

تتناول لجان الاحياء القضايا المتعلقة بالحيز الخارجي في حين تهتم لجنة الهوائيات المقعرة بالحيز الداخلي وبالحياة العائلية . سيكون لهذا الاختلاف تاثير في فشل اللجنة الأولى . . . . ونجاح اللجنة الثانية في مهمتها .

منذ بداية استعمال بعض الجماعات السكنية للهوائيات المقعرة في الجزائر العاصمة لم تفارق بعض السكان فكرة تجهيز مساكنهم بهذه الوسائل الحديثة في الاستقبال التلفيزيوني، الا أن ذلك كان يتطلب تكاليف باهضة . فلا يهدف اللجوء الى المشاركة الجماعية الا وسيلة لتجاوز هذه العقبة .

يعود الفضل في تحقيق مشروع الهوائيات المقعرة بالحي الى سلسلة من الاتصالات الغير الرسمية التي كانت قاعدة انطلاقه . تمّت هذه العلاقات بين بعض السكان وأفراد من مؤسسة خاصة، تقوم باستيراد وتركيب اجهزة الهوائيات المقعرة . شجع الاصل الجغرافي المشترك القيام بهذه العلاقات، كما شجع المجال المهني الواحد لبعض السكان من تبادل الافكار حول المشروع والاتفاق على تنظيم جمعية عامة لتوفير التكاليف اللازمة لتجسيد المشروع ميدانيا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شارك السكان على غيرعادتهم في هذا الاجتماع وكان قبل ذلك من الصعب تنظيم لقاء بهذا الحشد حول موضوع آخر يتعلق بالحياة السكنية. تمت مناقشة الشروط التقنية والمالية للمشروع وفتح قائمة للراغبين في المشاركة. سجل السكان اسماءهم واضافوا اسماء لزملائهم كانوا غائبين عن الاجتماع. قبل ان يفترق الحاضرون تمّ تحديد ممثلين عن كل عمارة ومنسق عام مكلف بالاتصال بالشركة المنجزة.

يبرز بعض المشاركين في الاجتماع سبب اقبالهم على المشاركة بأهمية الاعلام الغربي وثراء برامجه التلفزيونية [1]. يكتفي البعض الآخر بالتحفظ والكتمان جاعلين من مشاركتهم قضية سرية في حين يخادع البعض بمشاركته من جهة وانتقاده للهوائيات المقعرة وابراز خطورتها على الشخصية الجزائرية وفي " الغزو الثقافي ".

أعلن(ي.م) انه رفض المشاركة في استعمال الهوائيات المقعرة لأنها ح أروبي من أجل تهديم مقومات الشخصية الاسلامية..." ويبرر سبب ذهابه الى ا ع باستفسار ما اذا كانت تجهيزات الهوائيات المقعرة لا تؤثر في استقبال الهوائيات العادية. كان(ي.م) يقيم بجوار المنسق العام (صاحب المبادرة.) وأكد معه مشاركته، اصبحت هذه الاخيرة قضية لا جدال فيها. يشكل موضوع الهوائيات المقعرة المحور الاساسي في حديث زوجته حين تتبادل التحيات مع جاراتها في الطابق الاسفل. يصعب توضيح أي الاطراف اشد اهتماما ورغبة في الهوائيات المقعرة: الزوج أم الزوجة أو الاولاد.؟

جسدت جماعة الهوائيات المقعرة مشروعها في الوقت المحدد أى في اليوم الأول من شهر رمضان. يعود ذلك الى المشاركة الجماعية التي رافقت العمليات التي تطلبها المشروع منذ البداية. فالى جانب المساهمة بالمعلومات التقنية من قبل بعض المهندسين المقيمين بالحارة، استضافت العائلات " التقنيون" عند تركيب اجهزة الهوائيات بالمساكن والبنايات كضيوف. قدمت لهم انواع الاطعمة والحلويات... كما شارك بعض الاطفال في توزيع الوثائق على السكان بعد ساعات الدراسة .

---

1) أصيب السكان بخيبة أمل عندما لاحظوا اتجاه الاعلام الغربي اثناء الحرب العراقية والحلفاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصبحت العلاقات الاجتماعية بين الافراد والعائلات واعضاء اللجنة والتقنيون المكلفون بالتجهيز، علاقات غير رسمية متميزة بتفاعل هدفه الاساسي والوحيد تبادل المصالح الخاصة. تُحقق الشركة ارباحا مالية معتبرة ويحقق السكان تجهيزات عصرية بتكاليف معقولة. فالفرصة سانحة لا بد من استغلالها.

نعيد سبب نجاح لجنة الهوائيات المقعرة في مهمتها الى توظيف واحياء عناصر نفسية اجتماعية تابعة للنظام الاجتماعي السابق: كالسرية وانتهاز الفرص واستعمال العلاقات الغير الرسمية والاتجاه نحو اثراء الحيز الداخلي على حساب الحيز الخارجي. لا تجد مثل هذه العناصر في المشاركة الجماعية لتأسيس لجان الاحياء.

لم يخلف تجهيز المساكن والبنايات بالهوائيات المقعرة أي روابط وجدانية اجتماعية جديدة بين السكان، بل أدت هذه الاجهزة الى تهديد السهرات الليلية وتقليل ساعات العمل الرسمية-وخاصة في شهر رمضان- ومتابعة البرامج الاجنبية الى أوقات متأخرة من الليل. تقدم هذه البرامج عروضا خاصة لا يتبادل السكان موضوعاتها إلاّ في حلقات ضيقة. لا تضفي هذه الاجهزة بأي فعالية في الحياة السكنية بالاحياء الحالية بقدر ما تعمل على تقليص فرص لقاء السكان وتفاعلهم ضمن مشاركة جماعية عامة.

نستخلص من تحليلنا لصعوبات تكوين الجماعات باحياء مدينة بومرداس كيف يحول الحيز الداخلي نشاط الافراد الى تحقيق ما يخدم اغراضا عائلية محدودة على حساب الحيز السكني العام والمصلحة المشتركة. تستحوذ العائلات على هذا النشاط وتجعل الافراد عناصر في خدمتها مستعملة في ذلك عوامل نفسية اجماعية تابعة للنظام الاجتماعي السابق.

لا شك أن السؤال المطروح بحدّة سيكون كيف يمكن تجاوز مثل هذه الوضعية. سنشير في نهاية هذا العمل انه من الصعب تقديم اقتراحات او حلولا لمسألة معقدة كهذه، الا أننا نفترض دون ان نحقق ان العناء الذي يتبع مثل هذه الأوضاع البيئية والاجتماعية سيكون له القوة الفاعلة اما في اتجاه تغيير السلوكات وبالتالي تجسيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحول مناسب لاقامة متكاملة واما في اتجاه مكبل للافراد والعائلات وبالتالي البقاء على أوضاع متدهورة أكثر فاكثر الى ان تنتهي اوضاع المحيط السكني والاجتماعي الى تجسيد حياة مرهقة وشاقة تكون اطارا للامراض النفسية والعقلية والعامة ...

لتوضيح درجة العناء السائد لدى سكان الاحياء الحالية بمدينة بومرداس فضلنا التحري بأسلوب ندمج فيه التقنية الاسقاطية بالملاحظة بالمشاركة. مارسنا هذاالاسلوب لتوضيح التناقضات التي تتضمنها آراء السكان واتجاهاتهم نحو تدهور محيطهم السكني.

3 - آراء السكان حول تدهور المحيط السكني.

استعملنا الى حد الآن ملاحظات ميدانية من واقع حيازة السكان للمجال الجماعي لابراز الآليات النفسية الاجتماعية المتحكمة في هذاالواقع.تضمنت هذه الملاحظات ما كنا نشاهده من سلوكات السكان وشكاواهم حول تدهور اوضاع اقامتهم.. استخلصنا ان تدهور اقرب المساحات السكنية للافراد والعائلات ظاهرة تغرس جذروها في اعماق تقاليد السكن في المجتمع الجزائري. يعود سبب احياء مثل هذه التقاليد في الاحياء السكنية الحالية الى ارتباط الآليات النفسية الاجتماعية التابعة للسكن بالاسرةوبالامن وبنظام تحقيق الحاجات الخاصة. فلا يمكن عزل هذه الآليات عن سلوك الاقامة مهما كان اطار السكن ومهما بلغت حداثته.

نتساءل في نهاية هذا العمل عن معاناة السكان وهم يقومون بحيازة اقرب المساحات السكنية بين البنايات ويستعملون المرافق التابعة للعمارات والمساكن. نعتبر هذه المعاناة عنصرا نفسيا واجتماعيا وبيئيا مناسبا لتغيير السلوك والفكر.فما هو واقع هذه المعاناة في الاحياء السكنية المشكلة لميدان الدراسة ؟

لتجسيد التناقضات الوجدانية التي تميز سلوكات الافراد وعلاقتهم بالمحيط السكني فضلنا عرض مجموعة من الصور المعبرة عن تدهور المساحات السكنية المشتركة على مجموعة غير محددة من السكان تم لقاؤهم عن طريق الصدفة بمؤسسة التسييروالترقية العقارية بمدينة بومرداس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1.3 - شروط التقنية المستعملة :

يتداول السكان يوميا على ادارة التسيير العقاري لقضاء حاجاتهم الادارية وقبل استقبالهم من طرف المسؤولين، كانوا ينتظرون بقاعة مجاورة. انتهزنا هذه الفرصة لعرض مجموعة من الصور المعبرة عن تدهور المحيط السكني في الاتجاه المقابل لجلوس الافراد. مكنت مدة الانتظار من مشاهدة الصور وتكوين فكرة عليها. حاولنا بعد ذلك الحصول على هذه الفكرة اما باستشارة السكان، كأن نطلب من أقرب الافراد الينا رأيه حول ما يشاهده او نستفيد من مناقشة تلقائية قد يثيرها بعض السكان حول تدهور المحيط السكني، يكون سببها وجود تلك الصور. نشير ان حجم الصور (24×36) كان مناسبا لادراك الاهمال والاتلاف الذي تبرزه الى المتفرجين.[1]

تتميز هذه التقنية بجانبين اساسيين: الجانب الاسقاطي ويتمثل في ما تثيره الصور من تعبيرات حرة لدى الفرد ويتمثل الجانب الثاني في الملاحظة بالمشاركة بحيث يجلس الباحث مع جماعة السكان بالقاعة وكأنه ينتظر دوره دون علم منهم أنه بصدد ملاحظتهم.

تقدم كل صورة (x) محتوى معيّن يتداخل فيه الجانب البيئي والاجتماعي. يدرك الفرد هذا المحتوى ويعبر عنه بحرية. يشير الفرد الى رأيه ونواحي اهتماماته الخاصة والى ميله الاجتماعي والبيئي... نفس المحتوى تثيره، كما يقول سيد محمد غنيم، الاختيارات الاسقاطية[2]. نفس الاتجاه ذهب اليه ديدي أنزيو حيث إشار الى تعدد العمليات الاسقاطية :" تعتبر الملاحظة العيادية والتحليل النفسي للتحويل والكيفيات الذاتية لتشكيل المفاهيم وايجاد الحلول للمشاكل،موضوعات تابعة لعلم النفس الاسقاط" [3]. يؤكد الكاتب على الترابط بين التغيير في المحيط الفيزيقي والنفسي اذ تعبّر كما يقول:صعوبات التحول في الجانب الاول عن الاضطرابات في الجانب الثاني[4].

---

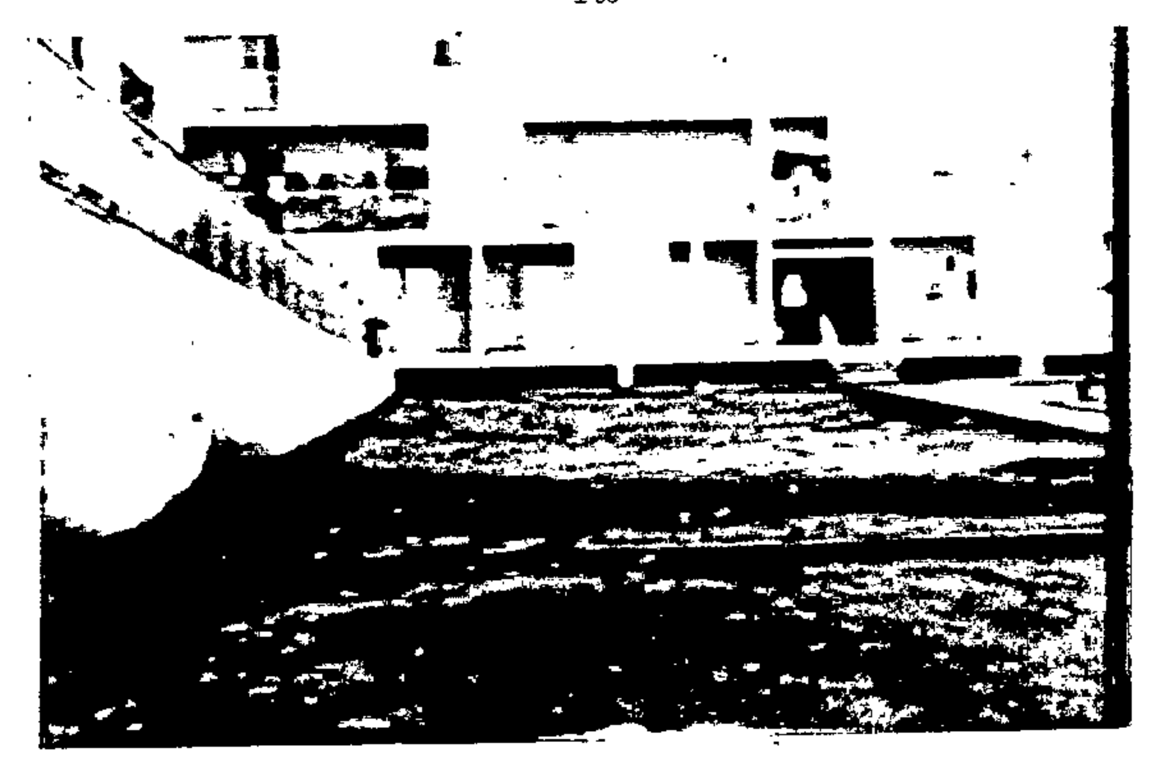
1) انظروا الصور في الصفحة 168، 169، 170.

2) الاختبارات الاسقاطية : دكتور سيد محمد غنيم ودكتورة هدى عبد الحميد. دار النهضة القاهرة 1974. ص 263.

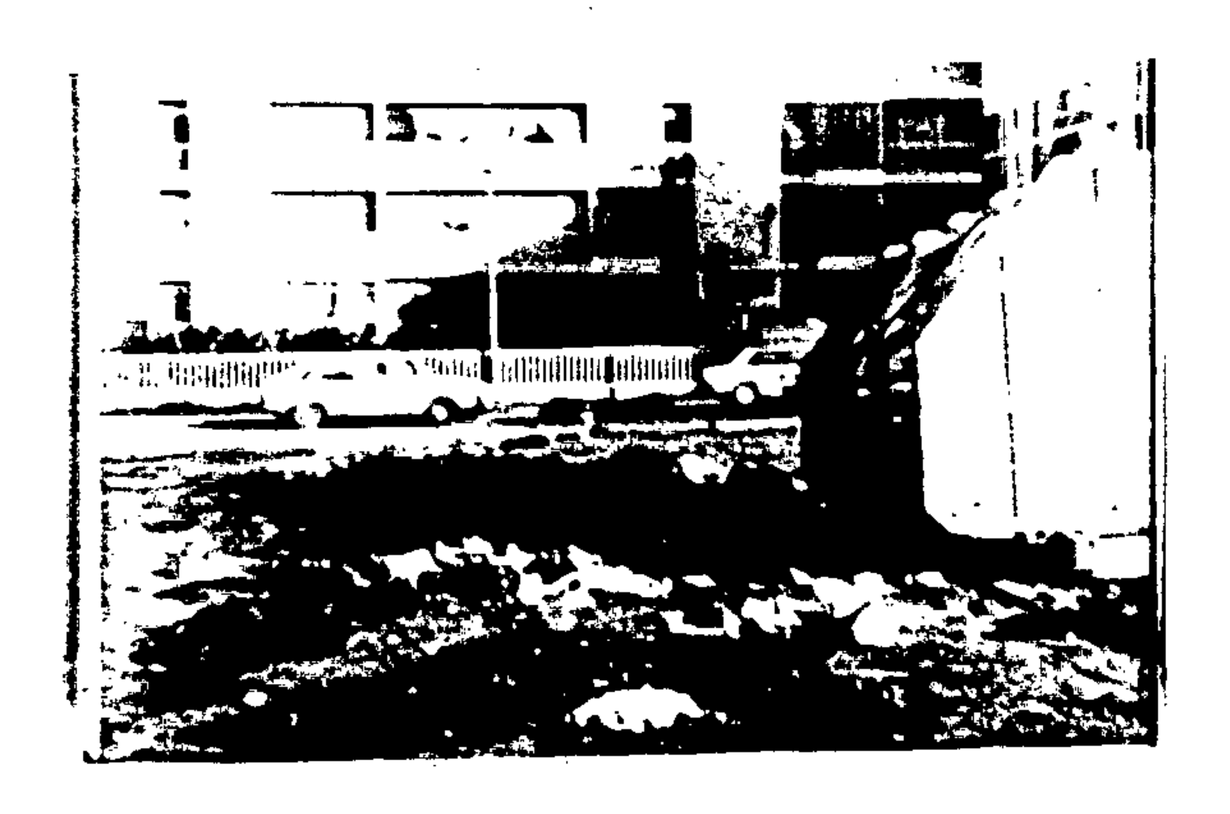
3) ANZIEU (D.); Les méthodes projectives. P.U.F , Paris, 1976, p.263

4) ديدي انزيو: نفس المرجع السابق. ص 290

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



1



2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



3



4

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



5

" من هو المسؤول عن هذه الوضعية و ما هو الحل في رأيك؟"

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمثل الصور المعروضة على السكان مشاهد من واقع اقامتهم ومن محيطهم السكني. فمن ضمن العديد من الصور التي التقطناها من أحياء مدينة بومرداس فضلنا عرض الصور المرتبطة بموضوع البحث والمتعلقة بالمحيط السكني خارج المسكن وداخل الحي.

تضمن المعرض 5 صور: تبرز الصورة الأولى حالة تدهور المساحات الخضـــراء بالحي السكني الشعبي، تمثل الصورة الثانية حالة تجمع القمامة المنزلية بالحي الجديد المخصص للاطارات. تبرز الصورة الثالثة أوضاع الممرات بين البنايات في نفس الحـي بينما تقدم الصورة الرابعة حالة الشرفات و والصورة الخامسة. حالة توقف السيارات على الارصفة بالحي الجديد. ادمجنا هذه الصور ضمن معرض واحد يحمل سؤالا رئيسيا: من هو المسؤول عن هذه الوضعية وما هو الحل في رأيك ؟[1].

نهدف بهذا السؤال استثارة السكان اكثر مما نحاول توجيههم. تبقى الاستجابات حرّة نسجلها كما يقدمها المتفرجون على الصور [2].

من شروط هذه التقنية ان تكون مدة استعمالها مرتبطة بمدى حصولنـــا على المعلومات حول آراء السكان دون ان تكشف حقيقتنا كملاحظين للسلوك. مكنت مدة 5 أيام موزعة على اسبوعين من الحصول على عدد من الاستجابات الهادفة وصلت في آخر التحقيق 30 استجابة.

ينظر الافراد الى المشاهد، يحاولون معرفة موقع البناية أو المسكن الذي تمثله الصورة. تعلو بعضهم ابتسامة غريبة عند اكتشاف موقع الشرفات المكدسة بالثيـــاب والالبسة او عند تحديد الاماكن المتلفة كالفساحات العامة بين العمارات او المساحات الخضراء أو الممرات... لكن لا أحد يجرؤ ان يشير ما اذا كان الساكن يقيم بنفس الحي أو بنفس البناية السكنية التي تشير اليها الصورة (أو الصور).

---

1) انظروا الصورة

2) انظروا الاستجابات في الملحق. ص: 199

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.3: تحليل نفسي اجتماعي لاستجابات السكان:

تأرجحت آراء السكان بين الغموض والتشاؤم والشعور بالذنب ومحاولة ازالته . لم تكن جل آراء السكان على شكل اجنوبة واضحة ومضبوطة ، فمن ضمن 47 استجابة ، سجلنا 30 استجابة واضحة في حين كانت بقية الاستجابات مبهمة وغامضة .

1.2.3: الاستجابات النفسية الجسديّة :

كانت هذه الاستجابات متقطعة وغير واضحة (17 استجابة). عبّرت في جلّهـــا عن الغموض واللا مبالاة ، كانت على شكل حركات جسمية ، كحركات الرأس واليدين والشفاه .. أي لغة نفسية جسدية في غاية من الاهميـة ، لأنها تشير الى وجود معاناة داخلية وعن صعوبة في التعبير والاتصال. فهي اقرب الى الاضطراب النفسي الجسدي منها الى التعبيـــرات المناسبـة .

قدّم بعض الافراد هذه الانفعالات عندما تعلق الامر بتحديد سبب الاهمال العام في المحيط السكني وهذا باستعمال الاشارات التالية " لا أدري برفع اليد او بضمّ الشفـاه وهزّ الرأس..." او باعادة قراءة السؤال " من..هو... المسؤول عن...هذه الوضعية ؟.." تكون الكلمات متزامنة مع حركات الرأس. لاحظنا نفس الحركات عند الاجابات القصيرة والغامضة المتبوعة في الكثير من الاحيان بابتسامات خادعة .

قام السكان بنفس الانفعالات عندما طلبنا من المجيبين تقديم تصوراتهم للحلول المناسبة لأوضاع محيطهم السكني. يتفق السكان على انعدام وجود أي حل مناسب لهـــذا الحيّز ، مؤكدين ذلك بمختلف الحركات الجسدية . عبّر السكان من خلال هذه الاستجابـــات المختلفة على مواقف وآراء متناقضة مع المحيط الخارجي. لم تختلف الفئات الاجتماعيـة في ابراز هذا التناقض الاّ من حيث حدة المعاناة والشعور بالذنب أو ازالته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.2.3: استجابات سكان الحي الشعبي:

تميزت هذه الاستجابات بعناصر نفسية اجتماعية وثقافية ودينية واضحة وخاصة لدى فئات الشباب المتمدرس.عبّر هؤلاء بشكل مباشر على الصور المعروضة باعادة توظيف المفاهيم الدينية السائدة حول النظافة والتربية...نشير ان عرض الصور حول تدهور المحيط السكني قد صادف أوضاعا سياسية متميزة في المجتمع الجزائري، كان فيها ميل الشباب الى التيارات الاسلامية قويا .نفسّر بذلك لماذا تعددت الآراء التي تضمنت التعاليم الدينية .

تتضمن هذه الاراء تناقضات مع المحيط السكني ومع التعاليم الدينية التي تحث على النظافة وحسن التعامل والجوار، بل وتجعل من النظافة شرطا مهما للايمان. فلا تجوز العبادة الا بجسد وروح ومكان طاهر .لا تعبّر الممارسات الاجتماعية في الاحياء الحالية على فعالية هذه التوجيهات. تنحصر التعاليم الدينية بصفة عامة في المجالات الكلامية مثلما تبرزه هذه التدخلات:

((يوصي الاسلام بالنظافة :نظافة الجسم والروح والخلق...اذا أردنا أن نكون طاهرين فعلينا بالصلاة. تنهي هذه الاخيرة عن الفحشاء والمنكر، يدعو الاسلام الى طهارة الانسان أي طهارة ونظافة جسمه وهندامه وبيئته...)).يبتسم معبرا عن اقتناعه ثم ينصرف.

((بسم الله الرحمن الرحيم. تمثل هذه الصورة (امتثال مدرسي) كثرة الاوساخ[1] يعود ذلك الى فساد الاخلاق وابتعاد الناس عن الاسلام والايمان.لأن النظافة أوحى الرسول(صلعم) عليها. فالنظافة من الايمان والرجس من الشيطان... ابتسامة الاقتناع ثم يضيف:" المؤمن يكون طاهرا في روحه وجسمه وبيئته.."

يتفق هذا الاتجاه مع عنصر ثاني يميز استجابات السكان من الفئات الشعبية والمتمثل في حالة الرفض أو الغضب. تعود هذه الحالة الى كبت مشحون منها الى واقع

---

1) يتجه الشاب نحو الصورة رقم: 2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملموس. فلا تمثل الصور المعروضة على السكان الا مثيرا لتنشيط هذاالانفعال وابـــرازه على السطح. تتجه الآراء نحو انتقاد الغير وانتقاد الهيئات العامة بعيدا عن ادماج السكان انفسهم في الظاهرة ككل. تبين هذ الاتجاه بالاستجابة التالية :

" لا يكفي عرض هذه الصور ليغير الناس من تقاليدهم . لا بد ان تتدخل التلفزة وتقدم كلّ يوم مناظر حقيقية عن السكن في الاحياء الجماعية الحالية .ان التلفزة غائبـــة عن الحياة الاجتماعية ، عن كل هذا (مشيرا الى الصور) لأنها لا تهتم الا بالاحزاب والحكومات وبالافلام الامـريكية ...".

يعبر هذاالاتجاه عن استعمال اسلوب مبهم وغامض يعقد ظاهرة تدهور المحيط السكني اكثر مما يوضحها. يلجأ السكان الى مبررات دينية واعلامية بهدف التخفيـــف من الشعور بالذنب الذي يتبع اهمالهم لأقرب المساحات السكنية . يعيدون بذلك هـذا الاهمال الى اسباب خارجية لا يمكن التحكم فيه . نفس الإتجاه كان سائدا في النظـــام الاجتماعي السابق عندما كان المحيط الخارجي مقدسا لا تتحكم فيه الآ قوى خفية .

يشمل هذاالاتجاه الى جانب آراء السكان نحو المساحات السكنية خارج المساكن وداخل الاحياء، أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . يؤدي انعدام التحكم في هذه الأوضاع الى عمليات واجراءات تعالج القضايا الفرعية والثانوية منها ضبط الجوانـــب الرئيسية ، مما يجعل الفرد في تبعية للمحيط الخارجي وضحية له . يتضح هذا الاتجـــاه في استجابات السكان عندما يبدون ضعفا وجمودا في تفسير ظاهرة تدهور المحيط السكني وتصور الحلول المناسبة له ، مثلما تشير اليه الاستجابتين التاليتين:" هناك مناظر مرعبة في الحي السكني اكثر من هذه لو تمّ عرضها في التلفزة لقال الناس ان المقيمين بهـذا الحي اشبه "بالحيوانات". "واش تحب هذه هي الحالة ، الله يسطر ا لا ندري أين نحن متجهون ؟ انظر ماذا فعل "العرب" بالحي السكني، بالبنايات، بالمساحات العامة"..

تكبل هذه الوضعية سلوكات السكان وتحددمن فرص تغيير نمط حيازتهم للمساحات السكنية وتفاعلهم الاجتماعي مما يترك المجال للتشاؤم والشعور بالذنب. يتضح ذلـــك بشكل بارز في آراء السكان واستجاباتهم حول تدهور محيطهم السكني:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واش تحب، هذه هي الحالة، لا أحد يفكر في ايجاد الحل لهذه "المصيبة"..
هكذا ولا اكثر"." لم تخصص مدينة بومرداس للرعاة والزاحفين من الريف والنتيجة
ها هي مشيرا الى الصور رقم :1و 2 و 5 .

يستبعد السكان من خلال استجاباتهم الحلول المناسبة لأوضاع اقامتهم وخاصة الحلول المنبعثة من تغيير سلوكاتهم وافكارهم. لا يكوّن المتدخلون تصورا عاما لأوضاع اقامتهم، يركّز السكان على الصور الواحدة تلوى الاخرى وكأنها تقدم مشكلات مستقلة عن بعضها البعض. فلا يكون المستجيبون علاقة بين تدهور المساحات بين البنايات واستعمال الشرفات واتلاف سلاليم ومداخل العمارات...لا يبرر السكان هذا الاضطراب بصعوبات حيازة المجال الداخلي بزيادة الكثافة السكانية والنمو الديموغرافي وضيق المساكن وبعدم انسجامها مع الممارسة الاجتماعية للسكن والاقامة الجماعية... فكل صوة تقدم مشكلة بيئية واجتماعية لا يستبعد السكان مسؤوليتهم فيها، لكنهم لا يقدمون حلولا مناسبة لتجاوزها بل لا يرون أي حلّ ممكن لها . نفس النتيجة امكن استخلاصها من خلال استجابات سكان الحي المخصص للاطارات .

3.2.3 : استجابات سكان الحي الجديد المخصص للاطارات

تميزت هذه الاستجابات بالغموض، فلا يعيد أصحابها سبب اهمال المحيط السكني الى أية جهة محددة، هذا الى جانب آراء السكان الذين يعيدون اهمال المساحات السكنية الى اسباب سياسية واعلامية وايديولوجية وحضارية دون تقديم تحليل مناسب يوضح العلاقة بين هذه المفاهيم والممارسة الاجتماعية بالاحياء السكنية الحالية .

يعبر هذا الاتجاه عن استعمال اسلوب مبهم وغامض تعبيرا عن صعبة التحكم في هذه الظاهرة وتعبيرا عن المعاناة وصعوبة تجاوزها ميدانيا .

تشل هذه الحالة سلوكات السكان وتحددمن مبادراتهم . فعندما يعيدون سبب اتلاف المساحات السكنية للاحياء الحالية الى الاعلام والتلفزة او الى جهات عمومية، فان ذلك يغطي دورهم في حدوث هذه الظاهرة ويخفف من شعورهم بالذنب. تصبح المسؤولية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملقاة على المجتمع والدولة والحضارة والثقافة كمفاهيم خارجية عن ارادتهم وعن الحياة الاجتماعية .ندعم هذاالاثبات بالتدخلات التالية :

((تعبر هذه الصور عن نقص واضح للوعي. فالدولة لم توع الناس بأهمية هذه المرافق(مشيرا الى الصور...)، أضف الى ذلك أن اهتمام كل فرد وعائلة اصبح يتجه كلية نحو المصالح الخاصة على حساب الفائدة العامة.))

" هذه مسألة حضارية تتجاوز الجميع.من تريده يهتم او ينشغل بهذه المساحات السكنية ؟ الوالي، رئيس البلدية ؟ مدير ديوان الترقية والتسيير العقارى ام السكان؟ لا أحد. ستبقى هذه الأوضاع على ما هي عليه . ليس هناك أي حل، الآ الفوضى."

" ليس هناك أي حل لهذه الأوضاع، ستبقى الامور على ما هي عليه ان لم تتدهور اكثر فاكثر. فالى جانب غياب الدولة يعرف الناس مشاكل معقدة يوما بعد يوم .فمن تريده يفكر في قضايا البيئة والمحيط والصحة العامة ؟."

يمكن أن نضيف العديد من هذه الاجابات التي عبّر عنها السكان مشيرين في ذلك الى أهمية الجوانب الثقافية والتربوية والاعلامية في تجاوز مظاهر التدهور التي يعرفها المحيط السكني بالحي الجديد.

ان تفسير تدهور المحيط السكني باستعمال مفاهيم التربية والثقافة والتحضّر اسلوب موضوعي ومقبول، الا اننا لاحظنا توظيف هذه المفاهيم من قبل المتدخلين لاخفاء تفسير واقعي ملموس لا يأخذ بعين الاعتبار دور الافراد والعائلات والاطفال والمؤسسات العامة. كما لم يشر كذلك المتدخلون الى الصعوبات الناجمة من حيازة مرافق وبنايات معمارية غير مناسبة مع اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المحلية .

%

يفضل سكان الحيّ الجديد توظيف مفاهيم غامضة ومبهمة كالوعي والثقافة لأنها تخفي الصعوبات التي تحول دون تغيير سلوكاتهم لتتلاءم وحيازة المجال الخارجي للمسكن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالاتجاه نحو الغموض أيسر من التوضيح وازالة التعقيد.نفس النتيجة تميز آراء السكان عند التشاؤم والشعور بالذنب .

يعيد سكان الحي الجديد اسباب اهمال محيطهم السكني الى"الغير" دون تحديد أو تشخيص هذاالغير.انه كل فرد بالحي السكني. فالغير لدى المستجيبين هو ذلك الساكن الغير المرغوب فيه، لكنه موجود باستمرار وفي كل مكان...هذا الغير هو الصورة الحقيقية لكل ساكن، هو الصورة المشوهة للفرد والعائلة... الصورة التي يرفضهاالسكان والتي ينفرون منها ويسخرون منها ويصفونها بأدنى الكائنات مثلما تشيراليه هذهالاستجابات.

" انتشرت الحشرات والأوساخ في كل مكان واصبح وجود الفاذورات امرا مألوفا. نفس الشيء تعرفه الانارة سلاليم العمارات والفساحات بين البنايات..".

((واش تحب هذه هي حالة بومرداس. الله يسطر. لا ندري اين نحن متجهون؟ انظر(متجها الى الصورة رقم 2) ماذا فعل ' الناس' بالحي السكني بالبنايات السكنية ، من المفروض ان هذا الحي وهذه البنايات مخصصة للاطارات. اطارات آخر الزمن)).
يضحك ثم ينصرف.

يسمح الحديث عن الغير كسبب رئيسي عن تدهور المحيط السكني من ازالة الذنب والتخفيف من حدته ومن حدة العناء وتسمح كذلك بالتناقض بين التعبيرات المعلنة والسلوكات الفعلية أو الممارسة الاجتماعية بالاحياء السكنية الحالية. نعيد هذاالتناقض الى فعالية العوامل النفسية الاجتماعية التي تتخذ من المحيط الخارجي ومن المرافق التابعة له كمساحات خارج الحياة السكنية لا يتحكم فيها أي تنظيم .

رغم حاجة الاطارات الى الراحة والهدوء والى محيط بيئي متكامل فاناستجابتهم لا تتضمن أثر تدهور المساحات السكنية على نشاطهم المهني وعلى أوضاعهم الصحية والاجتماعية... يركز الاطارات على مجمل الصور لادراكم للعلاقة التي تربط بينها وتكوين فكرة عامة. يشاطر سكان الحي الجديد نفس الآراء التي استخلصناها من تحليل استجابات

الفئات الشعبية والخاصة بازالة الشعور بالذنب والاتجاه نحو الغموض والتشاؤم واستحالة ايجاد حل لأوضاع المحيط السكني واعتبار تدهور المساحات السكنية مسألة خارج الحياة السكنية وخارج ارادة السكان.

تكمن هذه الحالات لدى الفئتين الاجتماعيتين من ازالة الشعور بالذنب وتخفيف المعاناة الكفيلة بدفع السكان الى تغيير افكارهم وسلوكاتهم اتجاه المحيط السكني. تتجه الفئات الشعبية شعوريا او لا شعوريا نحو ادماج اضطراب اقرب المساحات السكنية ضمن التدهور العام لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في حين يرى الاطارات ان الظاهرة أقوى من أن يتحملوها ويتحملوا اعباءها، وعليه فهم يعملون بـ " المهم تخطيراسي" وبذلك تعاش ظاهرة تدهور المحيط الخارجي كعملية خارج الحياة السكنية ومستقلة عن ارادة السكان مثلما كانت معاشة في النظام الاجتماعي السابق.

تقف الهندسة المعمارية الحالية عاجزة امام فعالية العناصر النفسية الاجتماعية التابعة لنظام الاقامة السابقة. تجد هذه العوامل في كل فرد وكل عائلة فرصة للفعالية والنشاط فتؤثر في السلوكات والافكار وتوجه نمط حيازة السكان للمساحات السكنية الحالية بحيث تفرغ الابعاد المعمارية للمساكن والبنايات الحالية من مضمونها الاجتماعي والثقافي فتمسخها.

نستخلص من تحليلنا لاستجابات السكان للصور المعروضة حول تدهور المحيط السكني ان العوامل النفسية الاجتماعية توجه جل السلوكات والافكار والتصورات. رغم التناقض الذي تحدثه مع مفردات العصرنة السائدة في نمط البناء وانجاز الاحياء السكنية الا أنها تتمكن من تخفيف المعاناة التي يمكن ان تتولد من هذا التناقض وتجعل من الاضطراب في الحياة السكنية أمرا مألوفا لا يثير أي انشغال وبالتالي أي تغيير. هذا ما يجعل تدهور المحيط السكني ظاهرة عامة فشلت الى حد الآن العديد من العمليات التي رغبت في التخلص منها ومعالجتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصل بهذا التحقيق إلى استخلاص أساسي: لا يمكن معالجة قضايا الحياة الاجتماعية الا بابراز العوامل النفسية الاجتماعية والثقافية المتحكمة فيها. ولا يمكن الوصـــــول الى هذه الأخيرة الا بدراسة النظام الاجتماعي الذي تنغرس فيه ونقصد بذلك النظـــــام الاجتماعي التقليدي. لا يزال هذا الأخير يؤثر في الحيوية الاجتماعية مميزا بذلـــــك صعوبات التحول الاجتماعي في ميادين عديدة : كالسكن والجوار واستعمال المحيـــــط الخـــارجـــي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخـــاتمـــة

يواجه المجتمع الجزائري حاليا تحديا خطيرا داخليا وخارجيا. يتمثل التحدي الداخلي في مواجهة أزمة خانقة من جرّاء الاضطرابات في المجالات السياسية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. تشل هذه الاضطرابات المجهود التنموي وتعمل على تعميق مظاهر التخلف في عدة جوانب من الحياة الاجتماعية. يتمثل التحدي الخارجي في تطور المحيط الدولي نحو اعادة هيكلة المعمورة وفق موازين ومفاهيم جديدة. تتحكم هذه الاخيرة في العلاقات الدولية الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتنظم في آن واحد الادوار والمكانات المستقبلية للشعوب والامم. يتحدد من جراء ذلك النظام الدولي الجديد وتتحدد معه المجتمعات القوية والمهمشة والضحية ..

لكي يتخلص المجتمع الجزائري من مظاهر التخلف ويؤدي دورا فعالا ضمن النظام الدولي الجديد، عليه أن يحقق الاهداف التنموية بالاعتماد خصوصا على امكانياته المادية والبشرية والعلمية وأن يعود الى استعمال العبقرية المحلية. تقف عدة عوامل أمام عملية ادماج هذه العناصر ضمن المسار التنموي لتجسيد التحول الاجتماعي المتكامل، وخاصة الصعوبات التي تحدث بفعل سلسلة من الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التابعة للنظام الاجتماعي. تُفرغ هذه الآليات مخططات السكن من مضمونها وتعرقل انتقال المجتمع من النظام التقليدي للاقامة الى نظام جديد وبالتالي تجعله يتخبط في مشاكل متتالية .

تبين الحياة الاجتماعية الحالية هذه الصعوبات بحيث آلت عناصر التنمية في المجتمع الى طريق مسدود ونقصد بذلك: انعدام تحقيق التنمية لأهدافها عن طريق عمليات التعاون الاجنبي واستيراد التكنولوجيا وبيع المحروقات. تحولت هذه الاخيرة الى نقمة على الافراد والعائلات، عكس ما كان سائدا قبل استفحال الازمة الاقتصادية وانخفاض اسعار البترول في الاسواق العالمية. تركزت التنمية على هذه العناصر لانجاز قاعدة مادية لبناء المجتمع الجديد وتكوين الفرد الجديد والعائلة الجديدة على حساب العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية. كانت هذه العوامل اما مبرمجة للمرحلة اللاحقة من البناء المادي واما كان تحولها منتظرا كحتمية مباشرة لهذا البناء كالنمو الديموغرافي والزحف الريفي وانتشار الأمية ... استطاعت هذه العوامل بفضل عمقها في البنية النفسية الاجتماعية للفرد والجماعة من شل السلوكات وتقليص الحيوية الاجتماعية وافراغ كل انجاز عمراني أو صناعي أو تعليميّ من محتواه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تحقق التنمية من جراء ذلك الا أهدافا محدودة كأكبر مصنع وأكبر شركة وأطول طريق أو تنظيم أهم لقاء سياسي... دون أن تحدث هذه الانجازات تغيرات في السلوكات والذهنيات. بقيت المصانع والمؤسسات والمدارس بدون فعالية ملموسة ومؤثرة على الحياة الاجتماعية.

اصبحت التبعية الاقتصادية ثم السياسية للدول الصناعية ولمؤسساتها المالية هي النتيجة المباشرة لمثل هذه الأوضاع. لا تزال الاضطرابات المختلفة تتعمق يوما بعد يوم نتيجة الفوضى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. تتفق الكثير من الكتابات الصحفية والمقالات العلمية بأنه لا يوجد قطاع يؤدي الدور المنوط اليه. تعم الفوضى كامل الحياة الاجتماعية وتمس أدق وابسط السلوكات والتعاملات بين الافراد والجماعات.

رغم عمق الأزمة التي يعرفها المجتمع الجزائري وتداخل أبعادها التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فان البحث عن الحل او البديل لا يشمل ادماج الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية المحلية والانشطة العلمية في المسار التنموي. يفضل البعض مرة أخرى العودة الى المحروقات والى التعاون الاجنبي او اقتراح نظم ايديولوجية غريبة عن المجتمع الجزائري تحت عذر العصرنة والحداثة، تجعل أطراف أخرى من التعاليم الاسلامية عناصر اساسية لبناء المجتمع الجديد. فاين الحل المناسب ؟

لسنا هنا بصدد اقتراح حل مناسب - لأنه لا يوجد حل جاهز يمكن الأهتداء اليه بسهولة - الآ أننا نوضح انطلاقا من ظاهرة بيئية واجتماعية وبخطوات علمية، فشل النموذج التنموي في مجال السكن نتيجة فعالية سلسلة من الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية التي تتحكم في الحيوية الاجتماعية بالاحياء السكنية الحالية وتوجهها.

لابراز ذلك وجهنا انشغالنا منذ البداية الى الفرد والعائلة لكونهما محورين أساسيين في الحياة السكنية بكل ما يحملانه من تداخل وتأثير متبادل وما يجسدانه من ترابط بالعوامل النفسية الاجتماعية والثقافية السائدة. تشكل العائلات منبع هذه العوامل ويشكل الفرد جسرا فعالا في عملية اعادة توظيفها في مختلف مجالات الحياة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تحمل النماذج المعمارية للمباني السكنية الحالية مقاييس هندسية واجتماعية تساعد على حيوية هذه العوامل. تقل المرافق الثقافية والترفيهية وتنعدم الانشطة الرياضية لمختلف الفئات الاجتماعية . تبدو الاحياء السكنية الحالية وحدات مستوردة من المجتمعات الغربية كبقية المواد المستهلكة الاخرى، فلا يتعدى الهدف من انجازها حل مسألة السكن لأكبر عدد ممكن من الافراد والعائلات على أمل تغيير السلوكات والافكار بفعل الاقامة الاجبارية بها .

عندما نتكلم عن العوامل النفسية الاجتماعية والثقافية فاننا نعني بها تلك الآليات التابعة للتقاليد والخبرات السلوكية والتصورات الاجتماعية المتحكمة في الحيوية الاجتماعية كالشرف وعلاقات الجوار والتعاون والمراقبة الاجتماعية والفصل بين الحيز الداخلي والخارجي وبين الجنسين وتقديس المحيط... امتدت هذه التقاليد عبر مراحل تارخية متتالية كالمرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر والمرحلة الممتدة من سنة 1830 الى غاية 1954 ثمّ المرحلة التحريرية وبعد ذلك المرحلة ما بعد الاستقلال حين انطلقت التنمية وبناء المجتمع الجديد.

حافظت التقاليد الاجتماعية على فعاليتها رغم تعاقب هذه المراحل، الواحدة تلوى الاخرى على المجتمع الجزائري. فهي تتواجد ضمن الخاصيات العشائرية والقبلية والعائلية الريفية التابعة للمراحل السابقة لا تزال هذه العوامل تتواجد بشكل قوي في المرحلة التنموية ، اذ نجدها تؤثر لا شعوريا في توجيه السلوكات والافكار وتحدد علاقة الافراد والعائلات بالمحيط الخارجي وتنظم التفاعلات الاجتماعية .رغم التحولات التي طرأت على الحيز السكني وعلى الاوضاع الاقتصادية فان المحيط الخارجي لا يزال مهملا والعلاقات بين السكان مضطربة وفوضوية لا تعرف تنظيما معينا . تلاءمت العوامل النفسية الاجتماعية والثقافية مع كل مرحلة من المراحل السابقة الى أن أصبحت في الفترة الحالية تشكل مانعا هاما يحول دون تحقيق التنمية في مجال السكن لأهدافها الاجتماعية والاقتصادية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمثل الحياة السكنية مخبرا ملائما للتحقيق في فعالية هذه العوامل، بحيث نعيد اليها أسباب العديد من الاضطرابات في المحيط السكني وفي العلاقات الاجتماعية بين السكان. تحدث هذه الاضطرابات نتيجة الصراع القائم بين ما كان ينشط الحيوية الاجتماعية في النظام الاجتماعي التقليدي في ميادين السكن والجوار و الاجتماعي وتحقيق الحاجات المادية وبين متطلبات الحداثة والعصرنة .

فبعد أن كان النظام الاجتماعي السابق ينظر الى المحيط الخارجي كحيز فوضوي تستحيل السيطرة عليه أصبح هذا الحيز امتدادا معماريا أساسيا للحياة الاجتماعية ومجالا للتفاعل الاجتماعي. يؤدي اهماله الى احداث اضطرابات مختلفة/ تصل الى حدّ عرقلة مسيرة المجتمع وازدهار الفرد والعائلة .

اذن نحن أمام حتمية تحول نوعي في مجال السكن والمحيط والانتقال من أوضاع كان ينحصر فيها التحضر في مجال مديني ضيق لا يسع الا لتحقيق حاجات محدودة ، الى أوضاع سكنية يخضع فيها التحضر الى التنمية والتصنيع والتكنولوجيا بشكل متزايد. تمثل الهندسة المعمارية الحديثة احدى الوسائل الوظيفية المستعملة لتحقيق الانتقال من النظام الاجتماعي السابق الى الأوضاع الحالية . يتم هذا الانتقال على شكل قطيعة بالعوامل النفسية الاجتماعية التي كانت موجهة للحياة السكنية كالجوار والتعاون والتعامل بالمحيط الخارجي...

لا يطمح العمران الحديث تجسيد تحولات في مجال السكن والاقامة فحسب، بل يسعى الى احداث تغييرات في البنية الاجتماعية وفي علاقة الافراد بالمحيط البيئي والتفاعل الاجتماعي بحيث يهدف الى تقليص حجم الاسرة وتحويلها الى وحدات اجتماعية متشتتة عبر الحيّز ومترابطة بمعايير وقيّم اجتماعية جديدة . من المفروض اذن أن تحقق شبكة من العلاقات الاجتماعية في الاحياء الحالية يتخذ فيها الجوار والتعاون والعلاقة بالمحيط معاني جديدة .

تفرض الهندسة المعمارية الحديثة نمطا للانتقال من النظام الاجتماعي السابق الى أوضاع جديدة عن طريق النماذج السكنية الحالية . تشكل العمارة العمودية الحديثة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احدى بنياتها الاساسية . يتصف هذا الانتقال باحداث قطيعة مع أشكال السكن الريفية والحضرية القديمة بحيث تطغى العمارات العمودية الجديدة على السكن الاجتماعي في المدن والارياف على حد سواء. فالى جانب عدم الاعتراف بالسكن القديم، يتم اعتبار هذا الاخير كمرحلة متخلفة وجامدة لا توحي بأي فكرة مستقبلية .

تصبح الاحياء السكنية الحالية وحدات سكنية متكررة بدون هوية أو ثقافة محددة، فلا هي أروبية تابعة للحضارة الغربية ولا هي نماذج محلية . تتصف بشكل متزايد بالاضطراب في الحياة السكنية، تعرقل ازدهار الاشخاص والعائلات وتقلص الحيوية الاجتماعية نتيجة المعاناة النفسية و الصراعات اليومية و اهمال الساحات السكنية .

من المفروض أن لا تكون الهندسة المعمارية علما محايدا عن التقاليد الاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمع معين، لأن سلوك البناء سلوك اجتماعي وثقافي واقتصادي في آن واحد. ترتبط مخططات السكن بالأوضاع الاقتصادية وبنمط التفكير والتصور الاجتماعي للعلاقة بالمحيط الفيزيقي والاجتماعي .

ان اكثر الموضوعات اثارة للجدل في الهندسة المعمارية الحديثة هي أسلوب العيش في مجتمع معين بكل ما يحمل أفراده من تقاليد حوافكاروتصورات توجه التعاملات والتطلعات المستقبلية ...فان الهندسة المعمارية هي فنّ تجسيد هذه العناصر على الحيز السكني. تتحكم قواعد علمية محايدة في انتاج مؤاد البناء وتقنيات الانجاز في حين تخضع مخططات السكن الى الاتفاق العام والتصور الجماعي. مما يجعل من عملية بناء المساكن والاحياء مشاريع اقتصادية يستنفذ فيها الفرد والجماعة مجهودات علمية وخيالية مترابطة مع الواقع المعاش.

يجسد استعمال واجهات المساكن والعمارات الزاوية التي من خلالها يتم ابراز العلاقة بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي من جهة والعلاقة بين الحياة الخاصة والحياة العامة من جهة أخرى. تتضمن جل الابعاد المعمارية للمباني السكنية هذه العلاقة . مهما كانت الأوضاع الاقتصادية وتطور تقنيات البناء والانجاز، يبقى المهندس المعماري يعطي وحده الخاصية المعمارية والاجتماعية والثقافية لهذه العلاقة .تكون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــــــواجهة الخارجية اما على شكل امتداد معماري بين الحيز الداخلي والحيز الخارجي واما على شكل تباين وتعارض بين الحيزين يكون الحيز الاول مغلقـــــــا على الحيز الثانـــي

لماذا يرفض المهندس المعماري هذا الاختيار ويتجه نحو المثاقفـــــــة (Acculturation •) بانتهاجه الاختيار السهل وتبنيه النماذج الغربية بدون تحويل او تغيير ؟

ان غيّاب وسط الدار او الحوش في البناية الجماعية الحالية لم يعوضه حيز مناسب يؤدي نفس الدور الاجتماعي التابع لنظام الاقامة السابق ولم يستبدل بحيز انتقالي يساعد السكان على التحول والانتقال من حيازة وسط الدار الى استعمال الشرفة الممتدة نحو الخارج. أدّى ذلك كما لاحظناه الى انعدام استعمال واجهات العمـــارات استعمالا وظيفيا متناسقا . لا تزال العائلات تستعمل الشرفات لأغراض منزلية محدودة ، تهملها تارة وتدمجها ضمن الحيز الداخلي تارة أخرى. لاحظنا كيف تنعدم الشرفـــة الخارجية كبعد معماري واجتماعي في نمط حيازة السكان للعمارات والاحياء الحالية .

نفس الخاصية يمكن ملاحظتها بالنسبة للعديد من الابعاد المعارية للمساكـــن والمباني والمرافق التابعة لها كالسلاليم ومداخل العمارات والانارة العامة وموقف السيارات وملاهي الاطفال والفسحات الخضراء... لا تخضع هذه الجوانب الى أيّ مقياس اجتماعي او ثقافي محلي عند استعمالها اليومـي.

انطلاقا من الاسئلة التالية : لمن نبني ؟ وكيف نبني ؟ وما هو الهدف من البناء يمكن للهندسة المعمارية ان تحدث التغيير في السلوكات وتجسد الفعل التربوي المنوط اليها . يفضل مصمموا المساكن والمباني وممولو مشاريع السكن الاكتفاء بالاساسيات عند البناء مما يعطي وحدات سكنية متكررة ، لا ينظر من خلالها الى الافراد والعائـــلات المقيمة الاوحدات خالية من كل اعتبار نفسي اجتماعي او ثقافي. تتجه المخططـــات السكنية نحو تحقيق أغرض مالية رغم أن مجال تطبيقاتها مفردات من الحياة الاجتماعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالفرد والاسرة والحارة... فلا تجسد الهندسة المعمارية من جراء ذلك الا انتقالا شكليا من هندسة معمارية تلقائية وعفوية، أين كانت مشاركة الفرد والجماعة اساسيةفي تحديد المقاييس الهندسية للمباني والمساكن، الى هندسة معمارية تغيب فيها هذه المشاركة ويتم انجاز المساكن على نطاق صناعي واسع .

ان ملاحظة تدهور أوضاع السكن الحالية تبرز عنف التغيير في السكن والانتقال السريع من النماذج التقليدية الى النماذج الحديثة وتعبّر عن شدة رفض الافـــــراد والعائلات لمثل هذاالانتقال رفضا لا شعوريا. دعونا كل التحويلات التي يدخلهاالسكـان على الابعاد المعمارية للمساكن والعمارات بالهندسة المعمارية المضادة. تفصل هذه الابعاد بين الحيز الخاص والحيز العام، بين المكان المخصص للمرأة والعلاقـــات الجنسية والانجاب والشرف... وبين المكان العام والحيز الفوضوي والخطير... أي أنها تعبير للرفض في اتجاه ادماج كلا الحيزين الداخلي والخارجي في اطار سكنـــي متكامــل.

عند قراءة مخططات السكن لاحظنا ان ما حققته الهندسة المعمارية من نجـاح في تصميم الابعاد والمقاييس يعود الى خيال المهندس وابداعاته الفنية، لكن ماحققته الهندسة المعمارية في هذاالجانب فشلت في تحقيقه في الجوانب الاجتماعية والثقافية أي في تغيير السلوكات والافكار وفي تقاليد الاقامة الجماعية واستعمال المحيـــط والتعامل بين الناس. لا تزال العائلات توظّف عوامل نفسية اجتماعية تابعة للنظـام الاجتماعي السابق عند حيازتها للمجال الخارجي للمساكن وداخل الاحياء وعند تفاعلها الاجتماعي. فسّرنا بذلك سبب الاهمال العام لهذا الحيز في أغلب التجمعات السكنية ووضحنا كذلك صعوبات تنظيم السكان في لجان وهيئات تتخذ من محيطها البيـــئي والسكني عنصرا من عناصر تفاعلها وتعاملها.

يخفي تمسك الافراد والعائلات بالعوامل الاجتماعية والثقافية شعورهمبانعدام الامن نتيجة غيّاب نظام القيّم الذي يوجه التفاعلات الاجتماعية والعلاقات بين الافراد والعائلات. يعمل الفرد من جراء ذلك بمقولة جحا: " المهم تخطي راسي" عند تعاملـه بقضايا المحيط الخارجي وكأنّ هذه الاخيرة ليست الا أجزاء مستقلة عنه وعن عائلتـــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحياته الخاصة . ليس هذا السلوك غريبا عن المجتمع الجزائري، فاستعمال الحيلة والخداع وانتهاز الفرص كانت أساليب عملية لتحقيق الحاجات المادية من الطبيعة . كان الجوار والتعاون والمراقبة الاجتماعية ، بفضل الحيوية الاجتماعية والتعاملات القائمة حولها ، تعوض ضعف التقنيات وتخلف الاوضاع الاقتصادية مما جعل منها أسسا للعلاقات الاجتماعية بين السكان.

يجدد الفرد هذه العلاقات بامتثاله لمعاييرها واعادة استعمالها في مختلف سلوكاته وافكاره رافضا بذلك أي تحول او تغيير بها .

ان رفض التغيير يمكن أن يكون خاصية عامة لدى العديد من الافراد . يعود ذلك، لما يحمله كل جديد من صعوبات ومتطلبات تغيير السلوك والاندماج . تكون هذه العملية ، بشكل عام ، على مستوى الفرد او الجماعة الضيقة بحيث يمكن أن يرفض الشخص او الجماعة بعض الجوانب من ظاهرة معينة ويقبل بعض الجوانب الاخرى من نفس الظاهرة ، نظرا الى اختلاف الميول والطباع الفردية . لكن عندما تصبح حالة الرفض خاصية عامة وشاملة تمس العديد من الفئات الاجتماعية ، فانها تتحول الظاهرة الى عقبة خطيرة أمام تجسيد التحولات الاجتماعية الضرورية للتطور الاجتماعي والحضاري.

يتخذ رفض السكان للنماذج السكنية الحالية مظاهر خادعة تتناقض فيها التعبيرات المعلنة مع السلوكات الفعلية . رغم الاقامة المتزايدة بالعمارات والاحياء السكنية الجديدة فان السلوك الاجتماعي للاقامة الجماعية لم يتغير . لا يزال المحيط السكني الخارجي مهملا لا يعرف تنظيما اجتماعيا معينا ، لا تزال التفاعلات الاجتماعية تتجه نحو تحقيق اغراض عائلية محدودة على حساب المصلحة العامة . يختلف الافراد في درجة معاناتهم النفسية نتيجة تدهور محيطهم السكني وبالتالي تختلف رغبتهم في ادخال التعديلات على السلوكات والافكار للاستجابة الى متطلبات السكن الحالي: بقلة الضجيج، بتوجيه الاطفال وبرعاية المحيط. يفضل السكان ادخال التعديلات في الابعاد المعمارية للمساكن والبنايات والمحافظة على ذهنياتهم وسلوكاتهم كما هي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فشلت حملات التطهير وفشلت لجان الاحياء لاحداث التحول المناسب في نمط حيازة السكان للمساحات الخارجية للمساكن وداخل الاحياء أمام عمق وفعالية العوامل النفسية الاجتماعية التي تقدس المحيط الخارجي. أصبحت من جراء ذلك ظاهرة اهمال هذه المساحات السكنية مألوفة لا تثير ردود فعل فردية أو جماعية الا نادرا.

لا تتمكن الهندسة المعمارية من تشخيص هذه العوامل دون مساهمة ميادين علمية أخرى. يُمكّن علم النفس الاجتماعي من حصر الآليات النفسية الاجتماعية والثقافية بفضل سلسلة من المفاهيم والمناهج التي تتميز بها ميادينه .

انطلاقا من المعطيات العلمية يمكن للهندسة المعمارية ولمخططات السكن من توظيف الخبرات الهندسية في رسم وانجاز مشاريع سكنية وفق ما يمكن أن تحدثه من تحول اجتماعي متكامل. تعطي بذلك ميّزات جديدة للمباني السكنية وتثري الابعاد الهندسية للاحياء بمعطيات اجتماعية وثقافية جديدة .

يشكل البحث العلمي أداة أساسية لمواجهة المسائل المرتبطة بالتحول الاجتماعي ويمثل الاسلوب الذي يحدد الجوانب التي نأخذها من المراحل الاجتماعية السابقة والجوانب التي نرفضها . ففي مجال السكن لاحظنا أنه بالامكان تشجيع التعاون والجوار باعادة توظيف هذين المفهومين في الحياة السكنية في حين يمكن رفض التصورات الاجتماعية التي تتخذ من المحيط الخارجي مكانا عدائيا وفوضويا .

يرتبط الجانبان معا فلا يمكن تجديد مفهومي التعاون والجوار في الاحياء السكنية الحالية في ضل انعدام الامن وغياب مساهمة العديد من الاطراف الرسمية والغير الرسمية .لمعرفة ما يمكن اقتناءه واعادة تأهيله من النظام الاجتماعي التقليدي وما يمكن رفضه . يركز الباحث على فعالية عناصر هذا النظام في المجهود التنموي والتحول الاجتماعي وازدهار الافراد والجماعات. فالبحث العلمي وحده كفيل بابراز فعالية كل عنصر من عناصر النظام التقليدي في المرحلة التنموية الحالية .تنطلق هذه الدراسات قبل كل شيء بالبحث العلمي حول النظام الاجتماعي السابق ثم متابعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اثر عناصره في الحيوية الاجتماعية الحالية. رأينا كيف تعمل هذه العناصر بسرية وخفاء وكيف تؤثر بصفة لا شعورية على سلوكات الافراد والعائلات وعليه فان أيّ بحث للظواهر الاجتماعية يتطلب تقنيات ومناهج مناسبة، كاستعمال الملاحظة بالمشاركة.

فضّلنا هذه التقنية لمتابعة نمط حيازة السكان للمساحات العامة ومتابعة بعض الجوانب من تفاعلهم الاجتماعي لصعوبة الحصول على البيانات التابعة لهذين الجانبين دون التعامل المباشر مع الافراد والعائلات. فلا يمكن عزل التقنيات المنهجية والمفاهيم العلمية عن الظواهر المدروسة. تحدد هذه الاخيرة المنهج الذي يجب اتباعه.

من خلال هذه الدراسات سيزداد الاقتناع تدريجيا بأن عوامل التخلف ليست تقنية ومالية فحسب، بل هي كذلك نفسية اجتماعية وثقافية. انطلاقا من هذا التصور ستتكثف الانشطة العلمية الهادفة الى ضبط هذه العوامل لكشف طبيعة الصعوبات التي تمنع انتقال المجتمع من مرحلة الى أخرى، من هندسة معمارية عفوية الى هندسة معمارية حديثة يشكل فيها التخطيط والتصميم المسبق ميدانيا للابداع والخيال.

يمكن تعميم هذه البحوث حول مختلف الاشكال والصور التي يمكن أن تتخذها هذه الصعوبات في الحيوية الاجتماعية والتي تمنع انتقال الفرد من حياة عائلية وعشائرية الى حياة وطنية عامة، من فرد تابع الى سلسلة من القيم المتناقضة مع المحيط الخارجي، الى فرد حرّ مبدع وخلاق ...

بهذا نكون قد برهنا على فرضيتنا الاساسية بحيث اكدنا على فشل الهندسة المعمارية الحديثة في تغيير السلوكات والافكار وفشل العوامل النفسية الاجتماعية التابعة الى نظام الاقامة التقليدي في توجيه السلوكات والافكار بما يخدم رقي الافراد والعائلات. أرجعنا ذلك الى ما أحدثته هذه الهندسة المعمارية الجديدة من قطيعة بالنظام الاجتماعي السابق من جهة والى فعالية العوامل النفسية الاجتماعية في تحديد نمط حيازة المحيط السكني والتفاعل الاجتماعي من جهة أخرى فلا العصرنة ولا الحداثة حققت أهدافها ولا التقاليد الاجتماعية حافظت على نجاعتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجسد الحياة السكنية تناحر ثقافتين: ثقافة لم يبق من عناصرها في مجال السكن الآ الاثار والاطلال وثقافة حية وثريّة بالمقاييس العلمية والتكنولوجية. أراد المهندس المعماري أن تكون العلاقة بين الثافتين علاقة ضعف وقوة، تأخر وتقـدّم، خضوع وسيطرة ... وليس علاقة تكامل وتفاعل. يمكن ان تكون هذه العلاقة متكاملة كما يمكن ان تكون متناحرة ومتصارعة وفق نمط توظيف معاييرها وتجديد قيمها.

نستخلص في الاخير أن عناصر التخلف في المجتمع الجزائري تكمن في اعماق البنية النفسية للافراد والجماعات. يعيد كل شخص احياءها وتنشيطها في العديـد من مجالات الحياة بطريقة شعورية او لا شعورية. تطغى بذلك على حيويته الاجتماعيـة ونشاطه الاقتصادي والعلمي والمهني... من أجل ازالة أثارها او التخفيف من فعاليتها لا يكفي احداث تحولات مادية مرتبطة باستيراد التكنولوجيا والاعتماد على التعـاون الاجنبي وعلى المحروقات فحسب، بل لا بد من اعادة توظيف المعايير الاجتماعيــة والثقافية بما يخدم المجهود التنموي وازدهار الافراد والجماعات. يتم بذلك ربـط مسيرة المجتمع كسلسلة من المراحل المتكاملة، وليست المتقطعة تجري وفق دائـرة مغلقة.

اذا كانت هذه بعض ميزات التخلف في المجتمع الجزائري فانها في نفـس الوقت يمكن ان تكون شروط التقدم والرقـي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 ـ المـراجع العامّـــة

1.1 ـ المراجع العامة باللغة العربية :

جـورج قـرم : التنمية المفقودة، دراسات في الازمة الحضارية والتنمية العربية. دار الطليعة، بيروت 1981.

جيلالي صـاري: الانسان والتنمية، دور البيئة في الجزائر. الشركة الوطنية للنشـر والتوزيع. الجزائر 1983.

ديوان رياض الفتح: القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن. كوميدي. بروكسل 1985.

روبير أزيـل - : فنّ تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1973

زيدان عبدالباقي: علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة 1974.

الفاروق زكي يونس: الخدمة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي. عالم الكتب. القاهرة 1974.

فانون فرانتز : سوسيولوجية ثورة. ترجمة ذوقان قرقوط. دار الطليعة. بيروت 1967.

علي زيعور : التحليل النفسي للذّات العربية، انماطها السلوكية والاسطورية. دار الطليعة بيروت 1977.

مصطفى بوتفنوشات: العائلة الجزائرية، ترجمة دمري أحمد. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1984

مصطفى حجـازي: التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور. معهـد الانماء العربي. بيروت 1976.

محمد محمد الزلباني: القيم الاجتماعية مدخلا للدراسات الانثروبلوجية. مطبعة الاستقلال. القاهرة 1973.

محمد عبده محجوب: الضبط الاجتماعي في المجتمات القبلية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1973.

محمد فؤاد حجازي: الأسرة والتصنيع. مكتبة وهبة. القاهرة 1976.

محمد الرشيد قريش: ديناميكية نقل التكنلوجيا في الدول العربية. دار الثقافة قطر 1986.

محمد طاعت عيسى: فلسفة التغيير المخطط : مكتبة القاهرة .القاهرة 1971

2 ـ المراجع المتعلقة بالمنهجية :

1.2 ـ المراجع المتعلقة بالمنهجية باللغة العربية :

خير الله عصار: محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.

زيدان عبدالباقي: علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية .مكتبة القاهرة الحديثة . القاهرة 1974.

عبدالرحمان عيساوي: علم النفس في الحياة المعاصرة .دار المعارف. القاهرة 1980.

عمار بخوش: دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية . المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985.

محمد محمدالزلباني: القيم الاجتماعية مدخلا للدراسات الانثروبلوجية . مطبعة الاستقلال. القاهرة 1973

ميشالاراجيل : علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية . ترجمة عبد الستار ابراهيم . دار الكتب الجامعية . القاهرة 1973.

محمد غنيم وهدى عبدالحميد برادة : الاختبارات الاسقاطية، دار النهضة العربية . القاهرة 1974.

3 ـ المراجع الخاصة بالسكن التقليدي:

1.3 ـ المراجع الخاصة بالسكن التقليدي باللغة العربية :

ديوان رياض الفتح : القصبة، الهندسة إلمعمارية وتعمير المدن. كوميدي. بروكسل 1985.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4 ـ مقالات ووثائق حول السكن:

1.4 ـ مقالات علمية ووثائق حول السكن باللغة العربية :

. مجلة البحث العلمي العربي: النسيج العمراني للمدينة العراقية وابعاده البيئية، التركيز على الابعاد الاجتماعية لتخطيط المحلة السكنية. في مجلة البحث العلمي العربي، بغداد، العدد 14، السنة 4 ديسمبر 1985. ص ص 51 ـ 88

. محمدالطاهر بن عيسى : حلقة العمارة في البلاد العربية. في مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الجزء الثاني).تونس 1981.

. اليونسكـــــــو : المستوطنات البشرية بين القديم والحديث. في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، مطبوعات اليونسكو.العدد36 السنة 9 . سبتمبر 1979.

. مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية : ولاية بومرداس في ارقام 1986.

. الميثاق الوطني 1976.

. الميثاق الوطني 1986.

. الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ 2 افريل 1984 رقم 84/79.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1.2 ـ المـــراجع العـامة باللغــة الفرنسيــة :

BARDET (C.), L'urbanisme . P.U.F. Paris , 1979 .

BATAILLON (C.), Ville et campagne dans la région de Mixico. Ed. anthropos , Paris , 1971 .

BENHIZIA (L.), Appropriation et aménagement de l'espace dans les logements en immeubles collectifs . DEA Université d'Alger , 1984 .

BLACHERE (G.), Vers un urbanisme raisonné. Erolles, Paris, 1968.

BERTARD (J.M), Architecture de l'habitation urbaine: la maison, le quartier, la ville. Ed. Dunod, Paris, 1980 .

CHERMAYEF (B.), Intimité et vie communautaire. Ed. Dunod, Paris, 1972

CHARRE (A.), Art et urbanisme . PUF, Paris, 1983 .

CHEVALIER (A.), L'espaces social de la ville arabe. G-P.Maisonneuve et Larose, Paris, 1979.

CHOMBART DE LAUWE(P.-H.), Transformation de l'environnement, des aspirations et des valeurs. CNRS, Paris, 1976 .

CHOMBART DE LAUWE(P.-H.), Transformation et dynamique culturelle. CNRS, Paris, 1976.

CHOMBART DE LAUWE(P.-H.), Famille et habitation. CNRS, Paris, 1975 .

COLQUHOUN (A.), Architecture moderne et changement historique . OPU, Alger, 1985 .

COTE(M.), L'espace Algerien. Les prémisses d'un changement. OPU, Alger 1983 .

DELLUZE(J.J.), Cours d'architecture. Espace et volume architecturaux. EPAU, Alger, 1980 .

DEVEREUX(G.), Essais d'éthnopsychiatrie générale. Ed. Gaillimard, Paris 1977 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

DUCHAC(R.), SANSON(H.)et coll. Ville et société au Maghreb. Etude sur l'urbanisation. CNRS,Paris,1974.

EPRON (J.P.), L'architecture et la règle. Essai d'une téorie des doctrines architecturales.OPU,Alger, 1984.

FORRESTER(J.), Dynamique urbaine. Ed. Economica ,Paris, 1979.

GASTEV (H.), Boran , tours , collines, l'habitation en hauteur aujour-d'hui et demain. Ed. Dunod, Paris, 1977.

HAWARD (E.), Les cités-jardins de demain. Ed. Dunod , Paris, 1969.

LACHREF (M.), L'Algerie nation et société. SNED. Alger , 1978.

LOKHINE(N.), Le marxisme , l'état et la question urbaine . PUF, Paris ,1977.

LYNCHE (K.) , L'image de la cité. Ed. Dunod,Paris,1971.

MAURICE (M.), Mode de vie et espace d'urbanisation. Ed. Mouton, Paris. 1976.

MEDHAR (S.), De l'individu au citoyens les entraves à la réalisation du développement en Algerie.Analyse psychosociologique des freins au développement. Doctorat d'état . U. Paris v , 1988.

RASSAM (A.), Systéme urbain et développement au Maghreb. OPU,Alger,1983

STELLA(A.M.), Socilogie de l'habitation traditionnelle Algerienne. CNRS ,Alger ,1980.

TORIN (A.), Vers un environnement non oppréssif. Ed. P.Maradaga, Bruxelles, 1980 .

UNESCO , Les droits de l'homme dans la ville. Ed. de l' UNESCO,1980.

ZUCHELLI (A.), Introduction à l'urbanisation opérationnelle et à la composition urbaine. EPAU,OPU,Alger, 1983.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.2 : المراجع الخاصة بالمنهجية باللغة الفرنسية :

ANZIEU (A.), Les méthodes projectives . PUF, Paris, 1976 .

BADIN (P?), Probléme de la vie en groupe .PUF,Paris ,1965 .

BADIN (P.), La psychologie de la vie sociale .PUF ,Paris , 1979 .

BASAGANA (H.), Eléments de la psychologie sociale. OPU, Alger, 1980 .

CORMAN (L.), L'interprétation dynamique en psychologie.PUF ,Paris ,1974

CHRIX(J.), Psychologie sociale et sociométrie .Ed. Dunod , Paris,1960.

FAUCHEUX (C.), Psychologie sociale théorique et expérimentale.La Haye Mouton, Paris , 1971 .

GIRARD(R.), Les attitudes collectives et les relations humaines dans les sciences sociales américaines. PUF , Paris, 1972 .

GRISEZ (J.), Méthode s de la psychologie sociale. PUF , Paris ,1975 .

LEVY (A.), Psychologie sociale: textes fondamentaux.Ed. Dunod , Paris 1978 .

LEVY-LE BOYER(C.), Psychologie et environnement. PUF ,Paris,1980 .

MORVAL (J.), Introduction à la psychologie de l'environnement .Ed? P. Maradaga, Bruxelles , 1981 .

ONTMOLLIN(G.), L'influence sociale . PUF , Paris, 1977.

MEDHAR (S.), De l'analyse scientifique à propos de la transformation de la société." in Revue de Psychologie et des sciences de l'Education. No: I anneé 1985, p. 29/33.

MEDHAR (S.), Quel type de recherche entreprendre ? " In.Revue de Psychologie et des sciences de l'Education. No.2 , année1986 , p22/27 .

WILLEM(D.), L'explication en psychologie sociale. PUF , PARIS, 1982 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3.ج. المراجع الخاصة بالسكن التقليدي باللغة الفرنسية :

BASAGANA (R.), et SAYAD (A.), Habitata traditionnelle et structure familiale en Kabylie. CRAPE ,Alger, 1974.

BOURDIU (P.), Sociologie de l'Algerie. PUF , Paris, 1960 .

BOUROUIBA (R.), Architecture militaire en Algerie .OPU,Alger, 1983.

LACOSTE DU JARDIN(C.), Un village Algerien : structure et évolution. SNED , Alger, 1976 .

LIZOT (J.), Mitidja: un village Algérien de l'Ouarsenis. SNED , Alger 1973 .

MASQUERAU (E.), Formation des cités chez les populations de l'Algerie Ed: Le ROUX , Paris , 1886/87 .

4.ج. مقالات و وثائق حول السكن باللغة الفرنسية :

ALGER/APS, " Alger/L'état de mise en oeuvre du programme d'action" In. Développement et wilayates, NO:2 du 31 avril 1985 .

ALGER/APS, "Programme de mise en oeuvre du projet de villes nouvelles. dans les Haut plateaux." in Bulletin d'information économique No:102 du 10/ 83 P. 19 .

A DAM (M.), " La localisation des industries nouvelles et l'urbanisation en Algerie." in Annuair de l'Afrique du nord. CNRS , Paris , 1979 .

BARDINET(C.) et CABOT(R.), "Population active et critéres d'urbanisation en Algerie" in Revue Tiers-Monde N:55 , Juillet 1973 .

BRULE(J;C.)et MUTIN (G.), "Industrialisation et urbanisation en Algerie" in Mâghrep-Machrek, N:96 , mai-juin 1982 .

BERDJA (K.), " Rouiba-Réghaia: les mérites d'un 'syndik', géstion de la zone industrielle" in Algerieactualité, No:1103 du 4/10 1986 . p.11 .

DEBBIH (A.) , " Aprés les murs, l'ésprit . Gestioni immobilére." in Algerie actualité. No:1101 du 20 /11/ 1986 . p20 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

EL-MOUDJAHID?, " Examen du projet relatif à l'aménagement du territoire, option Hauts plataux." No; 6683 du II/I2/ 1986 .

EL-MOUDJAHID , "Algerie_Syrie: coppération dans l'habitat et l'urbanisation" No: 4892 du 22mars 1981 .

HABITAT ET NATION UNIES, Conférence des Nations-Unies pour les établissements humaines. Vanoouver du 31mai au II juin 1986 .

OURAD (M.), " Boumérdès une ville à créer" in Algerie actualité, No: IIOI du 20 /II/ 1986 . p.36 .

REVOLUTION AFRICAINE, Habitat: accroître les capacités de réalisation No; 828 , Janvier 1980 .

TAOUCHECHTE (N.), " La solution du probléme de l'habitat est liée au processus de développement national". in Alger_réalités No, 22 p.I4 .

TROIN (J.P.), " vers un Maghreb des villes en l'an 2000" in Maghreb-Mashrek. nO: 96 , mai, juin 1982 .

W-BOUMERDES, Bilan des actions menée par la DUCH octobre 1986 .

W-BOUMERDES, BILAN de l'état de fait . Phase A et B ? 1986 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم 1

قائمة استجابات السكان للصور حول تدهور المحيط
السكني خارج المساكن وداخلهما بين سكان بمدينة بومرداس

الرقم	مضمون الاستجابة	الملاحظة
01	ان مسألة انعدام النظافة في الطرقات وبين البنايات مسألة حضارية . ان الاسلام يوصي بالنظافة : نظافة الجسم والروح والخلق... اذا أردنا ان نكون طاهرين فعلينا بالصلاة . تنهي هذه الاخيرة عن الفحشاء والمنكر . يدعو الاسلام الى طهارة ونظافة الجسم والهندام والمسكن والبيئة ". يبتسم معبرا عن اقتناعه ثم ينصرف .	شاب متعلم من الحي السكني الشعبي .
02	بسم الله الرحمان الرحيم . تمثل هذه الصور (امتثال مدرسي مدرسي.) كثرة الأوساخ في الاحياء السكنية . يعود ذلك على ما اعتقد، والعلم لله ، الى فساد الاخلاق، لأن النظافة أوصى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم . ان النظافة من الايمان والوسخ من الشيطان... الحل موجود في الاسلام .. ابتسامة الاقتناع تعلو وجه الشاب ثم يضيف : المؤمن لا بد ان يكون نظيفا في هندامه وجسمه ومسكنه ..."	شاب يرافق المتدخل الأول
03	" لا يكفي عرض هذه الصور ليغير الناس من تقاليدهم . لا بد من تدخل وسائل الاعلام (التلفزة .) بحيث تقدّم كل يوم مناظر حقيقية عن حالة السكن الجماعي بالاحياء الحالية وخاصة الاحياء التابعة للفئات الشعبية . ان التلفزة غائبة عن كل	موظف بالبريد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحظة	مضمون الاستجابات	الرقم
	هذا النشاط فلا تهتم الا بالسياسة وبالاحزاب (يعني بذلك الندوة بين الاحزاب والحكومة.) وبالقضايا الهامشية كالافلام الامريكية .	03
ساكن بالحي الشعبي كأنه لم يجد الكلمات للتعبير عن رأيه .	" واش تحب، هذه هي الحالة، لا أحد يفكر في ايجاد الحل لهذه المصيبة ... هكذا ولا أكثر ! "	04
شاب من الحي الشعبي	يركز على صورة واحدة ويقول: " هذا القليل من الكثير تعالى اريك مشاهد مرعبة لو تمّ تصويرها لقال الناس انها اماكن للحيوانات . أو قل أدنى من الحيوانات"	05
اطار يقيم بالحي الجديد	تعبر هذه الصور عن نقص واضح للوعي. فالدولة لم توع الناس بأهمية هذه المرافق...اضف الى ذلك ان كل فرد او عائلة لا ينشغلان الآ بالمصالح المادية والخاصة ." لقد طغت المادة على كل شيء حتى على الصحة العامة..."	06
شاب متعلم	" من تريده يهتم او ينشغل بهذه المساحات السكنية ؟ الوالي؟ رئيس البلدية ؟ مدير ديوان الترقية والتسيير العقاري ام السكان؟ لا أحد. ستبقى على ما هي عليه . ليس هناك أي حل الآ الفوضى .	07

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

08	" واش تحب هذه هي حالة بومرداس. الله يسطر. لا ندري اين نحن متجهون؟ انظر- متجها الى صورة رقم 2 ماذا فعل "العرب" بالحي السكني بالبنايات السكنية . من المفروض ان الحي مخصص للاطارات اطارات آخر الزمن . يضحك ثم ينصرف.	اطار يقيم بالحي الجديد برفقة أحد السكان.
09	" ليس هناك أي حل، ستبقى الأمور على ما هي عليه ، ان لم تتدهور اكثر فأكثر. فالى جانب غياب الدولة يعرف الناس مشاكل معقدة يوما بعد يوم. فمن تريده يفكر في قضايا المحيط والبيئة والصحة العامة ."	اطار بأحد المعاهد العلمية
10	" انتشرت الحشرات والأوساخ في كل مكان واصبح وجودها أمرا مألوفا. نفس الشيء تعرفه الانسارة بسلاليم العمارات وكذلك تراكم القمامة وانبعاث الرائحة الكريهة .	اطار
11	" ماذا تريد ان أقوله لك حول هذه الصور؟ انها قليلة لكنها معبرة عن تدهور الاوضاع السكنية . يتجه السكان في الوقت الحالي الى الاهتمام بمصالحهم الخاصة . لا شك أنك لاحظت التعديلات التي يدخلها السكان على الشرفات . يبقى الحيز الخارجي، كما ترى مهملا وسيبقى كذلك ان لم يكن هناك تدخل قوى وراع من طرف الهيئات العمومية ..."	اطار بمؤسسة البناء
12	" يتجه الى صورة استعمال الشرفات ويقول: لا يمكن أن تعمل العائلات على استعمال للشرفات بشكل آخر لأنه تكثر حالات غياب الماء وكذلك نتيجة كثافة السكان في العمارات	مقيم في الحي الشعبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13	" يتجه الى الصورة رقم 3 ويشير - بعد ان عرف المكان - لا يمكن ان يعيش الناس في هذه العمارات ومحيطهم متدهور بهذا الشكل. انه نقص الوعي !	شاب من الحي الشعبي .
14	" هذه صور قليلة جدا لا يمكن ان تعبر عن تدهور احوال السكن في احياء مدينة بومرداس. توجد مناظر أخرى لو شهدها "الناس" لتعجبوا كيف يعيش السكان بهذه الحالة في بومرداس !"	مقيم في الحي السكني الشعبي
15	" هذه عمارة 32 - متجها الى الصورة رقم 4 - من لا يعرف هذه العمارة وسكانها واطفالها. لم يفسدوا بنايتهم فحسب بل هدموا واتلفوا المساكن والبنايات المجاورة لهم."	اطار يقيم بالحي الجديد
16	" لا أحد ينشغل بهذه الأوضاع. لا السكان ولا السلطات الرسمية . هكذا تبقى الاحوال الى ان يتم اتلاف كل المرافق التابعة للمحيط السكني. "	مقيم بالحي الجديد
17	" لست ادري لماذا تمّ عرض هذه الصور هنا . كأننا لا نعيش هذه الاوضاع يوميا في احيائنا."	مقيم بالحي الجديد
18	" بدل عرض هذه الصور هنا، لماذا لا يقوموا باستعراض ما هو أخطر... كغياب الانارة وانتشار السرقة والضوضاء في العمارات..."	ساكن بالحي الجديد.
19	" يتجه الى الصورة رقم 5: ليشير الى وجود سيارة رسمية متوقفة على الرصيف: "المسؤولون يقدمون المثال والسكان يتبعون" يضحك ثم ينصرف ."	يقيم بالحي الشعبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

20	" هذه الصور قليلةلكي تعبر عن تدهور أوضاع السكــــن في بومرداس. توجد حالات انفجار المجاري وتركد الماء القذر اسفل العمارات... لو تم تصويرها لعرف الناس انهم لا يقيموا ببومرداس الجميل، بل في مزبلة! ينصرف غاضبا."	موظف بالبريد
21	الى اللقاء يا بومرداس! سيتم تدميرك تدريجيا !"	شــاب
22	" لم يخصص بومرداس للرعيان والزاحفين والنتيجة ها هي مشيرا الى الصورة رقم 1 "	شاب من الحــي الشعبــي
23	" كان بومرداس اطارا راقيا للسكن.هذه العمارات من انجاز سوناطراك.كان يقيم به "الروس" كانت الرعاية والنظافة كان بومرداس كسويسرا.هائل وجميل. والآن الى الوداع يا بومرداس."	ساكن قديـم
24	" من هو المسؤول وما هو الحل؟ الحل هو التربية والوعـي.. في غياب العمل التربوي العميق لا أمل ان تتغير الأحوال. ليس هناك اي حل."	موظف يقيم بالحي الشعبي
25	لا تعبر هذه الصور عن حقيقة تدهور اوضاع السكن باحياء وبنايات بومرداس. توجد مناظر خطيرة مؤلمة أكثر من هذه لماذا لم يقوموا بتصويرها؟ يقول السؤال ما هو الحل. طبعا الجواب ليس هناك أي حل.. من هو المسؤول عن هذه الاوضاع؟ طبعا السكان، فمن يحطم العشب الاصطناعي والمرافق ويرمي القاذورات بين العمارات؟ السكان، الأطفال، النساء..."	معلم يقــيم بالحي الجديد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

26	" انها مناظر مؤلمة وخاصة بعدما نعرف أن المكان هو بومرداس..." يركز في مختلف الصور يهز رأسه متأسفا ثمّ ينصرف	ساكن متقدم في السن.
27	" يوجد حل لهذه المشكلة: على السكان ان يغيروا من طريقة حيازتهم للمساحات السكنية الخارجية وعلى السلطات المحلية ان تساعدهم في ذلك. مثلما فعل سكان باب الزوار لقد احاطوا كل المساحات الخارجية بين البنايات باعمدة واسلاك حديدية ..(يواصل حديثه حول تجربة باب الزوار...)"	مقيم بالحي الشعبي
28	" المسؤول عن هذه الاوضاع هو البلدية والحل غيرموجود."	شـــاب
29	" اين الحقيقة ... فهذه صور مشوهة للمكان. يوجداماكن جميلة للمدينة. لا يريدون تقديمها في هذا المعرض."	شـــاب
30	" أنا أوافق صاحب هذه الصور. ان فكرته جيدة يريد أن يقدم للسكان واقع اقامتهم. فبدل الصور الجميلة انه يقدم الصور الواقعية. أما السؤال عن من هو المسؤول عن هذه الوضعية فالجواب هو السكان الناقصين للتربية والوعـي. اما عن الحل. فلا يوجد هناك حل ما دام هؤلاء السكان يقيمون بالاحياءالسكنية بالمدينة ! "	موظف يقـيم بالحي الجديد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit